معارك سيف الله

برؤية عصرية

لواء ا ح م/ على علاء الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

معارك سيف الله

برؤية عصرية

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

تصميم الغلاف : مهندس / طارق سليمان

تصميم الكروكيات : نهال على

خرائط : أحمد صبرى

رقم الإيداع

٢٠١٠/٣٨١٧

الترقيم الدولى

٩٧٧-١٧-٨٣٤٤-٠

باك كيس

للطباعة والتغليف

خالد الغلبونى

٢٣١٩٩٣٦٠ - ٠١١٤٤٢٤٣٨٩

Pack Kees

Printing & Packing

Kh_ghalbony@packkees.com

معارك سيف الله

برؤية عصرية

لواء اح م / على علاء الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا "

صدق الله العظيم

سورة الأحزاب آيه (٢٣)

قبل أن نقرأ معارك سيف الله ..

كان الرسول الكريم ﷺ مُدركاً لقيمة خالد بن الوليد العسكرية ، ومتنبأً لدوره المنتظر فى نشر الإسلام . ومن أجل ذلك منحه أغلى الألقاب .. لقب **سيف الله** .. السيف المسلول على الأعداء . ومنذ ذلك الزمان كان خالد واحداً من أهم القادة العسكريين فى تاريخنا العربى والإسلامى على مر التاريخ . فهو منذ أن خاض معارك الإسلام قائداً فاتحاً ، لم يُهزم قط فى معركة ، ولم تنكس له راية ، ولم يسلم جيش من هزيمته . فهزم جيوش المرتدين عن الإسلام ، وسحق جيوش الفرس بالعراق ، ودحر جيوش الروم فى الشام . فهو القائد الذى طبق فنون عسكرية لم تعرف قبله وأرسى أسس ومبادئ قتالية لم تكن معروفة فى عصره . إنه يستحق منا أن ندرس سـيرته ومعاركه ونفخر بما أنجزه ، فله كل الإجلال والتقدير على ما قدمه ، لنصرة دين الحق ورفع رايته .

فلم يكن خالد قائد عسكرى عادى يدخل معركه ويعتمد فى انتصاره على كفاءة جنوده فقط ، فكم من قادة مسلمين فى عهده أو بعده انهزموا أو دحروا ويقاتل معهم نفس تلك النوعية من المقاتلين ، ولكنه كان مختلفاً عن غيره من القـاده ، فكـان موهوباً بالفطره ، وامتزجت فى شخصيته موهبة قتالية وعبقرية عسكرية ، وأصبح قائداً محترفاً ومتمرساً ، وقادراً على الإستقراء الجيد لأرض المعركـة ، ومتابعـاً لتحركات العدو فى الميدان ، فيتدخل فى الوقـت والمكـان المناسـبين ، ليحـدث تغييرات من شأنها أن تقلب موازين المعركه لصالحه .

والمحلل لفكر خالد العسكرى ، يجده سابقاً لزمانه ومتجاوزاً لأقرانه ، فكـان بالفطره مقاتلاً على المستوى التكتيكى فى معاركه ، ومخططـاً علـى المسـتوى الإستراتيجى ، وله رؤية يستطيع بها تحقيق أهدافه ، ولقد برهن على أن المعارك لا تكسـب فقط بعزيمة الرجال بل بالتخطيط والاعداد الجيد والقيادة الماهرة للجنود فى الميدان .

والدارس لمعارك خالد يجد أنه قد طبق بمهارة وموهبة ، معظم مبادئ الحرب وفنون القتال ، التى تدرس الآن فى معظم المعاهد العسكريه شرقاً وغرباً ، فطبق المفاجأة والمبادأة والمناورة والحشد والاقتصاد فى القوى والتعاون والمحافظه على الهدف . واعتنق العقيدة الهجومية كأسلوب قتالى ، فلم يدافع أبداً على الرغم من تفوق العدو عليه دائماً فى العدد والعده ، ولم يتبع خطة واحدة فى الهجوم ، فتعددت خططه العسكرية طبقاً لظروف كل معركه ، ومن هنا جاءت عبقريته العسكرية .

وعندما وضع علماء النفس والسلوك الاجتماعى سماتاً للقائد الناجح ، نجد أغلبها فى خالد بن الوليد ، فكان شجاعاً وشهماً ونبيلاً وفطناً ووفياً ومخلصاً وأميناً ومنكراً لذاته وخطيباً مفوهاً .

وتأتى أهمية معارك سيف الله من تأثيرها القوى على الأحداث ، وتحقيقها لإنتصارات المسلمين فى الحروب التى خاضوها ، فنشرت الإسلام وصنعت تاريخاً ومهدت لحضارة أمة . فمعارك خالد ضد المرتدين امتد أثرها إلى إحكام سيطرة الدولة الإسلامية الفتية على شبه الجزيرة العربية . وفى معاركه بالعراق ، كانت كل معركة خاضها مؤثرة على المعركة التى تليها ، وهيأت الظروف لإنتصار المسلمين الأكبر على الفرس فى معركة القادسية . وفى معارك الشام ، كانت معركة اليرموك هى المعركة الفاصلة فى حروب المسلمين بالشام ، وتعتبر من أهم المعارك التى غيرت التاريخ ، فكان لها تأثيرها القوى فى نشر الإسلام فى تلك المنطقة وما حولها . ولكى نعرف قيمة انتصارات خالد ، علينا أن نتصور لو حدث إخفاق لخالد فى معاركه ، فماذا ستكون نتائج الحروب ووضع المسلمين الآن .

ومن أجل هذا صدر العديد من الكتب عن خالد بن الوليد ، والتى يصعب حصرها وربما يفوق عددها الخمسون كتاباً ، وتتناول حياته ومسيرته ومعاركه ، كما لا نبالغ إن قلنا إنه تم تناول جوانب من حياة خالد ومعاركه ، فى مئات المقالات والكتب ، وبلغات عديدة ، فهو جدير بأن يكتب عنه ، ويعرف القراء ما قدمه للإسلام فى معاركه وفتوحاته .

وعلى الرغم من كثرة ما كُتب عن خالد ، إلا أننا قررنا أن نكتب عنه حباً له وتقديراً لما قدمه ، ورأينا أن نقدم للقراء مدنيين وعسكريين كتاب معارك سيف الله من زاوية عسكرية وبرؤية عصرية . وحاولنا قدر الإمكان الربط بين مافعله خالد فى معاركه وبين ماتم فى المعارك الحديثه ، لنؤكد على عبقرية خالد العسكرية ، ونوضح أن ما قدمه كان سابقاً لعصره ، فأساليب القتال المستخدمة حالياً هى نفسها التى استخدمها خالد ، والإختلاف بينهما يرجع فقط إلى المسميات العصرية ووسائل القتال الحديثة .

وسردنا فى بداية كتابنا الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية وتأثيرها على معارك خالد وفتوحاته ، لنتعرف منها على التأثير العميق الذى أحدثته فى المقاتل الفاتح ، المجاهد فى سبيل الله ، والذى شارك خالد معاركه . وشرحنا كيف نشأ خالد بن الوليد كبطل أعده القدر لدور تاريخى . وكيف دخل الإسلام من منطق العقل قبل القلب ، وبمفهوم فارس فى الميدان .

وتناولنا معارك سيف الله بالشرح والتحليل ، والإيضاح بالرسومات والخرائط حتى نبسطها للقراء . مع وصف موجز لطبيعة الأرض فى مسرح العمليات لنوضح مدى تأثيرها على المعارك التى خاضها ، وقدمنا فى نهاية كل معركة الدروس المستفادة منها ، ثم اختتمنا معاركه بعرض لفن القتال فى معارك خالد ، وبينا تطابقها مع بعض المعارك العصرية . وفى النهاية تناولنا أسباب عزله وإبعاده وذكرنا وجهة نظرنا وتقييمنا لهذا القرار التاريخى .

ومن تلك السيرة والمسيرة كان كتابنا . ونأمل أن يستفيد شباب العرب اليوم وخاصة العسكريين مما كتبنا ، فنحن آولى أن ندرس ما تركه النخبة الصالحة من الفاتحين ، وندرك قيمة هذا الإرث العظيم ، فالتاريخ الإسلامى ملئ بالنماذج المشرقة والدروس العظيمة ، التى تجعلنا لا نتجه غرباً أو شرقاً ، فما بأيدينا كثير، ويحتاج فقط أن ندرسه جيداً ونعيه .

وكان إعتمادنا فى كتابنا ، على الكتب التاريخية التى تركها لنا المؤرخون الأوائل ، ومرجعهم ما تناقله الناس والرواه فى ذلك العصـــر. ونحن نثق بما ذكروه ، وإن كانت تفاصيل المعارك غير دقيقة ، وهناك اختلاف فى بعض التواريخ ، ومبالغة فى أعداد القوات المتحاربة ، ولكن كان لهم مبرراتهم . فلم يوجد فى ذاك الزمان ما يؤرخ الأحداث والمعارك الحربية بدقة . والمؤكد والذى ليس فيه اختلاف فيما ذكره المؤرخون ، هو تلك الانتصارات التى حققها خالد فى معاركه ، وإلا ما انتصر المسلمون على قوات الفرس والروم ، وما انتشر الإسلام فى العراق والشام .

وقد يختلف بعض الناس فى تقييم خالد وأعماله ، لدرجة إنتقاده ، ولكن مايصلوا إليه فى اختلافهم لا يتعلق أبداً ببراعته وقدرته على إدارة المعارك وقيادة الجيوش ، وتأثيره العميق فى نجاح معاركه وتحقيق النصر فيها ، فأثبت أن وراء كل انتصار قائد كفء . فخالد بن الوليد سيف الله ، عبقرية عسكرية ، لا مثيل لها فى السابق ولا الحاضر . فمن فى التاريخ حارب أكثر من خمسين معركة وانتصر ولم يهزم قط ؟ .. ولو صنفنا القادة العسكريين على مر التاريخ ، من واقع أعمالهم وإنجازاتهم وانتصاراتهم فسيكون خـــالد على رأسهم ، فمن الصعب أن يجود الزمان بمثله مرة ثانية ، وستبقى انتصاراته فى التاريخ خالدة .

لواء اح م / على علاء الدين

تأثير الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية على معارك خالد

كان علينا قبل الخوض فى معارك خالد بن الوليد – قبل وبعد إسلامه – أن نستعرض فى مُستهل كتابنا ، الأوضاع التى كانت سائدة فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، لنعرف منها التأثير الذى أحدثته فى الحياه بصفة عامة وعلى المعارك التى خاضها خالد بصفة خاصة . فالطبيعة الصحراوية للمنطقة أثرت على الحياة البدوية وعلى الانسان العربى ، فأكسبته صفات جعلت منه مقاتلاً صلداً ، هو الذى حارب مع خالد بن الوليد وشاركه انتصاراته وفتوحــاته .

وأوضاع القبائل التى كانت ركيزة الحياة الاجتماعية ، كان لها دورها المؤثر فى تكوين شخصية الانسان البدوى ، الذى كان يقاتل بصلابة دفاعاً عن أهله وعشيرته . ثم لا يمكن إغفال مكانة مكة وأثر الناحية الدينية ، فى تكوين العقيدة القتالية للمقاتل العــربى ، الذى حقق انتصـــاراته على الإمبراطورية الفارســية والبيزنطية .

الموقع الجغرافى :

تقع شبه الجزيرة العربية فى الجنوب الغربى من قارة آسيا ، عند تلاقى قارة آسيا بأفريقيا ، ويحدُها شمالاً بادية الشام ، وشرقاً الحيره ودجله والفرات وخلــيج البصرة (الخليج العربى) ، وجنوباً المحيط الهندى وخليج عدن ، وغرباً بحر القلزم (البحرالاحمر) وخليج العقبة . وتنقسم إلى خمسة أقسام رئيسية ، تهامــة بمحـــاذاة البحر الأحمر ويليها الحجاز ونجد فى المنتصف والعروض بمحاذاة الخليج العربى ثم اليمن جنوباً.

وشبه الجزيرة العربية أرض صحراوية مُترامية الأطراف ، تكثر فيها الجبال والنجود والأودية الجرداء ، ودرجة حرارتها مرتفعة تصل فى بعض الأحيان أكثر

من خمسين درجة ، ولايوجد بها نهر واحد ولا أمطار موسمية معروفه يمكن الاعتماد عليها فى الزراعة . إنها ظروف صعبة لا تساعد على استقرار ، ولا تهيئ قيام حضاره وأفرزت حياة البادية ، التى تتطلب الإرتحال بحثاً عن عيون مياه ومراعى . والحسنة الوحيدة من طبيعة تلك المنطقة القاسية ، تجنيب سكانها طمع الغزاه وبعثات التبشير الدينية .

أما المنطقة الجنوبية حيث اليمن الآن ، والمنطقة الشمالية حيث أرض العراق وجنوب بادية الشام ، فطبيعة الأرض مختلفة عن مثيلاتها فى وسط شبه الجزيره ، فتميزت بخصوبتها وكثرة هطول الأمطار فيها ، وأفرز ذلك شكلاً آخر من الحياة القبلية أكثر تمدناً وتحضراً ، فظهر عرب الحضر الذين عاشوا فى ممالك أو إمارات .

سكان شبه الجزيرة العربية :

استوطن العرب شبه الجزيرة العربية منذ عهود قديمة ، وقد اصطلح المؤرخون على تصنيف العرب ثلاث تقسيمات :

أولاً : العرب البائدة :

وهم أول من استوطن المنطقة ، ولكن لم يبق من أخبارهم سوى القليل ، ومن قبائلهم المشهورة فى التاريخ عاد وثمود الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم .

ثانياً : العرب العاربة :

هم عرب الجنوب الذين استوطنوا اليمن ، وما حولها ثم انتشروا فى شبه الجزيرة العربية ، ويعرفون بالقحطانيين نسبة إلى جدهم الأول قحطان ، ومن أشهر قبائلهم حمير وكهلان ومالك . ومنهم من حارب مع خالد فى فتوحات العراق والشام .

ثالثاً : العرب المستعربة :

هم عرب الشمال من نسل عدنان الذى ينتهى نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – ويعرفون بالعدنيين ، ومن أشهر قبائلهم مضر وربيعة وعيلان ، وإلى مضر تنتمى قريش[1] قبيلة النبى الكريم ﷺ وشاركت تلك القبائل معارك خالد وفتوحاته .

أثر الطبيعة الصحراوية على الفارس العربى :

أفرزت الطبيعة الصحراوية إنساناً بدوياً ، يعتمد على الخيل والجمال فى تنقلاته وارتحاله ، فكانتا جزءاً هاماً فى حياته ، فالأرض الصحراية المفتوحة دفعته إلى إتقان ركوبهما كوسيلة رئيسية للإنتقال . ومن البيئة تعلم الظواهر الجوية وتوقيت الأنواء ، وعرف حركة النجوم فى السماء ، واسترشد بها للسير فى الصحراء ، وخاصة عندما كان يرافق القوافل التجارية . وعلمته قلة المياه وأحياناً ندرتها الصبروالتحمل والجلد فى الحياه ، وكان طعامه بسيطاً يعتمد على اللبن والتمر والحبوب ، فلم يحتاج فى معاركه تجهيزات ادارية كثيرة ، فكانت جيوش خالد قليلة المؤن والزاد .

والحياة فى تلك الطبيعة القاسية ، أجبرت الانسان البدوى على تعلم كيفية الدفاع عن نفسه والمحافظة على شرفه ، فتعلم استخدام السيف ليدافع عن نفسه وجهاً لوجه ، فى حال تعرضه لخطر الاعتداء من الأخرين ، وفى حالات الكر كان عليه أن يتقن فن الطعن بالرمح ، وخاصة عند الإقتراب من العدو راكباً فرسه ، ومن كمائن الصحراء تعلم كيف يصيب عدوه من مسافة قريبة باستخدام القوس والسهم ، وكانت تلك أسلحة ذلك الزمن ، فأجاد استخدامها فى حياته وفى معاركه مع خالد بن الوليد .

---

(1) أنظر كتاب أبن حزم فى جمهرة أنساب العرب حيث وردت القبائل .

واكتسب البدوى من البيئة صفات إيجابية ، منها الذكاء الفطرى والغيرة على الشرف والنخوة والكرامة وتقدير الواجب . ومن الطبيعة القاسية اكتسب قوة التحمل والخشونة والجلد والصرامة والحزم ، وأضفت عليه الصحراء صفات الكرم والشجاعة ونجدة الضعيف ، فأضحى مقاتلاً بطبعه ، وتمكن خالد من الاعتماد عليه فى أقصى الظروف صعوبة .

كما كانت هناك صفات سلبية سادت فى الجاهلية ، منها العصبية للعشيرة ، وسيادة القوة في علاقات الأفراد والقبائل ، وظاهرة الثأر والإنتقام ، والعيش الدائم فى صراع . فكان لذلك أثره العميق فى تكوين شخصية البدوى الفارس العربى ، الذى حارب معارك خالد بن الوليد دفاعاً عن أهله وعشيرته ، وعن الإسلام دينه .

القبيلة العربية :

عاش العرب البدو داخل منظومة القبيلة ، تجمعُهم القرابة والدم والعصبية للأهل والعشيرة ، لهم شيخاً هو كبيرهم ، ومسئولاً عن أمورهم ، يتصف بالغنى والكرم والشجاعة ، ويُمثل أعلى سلطة فى مجتمعهم ، والحكم فى القبيلة كان أساسه العرف ، الذى يستند إلى مجموعة من التقاليد والأعراف ، التى يتبعها أفراد القبيلة منذ زمن بعيد . وبهذا عاش البدوى يلتمس الأمن والسند فى حمى قبيلته .

وعاشت القبائل تتبع الكلأ والمرعى والماء ، وكان لكل قبيلة أرضها ، بسطت عليها سيادتها وسيطرتها ، واعتبرتها ملكاً لها ، وكان التنازع على مناطق النفوذ حيث الكلأ والماء ، هى السمة الغالبة بين القبائل ، وخاصة عندما تهطل الأمطار وينبت العشب ، فيبدأ التقاتل والتصارع وينتهى فى معظم الاحيان بقتال عنيف بين الجانبين . فالقبيلة فى النهاية كانت محور حياة البدوى ، وكل انتمائه لها فارتبط مصيره بها ، وسار يستميت فى الدفاع عنها ويقاتل من أجل رفع رايتها ، ومن هذه القبائل ومن تلك الروح القبلية ، تشكلت الجيوش الإسلامية التى حاربت معارك خالد بن الوليد وانتصرت .

قريش ومخزوم :

تعتبر قبيلة قريش من أشهر القبائل العربية وتنتمى إلى كنانة[١] ، وترجع اصولهم إلى العدنانيين ، وكانت تقيم فى مكه بجوار الكعبة ، وذاع صيتها وشهرتها – ليس فى مكة وحدها بل فى الجزيرة العربية كلها – لإشرافها على خدمة الحجيج لوافدين إلى بيت الله الحرام ، بالأضافة إلى نشاطها الاقتصادى المتميز ، وخاصة رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق ورحلة الصيف إلى الشام ، فجعلوا من مكة مركزاً تجارياً كبيراً .

والجدير بالذكر أن تجارة قريش بلغت أوج ازدهارها فى عهد هاشم بن عبد مناف بن قصي وأخوته ، وكان طبيعياً أن تسهم هذه المكانة الاقتصادية فى دعم مكانة قريش الاجتماعية ، وما ورد فى القرآن الكريم فى سورة قريش ما يؤكد ذلك فى قوله تعالى: " **لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**" .

أما قبيلة مخزوم ، قبيلة خالد بن الوليد ، فكانت من أشهر بطون قريش ، وينتهى نسبها إلى الجد السابع للرسول الكريم ﷺ مرة بن كعب بن لؤى ، وتربطها بقريش مصاهرات متبادلة ، وكان لها مكانتها الكبيرة فى الجاهلية ومحل شرف عظيم بين القبائل ، ولها من مكارم الجاهلية بين قبائل مكة ، القبة والأعنة ، وتعنى شئون الجيش والحرب ، فالقبة هى المكان المخصص لتجميع مهمات ومعدات القتال وهى بمثابة مخزن للاسلحة والعتاد ، أما الأعنة فهى الخيل والفرسان ، وكانت القبة والأعنة من مسئوليات خالد بن الوليد لكفاءته وشجاعته ومهارته فى الفروسية .

---

(١) حديث الرسول ﷺ حيث قال : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم " . رواه مسلم .

مكة ومكانتها :

تقع مكه وسط الطريق ، الذى كانت تسلكه القـوافل التجـارية ، بين الـيمن والشام بمحاذاة البحر الاحمر(رحلة الشتاء والصيف) ، وكانت بحكم موقعها منطقة استراحة للقوافل القادمة من الشام إلى اليمن والعكس . ولم تكن مكه مسكونة قبـل بناء الكعبة ، والراجح تاريخياً أن إسماعيل بن إبراهيم أول من أتخذها مقاماً وسكناً وأصبحت لمكه مكانتها العظيمة ، بفضل الكعبة الشريفة التى يحج اليها الحجيج من كافة مناطق الجزيرة العـربية ، ومع إتساعها أصبحت مركزاً اقتصادياً يسيطرعلى القوافل التجارية ، وينظم البيع والشراء وحركة التجاره ، وتحققت فيهـا ملامـح الحياة الحضرية ، وكانت محط أنظارالجزيرة كلها وعاصمتها المتوجة .

يثرب والطائف :

عرفت يثرب التى تقع شمال شرق مكة ، باسم المدينة المنورة فى العصـر الإسلامى ، وعلى الرغم من مكانتها التجارية والدينية ، وتمتع أهلها بقـدر مـن الاستقرار ومظاهر الحضارة ، إلا أنها لم تنافس مكة مكانتها ، وكان سكانها فـى جملتهم من العرب واليهود . أما الطائف – جنوب شرق مكة – فتميزت باعتـدال مناخها وتوفر المياه بها ، فكثرت البساتين الحافلة بأنواع الثمار وأشهرها العنـب ، وعرف عن أهل الطائف ، الثراء الفاحش وبناء الحصون المنيعة . ولكـن كانـت طبيعة الحياه فى يثرب والطائف ، إستثناء على نمط الحياة العامة فى شبه الجزيرة العربية . واثر ذلك على طبيعة المقاتل الذى شارك فى الفتوحات الإسلامية ، وكان على خالد أن يوجد نوعاً من التنافس بينهم وبين أهل البادية من الأعراب ، استطاع من خلاله تحقيق انتصاراته فى المعارك التى خاضها .

الممالك العربية :

ظهرت الممالك العربية فى المناطق الخصبة ذات الثراء ، ففـى الأطـراف الشمالية ظهرت مملكة الحـيره أو إمارة اللخميين فى العراق ، ومملكة الغساسـنة

والأنباط بالشام ، وفى الجنوب كانت مملكة الحميريين ومن قبلها معين وسبأ التى وردت فى القرآن الكريم . وبحكم قرب الممالك الشماليه من دولتى الفرس والروم انفتحوا عليهما ، وعاشوا حياة حضرية اختلفت عن حياة البدو الرحل ، وتحولوا بفضل المساعدات والتحالفات مع الدولتين إلى قوة ردع عربية ، تمنع غارات السرقة والنهب التى تقوم بها بعض القبائل البدوية ، على أطراف دولتى الفرس والروم وتؤمن حدودهما .

وكان طبيعياً أن تدخل تلك الممالك العربية ، بحكم مواقعها الجغرافية وتحالفاتها العسكرية - دون إرادتها - فى دائرة الصراع بين الدولتين ، وتشارك فى كثير من الحروب التى دارت بين الدولتين العظمتين فى ذلك الوقت ، بل وأحياناً ضد بعضهما البعض . وقد أدى هزيمة اللخميين على يد الحارث بن جبلة[١] ملك الغساسنة إلى عدم ثقة الفرس فيهم ، وإخضاع الحيرة لهم والقضاء على حكم اللخميين . أما مملكة الغساسنة فقد إزداد نفوذها وتعاونها مع الدولة البيزنطية ، وسيطروا على جميع القبائل العربية المقيمة على الحدود[٢] بين الشام وشبه الجزيرة العربية ، وهم الذين حاربهم خالد والمسلمين فى فتوح الشام .

الديانات :

عرفت الجزيرة العربية ديانة التوحيد ، عندما نزل بها نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته هاجر وإبنه إسماعيل ، وبنى وولده الكعبة الشريفة فى مكة ثم ترك زوجته وولده ودعى ربه أن تكون أرضاً مباركة يؤمها الناس من كل صوب وحدب . فأتبع معظم العرب هذا الدين ، وظلت تلك العبادة مستقرة فى وجدان العرب . إلا أنه مع مرور الزمن تحولوا إلى الوثنيه ، حيث عبادة الأصنام ، التى

---

(١) فى عام ٥٥٤ م الموافق تسعة عشر قبل الهجرة ، قُتل المنذر الثالث ملك اللخميين على يد الحارث بن جبلة الغسانى .

(٢) قبائل جذام وكلب وجهينة والقين وبهراء وبلى وتنوخ وسليح وغيرها من قبائل العرب .

اعتبروها وسيطاً بينهم وبين الله ومن خلالها يتقربون إليه ، ونسوا بذلك عبادة الله وعبدوا تلك الأصنام[1] ، إلا أنهم أبقوا على فكرة التوحيد .

وبجانب الوثنية ، اعتنقت بعض القبائل المجوسية ، وخاصة القريبة من دولة الفرس . كما كانت هناك اليهودية ، واعتنقتها قبائل حمير وبنى النضير وبنى قنيقاع وبنى قُريظة ، وعاشوا فى مناطق خيبر وتيماء وفدك ووادى القرى ويثرب واليمن . وكان ذى نواس الحميرى ملك الحميريين يهودياً ، وهو الذى ألقى بنصارى نجران فى الإخدود ، وأحرقهم بالنار حين رفضوا الدخول فى اليهودية ، وقد وردت قصة الإخدود بالقرآن الكريم فى سورة البروج .

واعتنقت بعض القبائل الديانة المسيحية ، بواقع الجوار وتأثيره ، مثل قبائل الغساسنه المجاورين للروم ، وكذلك بعض قبائل الحميريين عن طريق الحبشه ، وكان للغساسنة والأحباش الدور الأكبر فى نشر المسيحية ، بين القبائل فى الجزيرة العربية .

ومن هنا كان للأوضاع السائدة فى شبه الجزيرة العربية – وبرغم قسوتها – الأثر الكبير فى إعداد المقاتل العربى بدنياً ، واستطاع الدين الإسلامى أن يملأ النفوس بعقيدة قوية تدفعه للشهادة فى سبيل الله ، واستكمل بذلك إعداد الفارس العربى نفسياً ، وأصبح مستعداً للإفصاح عن نفسه بين الأمم ، ولم يجد خالد صعوبة ومعه هذا المقاتل القوى المؤمن ، فى أن يسلك درب الفتوحات ويحقق الإنتصارات فى كل معاركه .

---

(١) من أشهر الاصنام التى عبدها العرب قبل الإسلام (هبل – اللاتى – الُعزه) . وكان هبل فى جوف الكعبة وكان صنم قريش الأول ، ويأتى بعده العُزى من حيث الأهمية ، أما اللات فكان مقرها الطائف ، وكان أهم صنم عند ثقيف .



شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام خريطة رقم (١)

نشأة بطل

ولد خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي فى مكة ، على الأرجح سنة ثلاثون قبل الهجرة تقريباً ، الموافق خمسمائة وثلاثة وخمسين ميلادياً ، ولم يذكر المؤرخون الأوائل تاريخ ميلاده بدقة . وكان أبوه الوليد بن المغيرة سيداً مخزومياً ، وأحد قادة قريش فى العصر الجاهلى ، ومن أغنى أغنيائها ، ومن أجل ذلك سمى بالوحيد ، لأنه كان يكسوا الكعبة وحده عام ، والقبائل كلها تكسوها عام ، كما كان يلقب بريحانة قريش ، لأنه كان يرفض أن تقاد ناراً غير ناره لإطعام حجيج بيت الله الحرام ، ولتلك المكانة ورد ذكره فى القرآن الكريم من سورة المدثر الآيات ١١-٣١ " **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا** ".

والوليد بجانب ثرائه ، كان له مواقف تنم عن القوة والبأس ورجاحة العقل ، وتدلنا على منبع شخصية خالد الفذة . فذات يوم تأثرت متانة الكعبة ، بفعل الزمن والعوامل الجوية وكادت أن تنهار، فقررت قريش إعادة بنائها ، وكان ذلك قبل البعثة المحمدية بحوالى خمسة أعوام ، إلا أنهم هابوا الموقف وخشوا من هدمها ، حتى لايحل عليهم غضباً من الله ، ووسط جو التردد والخوف تقدم الوليد بن المغيرة وقال : " أنا أبدؤكم فى هدمها " ، وتناول المعول وبدأ الهدم وهو يقول : " اللهم لم ترع [1] ، اللهم لا نريد إلا الخير" ، والناس من حوله يراقبوه ، ولما لم يصبه مكروهاً ، قاموا إلى الكعبة وأكملوا هدمها ثم أعادوا بنائها .

وكان الوليد فقيهاً من أفقه الناس لمعانى الكلام وأعلمهم بالشعر، وكان يرى لو كان ما يقوله محمد حقاً من عند الله ، لوجب نزول هذا القرآن عليه أوعلى عروة بن مسعود الثقفى لمكانتهما الرفيعة وعلو شأنهما . وفى ذلك يقول القرآن

---

(١) لم ترع : لم تأت بشر .

الكـــريم فى ســـورة الزخرف الآية ٣١ " وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَـــى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " .

وحين سمع الوليد الرسول ﷺ يتلو بعض آيات القرآن ، قال لقومه : " والله لقد سمعت من محمد كلاماً ، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أســفله لمغدق ، وإنه يعــلو وما يعلى عليه " . فظنت قريش أنه أسلم ، إلا أنه عاد ووصف رسول الله بأنه ســاحر ، وأن سحره يأخذه ويأثره عن غيره ، وتمادى واتهم النبى بالباطل .

وعندما سأله قومه عن رأيه فى القرآن قال : " إن هذا القرآن من كلام البشر وليس كلام الله تعالى" ، وفى ذلك يقول القــرآن الكــريم فى سورة المدثرالآيات ٢٣- ٢٥ " فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِــحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ [١] ". وذمه الله عز وجل ، ووصفه بتسع صفات ذميمة نزلت فى سورة القلم الآيات ١٠- ١٤ " وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ [٢] " . وتؤكد الآيات القرآنية السابقة ، على ما فى نفس الوليد بن المغيرة من كره وعداوة لمحمد وللإسلام ، وكان طبيعياً أن يأخذ خالد كل ذلك عن أبيه .

وأم خالد هى لبابة بنت الحارث الهلالية ، من قبيلة عريقة لها مكانتها بين القبائل ، وهى أخت ميمونة أم المؤمنين زوج الرسول الكريم ﷺ ، وأخت أم الفضل بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت غير شقيقه لأسماء بنت عميس التى تزوجها جعفر بن أبى طالب ، ثم أبو بكر الصديق ثم على بن أبى طالب . وندر وجود بيتاً من البيوت العريقة ليس فيه نسباً مع قبيلة خالد .

---

(١) سقر: اى سأدخله سقر ليذوق حرها ، وهى طبق من اطباق جهنم .

(٢) عتل زنيم : الفاحش اللئيم.

وكان لخالد ستة إخوة ذكور هم : العاص وأبوقيس وعبد شمس وعمارة وهشام والوليد ، وإثنتين من الإناث هما : فاطمة وفاضنة . وفى هذا الثراء نشأ فى كنف هذه الأسرة العريقة ، نشأة مترفة كأبناء أشراف قريش .

والوليد – بلا جدال – قد دفع خالد فى صباه حيث الفروسية ، فتعلم فنون الحرب وأساليب القتال وقيادة الرجال ، وكل ما يؤهله لتبؤ مواقع الرئاسة فى عشيرته ، مثله مثل كل أخوته ، فقد كان الــوليد محباً لأولاده وفخوراً بهم ، إلا أن خالد أظهر نبوغاً وتميزاً عن أخوته ، فتمرس على الفروسية وأجادها ، واتقن فنون القتال والسلاح بأنواعها ، وتعايش فى البادية فتعود قسوة الحياة فيها ، واجاد فن الخطابة والإلقاء .

وقد أبدى خالد فى الفروسية من البراعة والنبوغ ، ما جعله يصبح أحد أمهر فرسان قريش ، وعُرف عنه الشجاعة والقــوة والإقدام ، فأوكل له أبوه – على الرغم من أنه ليس أكبر أبنائه – القبة والأعنة ، وهذا يعنى اعداداً وتأهيلاً لخالد على تحمل المسئولية واعمال القيادة مبكراً . وفى معركة أحد تولى قيادة فرسان قريش ، وفى معركة الأحزاب تولى تأمين الساقة (المؤخرة) أثناء ارتداد المشركين من يثرب ، وكان ذلك دلالة على كفاءته وتميزه على أقرانه ، وخطوة على طريق اعداده لتولى مسئوليات أكبر .

وفى فنون القتال– لا شك – كان خالد موهوباً بالفطرة ، ووقعة تصارعه مع عمر بن الخطاب وكسره ساقه وهم صبية ، دلالة على قوته فى المصارعة ، ودرايته بفنون الاشتباك وتدربه عليها ، حيث أن عمر كان أكبر منه سناً ومتمتعاً ببنيان قوى ومشهوداً له بالقوة ، وأغلب الظن أن هذه المصارعة كانت أشبه بمباراة فى بطولة أو منافسة فى ذلك الزمان ، وإلا لماذا ذكرها الرواه وكتبها المؤرخون ؟ وهل أى تصارع بين صبيين فى ذلك الزمان يذكر وينقل ؟! . وأما مهارة خالد فى استخدام السيف وفنونه ، فيرجع إلى أن مبارزة الأمراء كانت شيمة ذلك العصر ،

ومن الواضح أن خالد قد تدرب عليها واتقنها وبرز فيها ، وإلا من أين جاءت قوة عصب ساعده ، وهزيمتة لكل من بارزهم من الأمراء والقادة ، قبل أو أثناء معاركه .

وكان خالد بطبعه ميالاً لحياة البادية ومحباً لها ، ولديه الاستعداد الكامل للعيش فى ظروفها الصعبة ، كأى إعرابى يعيش فى الصحراء ، فحروبه ومعاركه تؤكد عشقه لحياة البادية ، وتعوده الخشونة والجلد وشظف الحياه ، وهذا العشق لم يأت – بلا ريب – فجأة ، بل كان يسبقه تأهيلاً واعداداً ، فمن غير المستبعد مشاركته فى صباه ، الكثير من رحلات الصحراء للصيد أو للهو ، مع أصحابه وأقربائه من أبناء الطبقة الغنية كعادة ذلك الــزمان ، وتلك الرحلات أقرب ماتكون لرحلات السفارى هذه الأيام التى يعسكر مشاركوها فى الصحراء . إلا أن خالد كان – من المؤكد – يأخذ فيها جانب تحمل المشقة والمصاعب ، وليس اللهو واللعب . وكأنه يدرب نفسه على تعود شدة وقسوة الحياة فى الميدان .

ونظراً للثروة التى كان يمتلكها الوليد ، فلم تكن هناك حاجة لأبنائه للعمل وكسب الرزق ، ولم نقرأ أن خالد قد عمل بالتجارة ، أو أشرف على الضياع والبساتين ، ولكن أغلب الظن أنه قد شارك – من نفسه أو مدفوعاً من والده – فى رحلات بعض القوافل التجارية المملوكة لهم ، ليكتسب منها خبرة ودراية بالطرق ومصاعبها ، والتمرس على حياة البادية الخشــنة وشدائد الصحراء . ولم يشارك فى غزوة بدر ضد المسلمين حيث كان موجوداً فى إحدى القوافل بالشام .

وكان الموسرون من سكان الحضر كعادة ذلك الزمان ، يرسلون أبنائهم إلى البادية ليتعلموا فنون القتال والفروسية واسلوب التعايش فى الصحراء ، وكان خالد بالطبع واحد منهم ، وهذا يبرر لنا حب خالد لأكل لحم الضب ، هذا الحيوان الزاحف الذى يكثر فى الصحارى ويحبه بدو الصحراء . وقصته مع الرسول والضب دليل على ذلك ، فعندما دخل مع رسول الله ﷺ ذات يوم على خالته ميمونة زوج النبى ، وقدمت لهما لحم ضب جاءها مع قريب من نجــد ، لم يأكله

النبى وتعفف عنه وتركه لعدم تعوده على أكله ، أما خالد فقد التهمه والرسول ينظر إليه مستغرباً .

وفى علم النفس الحديث ، نجد أن الوراثة والمجتمع المحيط بالفرد من أهم العوامل التى تبنى شخصية الانسان . وإذا طبقنا ذلك على خالد نجده اكتسب كل مقومات الشخصية القيادية الناجحة ، فعوامل الوراثة والجينات الموروثة تأتى من أسرة عريقة متميزة ، نقلت إليه قوة البنيان ورجاحة العقل وموهبة القيادة وحسن التصرف ، واكتسب بالوراثة عن والده ، صفات الشجاعة والاقدام والاعتزاز بالنفس والكرم ونصرة الضعيف ، وفن الخطابة وحب الشعر . كما أن البيئة حوله قد اكسبته صفات كثيرة ساعدت على بناء هذه الشخصية العسكرية الفذة .

واكتسب خالد – أيضاً – من المحيطين به فضائل كريمة ، أثرت فى تكوين شخصيته ، فعمه هشام بن المغيرة كان من سادة قريش وأشرافها ، وهو الذى قاد بنى مخزوم في حرب الفجار[1] ، وعمه أبوأمية بن المغيرة كان معروفًا بالحكمة والفضل ، وكان مشهوراً بالجود والكرم ، وهو الذى أشارعلى قبائل قريش بتحكيم أول من يدخل عليهم ، حينما اختلفوا على وضع الحجر الأسود وكادوا يقتتلون ، وكان عمه الفاكة بن المغيرة من أكرم العرب فى زمانه ، له بيت للضيافة يأوى إليه كل محتاج ، وعمه أبو حنيفة أحد الأربعة الذين أخذوا بأطراف الرداء وحملوا فيه الحجر الأسود إلى موضعه بالكعبة ، كما أشار عليهما النبى قبل دعوة الإسلام.

وأخوه الوليد بن الوليد ، كان قد وقع فى أسر المسلمين فى وقعة بدر ، فطلب النبى ﷺ لفك أسره أربعة آلاف درهم نظراً لغنى أهله وعداوتهم للإسلام ، وبعد مفاوضات ومساومات تم فداؤه ورجع لأهله ، ثم بعدها أعلن إسلامه بينهم وهم كارهون ، وعجبوا من أمره وسألوه هل أسلمت قبل أن تُفتدى؟ فقال نعم ، ولكنى

---

(1) حرب الفجار: وقعت بين قريش وهوازن عام ٥٩٠م الموافق عام ٣٢ قبل الهجرة وسميت بذلك لأنهم تحاربوا بالأشهر الحرام ، وانتهت بالصلح بين الطرفين .

كرهت أن يظن بى أننى جزعت من الإسار[1] ، ولما حبسه أهله صبر حتى هرب من محبسه ولحق بالمسلمين . فأخوه الوليد رفض أن يشهر إسلامه وهو فى الأسر، حتى لا يظن أنه أسلم من موقع الضعف ، ولكن عندما تحرر أعلن إسلامه من موقع القوة ، وهذه دلالة على ما فى كينونة هذه العائلة العظيمة ، من نخوة وكرامة واعتزاز بالنفس ، وملامح عبقرية وقدرة على إستجلاء الصدق والحقيقة .

وفى تلك الظروف والبيئة ، ومناخ الإفتخار بالنسب والشرف والعشيرة ، نشأ خالد بن الوليد ، وكأن القدر يعده لهذا المجد القادم ، فتوفرت له كل مقومات النجاح والبطولة ، التى تؤهله ليصنع تاريخاً عظيماً ، فامتزج فى شخصه موهبة فطرية ، وعبقرية عسكرية مع قوة جسدية ، لا تتوافر لدى الكثيرين . وكان لديه – بجانب ذلك – صفات القائد الناجح بعوامل الوراثة واسلوب الاعداد والتأهيل ، وله الحسب والنسب فى القبيلة ، والغنى وعلو المقام فى العشيرة ، فكانت نشأته أقل ما توصف بأنها نشـــأة بطل لدور تاريخى .

*****

(١) الإسار : ما يقيد به الأسير من حبل أو قيد .

معارك خالد قبل إسلامه

معركة أحد :

(شوال ٣ هـ / مارس ٦٢٥ م)

كان لإنتصار المسلمين على قريش فى موقعة بدر، أثاراً كبيراً على كلا الجانبين ، فالمسلمين أصبح لهم فى يثرب قوة ونفوذ وسلطان بجانب قوتهم الدينية . أما قريش فكان الأثر عميقاً ، فالهزيمة لم تنسى ، وتركت فى نفوسهم جرحاً لم يندمل ، ولن يشفوا منه إلا بالثأر من محمد والمسلمين . فخرجت قريش إلى المدينة ، بجيش جرار فى العدد والعده ويعتبر خير ما أعدته فى تاريخ حروبها .

وتولى حمل لواء المشركين قبيلة بنى عبد الدار، فحمل اللواء طلحة بن أبى طلحة بن عبد الدار، على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف ، ومائتى فارس وثلاثة آلاف بعيراً ، وسار معهم بعض من نسائهم ، وعلى رأسهم هند بنت عُتبة زوجة أبوسفيان بن حرب ، ليحفزن المشركين على القتال . إلى أن وصلوا منطقة بطن السبخة أمام تل عينين ، فى الركن الجنوبى الغربى من جبل أحد ، وعلى مسافة خمسة أميال من يثرب .

وقبل تحرك الجيش أحس العباس بن عبد المطلب (عم النبى) – وكان مشركاً ولم يسلم بعد – بخطورة الموقف فارسل رجلاً من مكة ، ليخطر الرسول الكريم ﷺ باستعدادات جيش المشركين ، ومدى قوته والتجهيزات التى أعدها أهل مكة لمحاربة المسلمين .

فجمع النبى أهل الرأى من المسلمين للتشاور فيما يفعلون ، بعد أن وصلته أخبار جيش المشركين ، وكان رأى النبى ﷺ أن يتحصنوا بالمدينة ولايخرجوا لقتال قريش ، وإذا حاولوا اقتحامها فهم أقدرعلى دفعهم والتغلب عليهم ، ووافقه الرأى أصحاب الرسول من المهاجرين والأنصار بالمدينة .

ولكن فتيان المسلمين المتحمسين لقتال المشركين ، والذى يملأ قلوبهم الإيمان بالنصر، والثقة بأنه لا تستطيع قوة أن تهزمهم ، وأنهم إن قاتلوا واستشهدوا فلهم الجنة . وكان على رأس المتحمسين حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ، ورأوا الخروج للقتال وعدم التحصن بالمدينة ، حتى لا يقال بأن المشركين قد حاصروا المسلمين بها ، وهم إن خرجوا لن يعطوا الفرصة للمشركين ، لإستجلاب بعض القبائل من البوادى لنصرتهم ، وهنا هز حديث الحماسه والشجاعة مشاعر المسلمين وأجتمع رأى الجماعه عليه ، ولم يكن هناك مناصاً إلا الخضوع لرأى الأغلبية والخروج للقتال .

خرج النبى ومعه سبعمائة من المسلمين متجهاً إلى أحد ، وعندما مر بثنية الوداع ، رأى الرسول الكريم ﷺ مجموعة من المقاتلين ، فسأل ولما عرف أنهم من اليهود رفض أن ينضموا إلى جيش المسلمين ، وقال الرسولﷺ : " لايُستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك مالم يسلموا " . فانصرف اليهود عائدين إلى المدينة ، وكان يقدر عددهم بثلاثمائة مقاتل أى ما يقارب نصف قوة المسلمين . كما خرج مع النبى بعض نساء المسلمين ، فى أول معركة يشاركن فيها فى الإسلام ، وكان منهن عائشة رضى الله عنها زوجة الرسول ﷺ وأبنته فاطمه رضى الله عنها . وسار المسلمون حتى وصلوا منطقة أطم الشيخين ومنها إلى أحد مكان المعركة المنتظر .

طبيعة أرض المعركة :

منطقة صحراوية مفتوحة بها جبلان ، جبل سلع فى الجنوب وهو متوسط الارتفاع ، وجبل أحد فى الشمال أكثر ارتفاعاً ويشرف على الأرض المفتوحة بين الجبلين ، وتكثر فيه المسالك والشِعب[1] وتتخلله عدة وديان ، ويوجد تل عينين

---

(1) الشِعب : إنفراج بين جبلين .

بالقرب من جبل أحد ، والأرض المفتوحة هى أنسب مناطق القتال ، وخاصة القريبة من جبل أحد وتل عينين ، حيث توفر الوقاية والحماية للقوات من الأجناب والخلف .

الاستعداد للقتال :

اختار الرسول الكريم ﷺ موقعاً ، يؤمن أوضاع جيش المسلمين عند القتال ، فجعل جبل أحد خلفه وعن يمينه ، وتل عينين عن يساره ، ووجهه إلى جبل سلع ، وأدرك النبى بحسه العسكرى ضرورة وضع عناصر من الرماه لتأمين تل عينين من جهة اليسار. وترك الأرض المفتوحة أمام جبل أحد وحتى جبل سلع لجيش المشركين .

وبدأ النبى فى توجيه أصحابه ، فأصدر أوامره إلى خمسين من الرماه على رأسهم عبد الله بن جبير، بالتواجد على تل عينين بمهمة تأمين جانب الجيش الأيسر، وحماية ظهر المقاتلين ، وأن لا يدعوا أحد يلتف عليهم ، ويلزموا مكانهم ولايتركوه ، حتى لو رأوا المشركين ينهزمون أوالمسلمين يُقتلون ، وعليهم أن يرشقوا بالنبال من يقترب منهم وخاصة الفرسان ، فيمنعوهم من الالتفاف خلف ظهر جيش المسلمين . والمهمة كاملة الوضوح ، ولا تعنى ترك تل عينين مهما كانت الأسباب .

وقام النبى بتقسيم الجيش إلى ثلاثة مجموعات ، المجموعة الأولى ضمت المهاجرين ، واعطى لواءها إلى مُصعب بن عمير ، والمجموعة الثانية ضمت الأوس ، واعطى لواءها إلى أسيد بن حضير ، والمجموعة الثالثة ضمت الخزرج ، واعطى لواءها إلى الحباب بن المنذر. وجعل على ميمنة الجيش المنذر بن عمرو، وعلى الميسرة الزبير بن العوام .

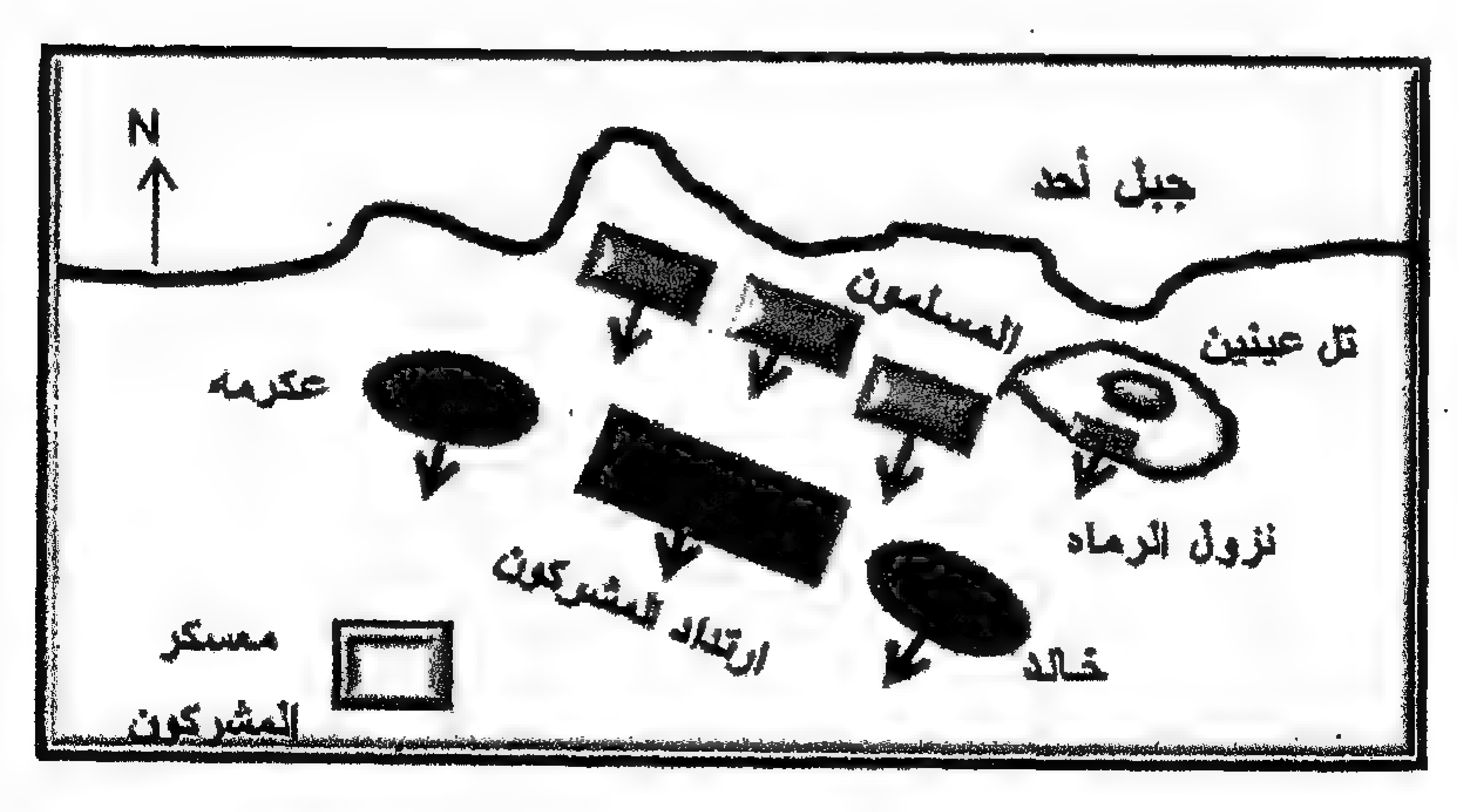
أما جيش المشركين فصفوا صفوفهم ، وجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عِكرمة بن أبى جهل ، ودفعت اللواء إلى طلحة بن أبى طلحة ،

وسارت نساء قريش يمشين خلفهم يضربن بالدفوف والطبول ، لتحفيزهن على القتال وهزيمة المسلمين والأخذ بثأر قتلاهم فى بدر.

بدء المعركة :

اشتبك الجيشان بقوة وشراسة ، واستماتت المسلمون فى القتال ، وهم يواجهون عدواً يفوقهم عدداً وعده ، وحاول خالد بن الوليد قائد ميمنة المشركين مهاجمة رماة السهام على تل عينين ، لعله ينجح فى إحداث ثغرة ينفذ منها بفرسانه ، ويلتف حول ظهر جيش المسلمين ، إلا أنه صُد من الرماة وارتد من كثافة النبال ، وعاودها مرتين وفشل .

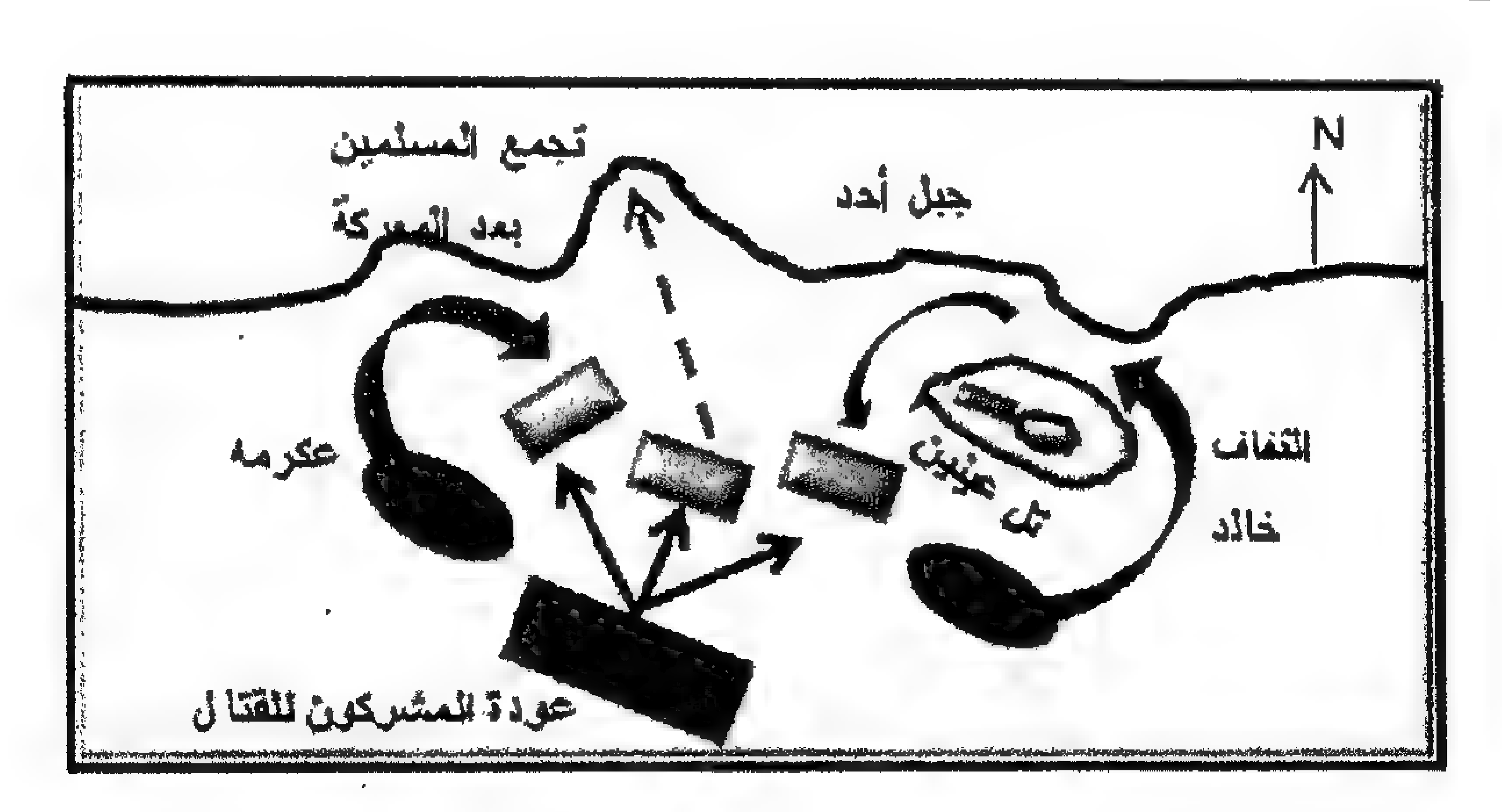
وبقوة الإيمان بالحق والنصر، وثقة المسلمين بأن صاحب الحق دائماً منتصر، وبهذه القوة التى لاغالب لها ، استطاع المسلمون توجيه هجوم كاسح والرسول الكريم ﷺ يقاتل معهم ، فتراجع جيش المشركين الذى لم يصمد ، وسقط لوائهم ، وقُتل كل من حمله ، واحداً تلو الأخر ، وكانوا تسعة كلهم من بنى عبد الدار، وكسب المسلمون الجولة الأولى ، وبدأت نساء المشركين تهرب فى الجبل ، حتى لا تقع فى الأسر فظن المسلمون بأن المعركة انتهت ، وحان وقت الغنائم فانكبوا يجمعوها .



ارتداد المشركون ونزول الرماه من تل عينين كروكى رقم (١)

ونزل الرمـــاه يغتنمون ، ونسوا ما أمرهم به النبى ﷺ بألا يبرحوا مكـــانهم فتركوه وهبطوا ليغتنموا مع المسلمين ، وحاول أميرهم عبد الله بن جبير مـــنعهم ، قائلاً لهم : " ألم يقل لكم رسول الله لا تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونـــا نقتـــل فـــلا تنصرونا " . إلا أنهم عصوه ، واندفعوا خلف الغانمين وتركوه ، ولم يبق معـــه إلا عشرة رماه فقط ، هم الذين أطاعوه .

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة ، فالتف يهاجم من بقى من الرماه على تل عينين ، فقضى عليهم ولم يفطن المسلمون له ، ثم أطلق صيحته وهاجم بفرسانه ظهر جيش المسلمين المكشوف ، فكانوا مهتمين بجمع الغنائم فأخذهم على غرة ، ولحق به عكرمة بن أبى جهل قائد الميسرة . وهنا تبدل الحال وفقد المسلمون مواقعهم الأولى التى اكتســـبوها ، ورجعت قريش للقتال وارتفعت معنوياتهم ، فانحصر جيش المسلمين بينهم ، وبدلاً من قتال المسلمين مُتضامنين مُتراصين ، أصبحوا يقاتلوا مُبعثرين مُهلهلين ، ومن شدة القتال بدأوا يتساقطون شهداء فى الميدان .



التفاف خالد خلف المسلمين وعودة المشركين للقتال كروكى رقم(٢)

ووسط جو الانتقام وطلب الثأر ، أعدت هند زوج أبى سفيان عبـــداً حبشـــياً ليقتل حمزة بن عبد المطلب ، إنتقاماً لمقتل أبوها وأخوها وأعزائها الذين قتلوا فى

بدر ، ووعدت العبد الحبشى بالعتــق إن قتله ، فتربص به وكمن له ، حتى رمــاه برمح أصابه فى مقتل واستشهد أسد الله وسيد الشهداء فى المعركة .

وكانت الطامة الكبرى حين أُشيع بأن الرسول ﷺ قُتــل ، فأســرع بعــض المسلمين وتركوا الميدان ، والبعض صعد الجبل ، وأصبحوا لايدرون ماذا يفعلون، وإنهارت معنوياتهم وأصبح الموقف خطيراً ، إلى أن سمعوا صوت الرســول ﷺ يناديهم: "هلم إلى ، أنا رسول الله" فأندفع المسلمون نحوه يتبصرون منه الخطــوة المقبلة ، فما كان من المشركين إلا أن هاجموا الرسول الكريم ﷺ – بعد أن عرفوا مكانه – وحاولوا قتله ، فأستمات المسلمون فى الدفاع عنه ، وبعد أن كان النصــر فى يد المسلمين ، إنقلبت الآية وأصبح في يد أهل الشرك .

واندفع النبى ومن معه ، فاحتلوا موقعاً طبيعياً منيعاً بالجبــل فــى إحــدى الشِعب ، يوفر له الحماية من هجوم المشركين ودافع أصحاب النبى عنــه دفاعــا مُستميتا ، واستشهد سبعة من الأنصار دفاعاً عنه ، وقام المسلمون ببطولات نادرة وقاتلوا ببسالة منقطعة النظير، وخاصة سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيــد الله ، ومنعوهم من تحقيق هدفهم بقتل الرسول الكريم ﷺ. إلا أنه أُصيب بحجر كبير فى وجهه الكريم ، فكسر أنفه وأُصيبت رباعيته[1] وشجت رأسه وســال الــدم منــه ، فسحبه المسلمون إلى سفح الجبل بعيداً عن خطر إيذاء المشــركين . ولمــا أدرك المشركون أنهم لن يتمكنوا من قتل النبى ، قال أبو ســفيان مُخاطبــاً عمــر بــن الخطاب: " هذا بيوم بدر.. والحرب ســجال " .. ثم غادروا الميدان بعد أن قتلــوا للمسلمين سبعين شهيداً ، وقتل لهم أثنين وعشرين قتيلاً .

---

(١) رباعيته : السن بين الثنية والناب وهى أربع .

تحليل المعركة :

كان قرار الرســول الكريم ﷺ بتواجد خمسون رامى على تل عينين عملاً عسكرياً فطناً ، أستهدف منع المشركين من إستغلال تفوقهم فى الفرســان (مــائتى فارس) ضد المسلمين . وعندما نجحت النبال التـــى تُمثــل الاســـلحة المضـــادة للدبابات ، فى إيقاف الفرسان التى تُمثل الدبابات فى المعــارك الحديثه ، تحولــت المعركة إلى مواجهة بين المشاه لكلا الطرفين ، فكانت الغلبــة لرجــال مشـــاة المسلمين . وعندما ترك الرماه أوضاعهم ، اندفع فرسان المشركين إلى العمــق ، ولم يجدوا من يوقفهم فتغير شكل المعركة .

وعلى الرغم من تفوق المشركين على المسلمين عددياً ، ونسبة مقارنة القوات (٤:١) ، بمعنى كل مقاتل من المسلمين يواجهه أربعة من المشركين . وهذه النسبة كافية لإحداث تفوق على جيش المسلمين وتحقيق النصـــر فـــى المعركـــة ، إلا أن المسلمين استطاعوا فى الجولة الأولى للمعركة إكتساح المشركين وأجبارهم علـــى الفرار ، وهذا يرجع إلى إستبسالهم وشجاعتهم فى القتال ، وتسلحهم القوى بعقيدتهم وإيمانهم الراسخ بحتمية النصر، والتنفيذ الدقيق لتعليمات الرسول الكريم ﷺ.

وحدوث خسائر سبعون شهيداً فى جانب المسلمين تعتبر نسبة كبيـــرة تعـــادل (١٠ %) ، مقارنة بباقى الحروب التي خاضها المسلمين والتى سيرد ذكرها لاحقاً، وحدوث خسائر إثنين وعشرون قتيلاً فى جانب المشركين فقـــط ، تعتبـــر نســـبة صغيرة تعادل (٠,٧ %) ويرجع ذلك إلى المناورة التى قام بها خالد ، فرجحت كفة الكفار.

وقد أثبت خالد بن الوليد فى أولى معاركه ضد المسلمين ، مهارة فائقة وكفاءة قتالية عالية ، ووضح ذلك عندما تابع الميدان جيداً ، فسكن كالقط ينتظر فرصـــته ولما لاحت له ، وثب كالفهد على فريسته . فهاجم باقى القوة المتمركزة على تـــل عينين فى العمق ، ثم طوق مؤخرة قوات المسلمين . وقلب بذلك ميزان المعركة ،

وحوله من إندحار إلى إنتصار، وكان السبب الرئيسى لهزيمة المسلمين . وهو بذلك أرسى استراتيجية جديدة فى المعارك بالمفهوم العصرى ، تعتمد على اختراق الأجناب وصولاً للأعماق ، ثم حصر العدو ومهاجمته من الخلف والأمام .

وهذا جوهر خطة قوات التحالف الدولى فى حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ م ، عندما قاموا بالالتفاف على الجانب الغربى عبر الصحراء لمهاجمة عمق القوات العراقية ، مع شن هجمات تثبيتية على طول الحدود الكويتية .

وهناك من يعتقد أن الجولة الثانية ، التى انتصر فيها خالد والكفار على المسلمين ، تمت فى منطقة معسكر المشركين . ونرى أن هذا غير منطقى وبعيد عن الواقع ، لأن معسكر الكفار كان على مسافة لاتقل عن سبعمائة متر، وربما تزيد عن موقع بدء القتال ، وفى هذه الحالة لن يكون هناك تأثير من سهام رماه تل عينين – لبعد المسافة – على المشركين . ولا حاجة لخالد بالتالى أن يقوم بالالتفاف على الرماه ومهاجمتهم أولاً ، فكان الأجدى له فى هذا الموقف الحرج الذى يهاجم فيه المسلمون المعسكر، أن يسارع بنجدة نساءهم ، ومهاجمة أجناب المسلمين المفتوحة وهم يغتنمون معسكر المشركين . فلا قيمة لمهاجمة عشرة رماه على هذا البعد .. والشئ الثانى ، هل من المتصور أن يترك الرسول الكريم ﷺ المسلمين يبعدون كل تلك المسافة ويغتنمون ، ولا يتدخل ؟! فالمعركة بدأت وانتهت فى مكان واحد .

الدروس المستفادة من معركة أحد :

من جانب المسلمين :

أولاً : أهمية وجود عناصر تأمين الأجناب فى تشكيل القتال .

عين الرسول الكريم ﷺ خمسين فرداً من الرماه على تل عينين لتأمين الجانب الأيسر لجيش المسلمين ، بمهمة منع فرسان المشركين

من الالتفاف خلف ظهر الجيش . وبهذا فإن الرسـول الكريم ﷺ بحنكته العسكرية ، قد أعطى درساً فى اسلوب تأمين العمق والأجناب . وهذا ما يعرف فى المعارك الحديثه مع اختلاف المسافات ، بمفارز تأمين الأجناب .

ثانياً : يجب عدم ترك القوات لأماكنـها بدون أوامر:

غادر الرماه أماكنهم على تل عينين بدون أوامر، فأتاح بذلك الفرصة لقوة ميمنة المشـركين بقيادة خالد بن الوليد من الالتفاف خلـف جـيش المسـلمين ومهاجمته . وكان ذلك سبباً فى تحول سير القتال ، من صالح المسـلمين إلـى نصر للمشركين . ولو تمسكوا بأماكنهم لما انتصر المشركون . وهذا درساً فى أهمية عدم ترك القوات لأماكنها بدون أوامر أو تعليمات .

ثالثاً : ضرورة تنفيذ القوات للمهام المخططة :

عندما التزم المسلمون بتفيذ توصيات الرسول الكريم ﷺ ، كـان لهـم النصر فى المرحلة الأولى من المعركة . وعندما لم يتم الالتزام بتنفيذ المهام المخططه وترك الرماه أماكنهم ، وبحث المسلمون عن الغنائم ، حادوا بـذلك عن مهامهم ، فكانت فرصة لخالـد انتهزهـا فانقلبـت المعركـة لصـالح المشـركين ، وهذا درساً إنضباطياً قبل أن يكون قتالياً .

<u>**من جانب المشركين :**</u>

أولاً : أهمية تحقيق تفوق فى القوات :

استطاع المشركون من حشد ثلاثة آلاف مقاتل ، أمام سبعمائة مقاتل فكانوا أربعة أضعاف جيش المسلمين ، وهذا التفوق هو أساس تحقيق النصر فى المعركة . وأثبتت الحروب الحديثه أنه لضمان تحقيق النصر، يجب تحقيق نسبة تفوق لاتقل عن ٢:١ فى الهجوم ، وكلما ارتفعت هذه النسبة زادت معها فرص تحقيق النصر.

ثانياً : ضرورة استغلال الثغرات لمهاجمة الأعماق .

استطاعت ميمنة جيش المشركين بقيادة خالد بن الوليد ، من استغلال الفرصة أوالثغرة التى ظهرت لهم ، عندما ترك رماة المسلمين أماكنهم ، وانشغلوا فى جمع الغنائم . فهاجموا عمق المسلمين ، ثم انقضوا على ظهر الجيش ، فأحدث ذلك هزة وإرباك فى صفوف المسلمين ، استغلها المشركون وأعادوا اتزانهم فهاجموا من الأمام والخلف وحققوا النصرعلى المسلمين .

ثالثاً : أهمية تواجد دافع قوى لتحقيق النصر .

كان للمشركين دافع قوى اجتمعوا عليه لتحقيق النصر ، وهو الثأر لقتلاهم فى غزوة بدر ، والإنتقام لشرفهم واستعادة هيبتهم ، التى افتقدوها بين القبائل فى الجزيرة العربية ونجحوا فى ذلك . أما بالنسبة للمسلمين فكان هناك رغبة كبيرة فى الدفاع عن دينهم ، وضحت تماماً فى مراحل المعركة الأولى، ولكن يبدو أن دوافعهم الشخصية فى الإغتنام كانت أكبر .

***

خالد وغزوة الأحزاب (الخندق)

(ذو القعده ٥ هـ / أبريل ٦٢٧ م)

قام الرسول الكريم ﷺ ومعه أصحابه – لمواجهة جيش المشركين – بحفر خندق حول المدينة بناءاً على مشورة سلمان الفارسى ، الذى قال : " يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا " .

وتم الحفر على مدخل المدينة من الاتجاه الشمالى الغربى ، حيث أنه الجانب الوحيد الذى يستطيع أن يتقدم منه المشركين ويهاجموا المدينة . فالجهات الثلاثة الأخرى يكثر فيها البنيان والدور والنخيل ، ولايستطيع جيشاً كبيراً أن يدخله ، واقيم الخندق مُمتداً من أجم الشيخين شرقاً ومستنداً على جبل راتج ، إلى أطم المذاد غرباً مستنداً على جبل بني عبيد . بطول خمسة آلاف ذراع (٢,٥ كم) ، وعرض حوالى تسعة أذرع (٤,٥ متر) وعمق سبعة أذرع (٣,٥ متر)[١] .

واستغرق حفره خمسة عشر ليلة[٢]، وانتهى العمل فيه قبل وصول قوات الأحزاب بثلاثة أيام ، وشارك فى العمل ثلاثة آلاف من المهاجرين والأنصار وقد خص الرسول الكريم ﷺ ، كل عشرة بأربعين ذراع (٢٠ متر) بمعنى لكل فرد حفر مترين ، وشارك الرسول الكريم ﷺ أصحابه فى الحفر واستكملت أعمال تحصين المدينة واخلاء المنازل التى تواجه الخندق .

---

[١] دراسة صادرة عن مركز دراسات وبحوث المدينة المنوره . وانظرأطلس تاريخ الإسلام د. حسين مؤنس .

[٢] إختلف المؤرخون فى مدة حفر الخندق ، فعند الواقدى أربع وعشرون ليلة ، وذكر النووى فى كتابه الروضة خمسة عشر يوماً وذكر أبن القيم فى الهدى النبوى أن المدة أستغرقت شهراً كاملاً وأبن الجوزى فى كتابه الوفا أنهم فرغوا حفره فى ستة أيام وهذا مبالغ فيه ، إلا أن خمسة عشر يوماً هى المدة الأقرب لضخامة العمل والحاجة إلى سرعة الانجاز مع قلة الأمكانيات.

وأقبلت جيوش الأحزاب بجيش قوامه عشرة آلاف رجل فى أكبر حشد عرفته الجزيرة العربية فى ذلك الوقت ، وساروا جميعاً تحت قيادة أبى سفيان بن حرب إلى أحد ، ولم يجدوا المسلمين كالمرة السابقة فى معركة أحد ، فتابعوا سيرهم إلى المدينة ففوجئوا بالخندق الذى لم يتوقعوه ، واضطروا أن يعسكروا أمامه ، بعد أن ادركوا صعوبة إجتيازه .

ماذا تفعل الأحزاب ؟!

طافت قوات الأحزاب بخيولها حول الخندق ، لعلها تجد ثغرة تعبر منها ، إلا أن جهودهم ومحاولاتهم باءت بالفشل . فعرض الخندق لايسمح لأى فارس مهما كانت مهارته فى إجتيازه بفرسه ، كما أن عمقه لايسمح لأى فرد بالنزول إلى قاعه ، والقفز أوالصعود للجهة الأخرى ، حتى لو كان يساعده فرداً اخر . ثم حاول بعض فرسان قريش التسرب إلى الخندق من الأجناب فرادى أو جماعات ولكنهم لم ينجحوا . حيث كان المسلمون يتابعون تحركاتهم من الطرف الأخر للخندق ، وكلما اقتربت مجموعة من المشركين تصدى لها المسلمين بالحجارة والسهام .

وطاف خالد بفرسه حول الخندق ، لعله يجد مكاناً يسمح له بالتسرب من خلاله ، ولكنه لم يفلح كغيره فى إيجاد ثغرة ينفذ منها . وطال الحصار وبدأ اليأس يتسرب للأحزاب من إمكان اقتحام الخندق . وشعروا بأنه لا طائل من استمرار الحصار لاكثر من عشرين يوم ، فمن الصعب بل المستحيل اجتياز الخندق ومهاجمة المسلمين . وجاء ليل عصفت فيه ريح شديدة ، وهطلت امطاراً غزيرة ، واشتدت العاصفة ، فأقتلعت خيام الأحزاب ، ودخل الرعب قلوبهم وقرروا الرحيل إلى ديارهم بمكة ، كالأسد الجريح ، فحملوا ما يمكن حمله وانطلقوا عائدين غير مُبالين بالنتائج . ولتأمين ارتداد جيش المشركين عين خالد بن الوليد وعمرو بن العاص على الساقة ، خشية أن يتبعهم المسلمين .

تحليل المعركة :

لم يكن لخالد بن الوليد دوراً بارزاً فى هذه المعركة مُقارنة بغزوة أحد . لكن محاولاته اجتياز الخندق أكثر من مرة تدل على شجاعته ، واصراره علـــى تنفيـــذ مهمته ، من خلال البحث عن ثغرة ينفذ منها ، ويستطيع منها قلب الموازين كمـــا فعل فى معركة أحـــد ، لكن لم يمهله الوقت ولا الرياح لتحقيق هدفه . وجاء توليه قيادة الساقه لتأمين انسحاب الأحزاب إلى مكة دلالة على تقـــدير قـــريش لكفاءتـــه وشجاعته .

ويمكن القول أن خالد قد استفاد من هذه الغزوة على الرغم من عـــدم وجـــود قتال ، فالتعايش أكثر من عشرين يوم ميدانياً فى حـــالة حرب ، ولفتـــرة طويلـــة يعتبر تدريباً عملياً جيداً . ألهمه - بالطبع - أفكاراً لاجتياز هـــذا المـــانع . إنهـــا خبرات أُضيفت لخالد ، ووقت الشدة والحاجة سيجد تلك الخبرات ســـنداً لـــه فـــى معاركه . وهذا ما سنراه أثناء فتح العراق .

وتعتبر وقعة حفر خندق دفاعى ، الأولى فى تاريخ العـــرب وشئ غريب عليهم . ففوجئت به الأحزاب ولم يستطيعوا اجتيازه ، كما لم يحاولوا التغلب عليه عن طريق ردم جزء من الخندق واستغلاله فى عبور قواتها أو حتى الالتفاف من أى جهة اخرى لعلهم يجدوا منفذاً ، كما لم يقوموا بدفع مجموعات متسللين ليلاً لتنفيذ اغارات ليلية تهز من معنويات المسلمين ، وتمهد الطريق أمام دفع مجوعات أكثر عدداً .

الدروس المستفادة من معركة الأحزاب :

أولاً : الخندق الدفاعى جزء من منظومة دفاعية متكاملة :

على الرغم من عدم وجود دروس قتالية من هـــذه الغـــزوة ، إلا أنهـــا أفرزت درساً مهماً ، وهواسلوب تأمين المواقع الدفاعية وخاصة عندما يكـــون هناك تفوق للعدو. وأهمية الدرس تأتى من أهمية البحث عن أفكار جديدة وغير

تقليدية تؤمن الدفاعات والقوات ، لذلك كان حفر الخندق درساً هاماً لمواجهة تفوق قوات العدو ومنعه من مهاجمة المدينة .

والخندق لم يكن هو الدرس فقط ، بل منظومة الممانعة المتكاملة التى أنشأها المسلمون . ودخلت فيها التحصينات الميدانية التي تعتمد على الأحجار الموجودة فى المنطقة ، وعلى نظام إخلاء بعض المنازل ، وخاصة القريبة من الخندق واستغلال البعض الأخر لصالح اعمال القتال المنتظرة ، بالاضافة إلى وضع مجموعات قتالية قريبة من الخندق ومستعده للإندفاع فوراً لمواجهة أى عناصر ، قد تنجح فى التسلل من الخندق وبذلك يكون الدرس المستفاد ، هو الخندق الدفاعى فى إطار منظومة دفاعية متكاملة .

ثانياً : أهمية وجود قوات تدافع عن المانع الدفاعى :

برز من خلال تحليل المعركة ، المحاولات التى قامت بها الأحزاب للتسلل من الخندق ، وكان لوجود قوات قريبة من الخندق تدافع عنه أهمية كبرى فى القضاء على العناصر التى حاولت التسلل . فلولا هذه القوات لنجحت عمليات التسلل بقوات وبأحجام مختلفة . فالدرس البارز " لا قيمة لمانع لا يؤمن بقوات " .

***

خالد والتصدى للمسلمين فى عام الحديبية

بعد انقضاء ست سنوات ، منذ هاجرالمسلمين إلى يثرب أصبح المسلمون متشوقون إلى زيارة الكعبة ، وأداء مناسك الحج والعمرة . وذات يوم أخبرهم الرسول بأنهم سيتوجهون إلى المسجد الحرام إن شاء الله أمنين ، لاداء العمرة فى الأشهر الحرم ، دون قتال أو حرب ، وأوفد رسله إلى القبائل من المسلمين وغير المسلمين ، يدعوهم للاشتراك معه والخروج إلى بيت الله الحرام حجاجاً وليسوا غزاة ، لأداء فريضة فرضها الإســلام ، كما فرضتها عادات وتقاليد العرب من قبل .

وفى شهر ذوالقعده الحرام من العام السادس للهجرة ، خرجت جموع المسلمين من المهاجرين والأنصار فى ألف وأربعمائة من الرجال والنساء ، ولم يحملوا معهم سلاحاً غير سيوفاً مغمدة ، وبلغ قريش أمر محمد ﷺ فقرروا الحيلولة بينه وبين دخوله مكة . فأرسلوا خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل إلى أطراف مكة ، على رأس جيش من الفرسان يبلغ مائتين ، وتقدموا ليحولوا بين الرسول ﷺ والمسلمين ودخولهم مكة . وعندما رآهم الرسول ﷺ على مرمى البصر ، سلك بالمسلمين طريقاً أخر وعراً إلى مكة ، والتف به حول الفرســان حتى لايصطدم بهم ، رغم ما فى هذا الطريق منْ مشقة على المسلمين .

وعندما رأى خالد بن الوليد ما صنعه الرسول ﷺ وأصحابه ، ركضوا راجعين أدراجهم ليقفوا مدافعين عن مكة إذا داهمها المسلمون . ولما صالح النبى ﷺ قريش ودخل المســلمون مكة للعمرة ، كره خالد أن يشهد هذا المشهد ، فكانت عداوة الإسلام لا تزال عميقة فى قلبه ، وتغيب حتى يعتمر المسلمون ويرجعوا من حيث أتوا ، فقد كانت كراهيته للإسلام من كراهية أبيه .

***

إسلام فارس

أسلم خالد فى شهر صفر من السنة الثامنة للهجرة ، وكان إسلامه إسلام عقل قبل أن يكون إسلام قلب ، فأسلم وسلم كفارس فى ميدان القتال . فلم تكن هناك أى مظاهر تدل على أن خالد فى طريقه للإسلام ودخول الدين الجديد . حتى أقرب الناس إليه لم يدركوا ما يدور فى رأسه ، فلم يستشعروا منه إلا الكراهية والبغضاء لهذا الدين ، ولم يعرفوا أن الأطوار التى يمر بها ستقوده إلى الإسلام فى النهاية . إلا أن من يحلل رحلته قبل الإسلام ، يجد أنه قد مر بمراحل حتى وصل لأعتاب هذا الدين الجديد .

فكانت أولى المراحل التى مر بها مرحلة العداوة والكراهية لهذا الدين ، الذى يحاول أن يقضى على دين الأجداد . وفى هذه المرحلة اكتسب خالد عداوته من كره أبوه لهذا الدين ، فأبوه قد فعل الكثير لإيقاف مده وانتشاره وهو كبير أهله وعشيرته . فتوجه فى بداية الدعوة ومعه قومه إلى عم النبى أبى طالب ، وطلبوا منه أن يكف أبن اخيه عنهم أو يتخلى عنه ، فردهم أبو طالب رداً جميلاً . ثم عادوا إليه ثانية ليسلمهم محمد ليقتلوه ، لأنه خالف دين الأباء وفرق بين قريش ، وسيسلموه بدلاً منه الوليد بن الوليد ، وكان فى ذلك الوقت من أقوى فتيان قريش وأجملهم ، وطلبوا من أبى طالب أن يتخذه ولداً له[1] .

وعرض الوليد التخلى عن إبنه فى سبيل قتل محمد والقضاء على هذا الدين ، دلالة على مدى كره الوليد الشديد للإسلام . وعندما فشل الوليد بن المغيرة فى إيقاف هذا المد الإسلامى ، تحول إلى مزيد من الكراهية والعـداوة لهذا الدين الجديد ، وكان طبيعياً أن ينتقل إلى أولاده وخاصة خالد بن الوليد .

وجاءت مرحلة أخرى فى رحلة خالد مع الإسـلام ، وهى مرحلة المواجهة

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٦٥ ، ١/ ٢٦٦ – ٢٦٧ .

والقتال مع أتباع هذا الدين الجديد . واشترك خـــالد فى معارك أحـــد والأحزاب ، وكان مُعيناً من قبل قريش ، ومعه مجموعة من أصحابه لقتل محمد عندما تحين الفرصة .

ولما فشل الكفار فى مسعاهم ومات أغلب الشيوخ ، واستمرت الدعوة فى قوتها وانتشارها وتزايد أعداد المسلمين . انتقل خالد إلى مرحلة جديدة ، وهى مرحلة التفكير ومراجعة النفس ، وهنا صارت المواجهة داخله ، خالد مع نفسه ، حديث العقل . لماذا هذا القتال ضد محمد ؟ وهو من نفس عشيرتنا وشرفه شرفاً لنا جميعاً ، وفى نفس الوقت لا يريد ضرراً للكعبة ، ولها موضع التقدير والإحترام من المسلمين ، وهنا وصل خالد إلى مرحلة مراجعة موقفه ، وأدرك فى نهايته أنه لايستطيع مواجهة الدعوة الإسلامية ميدانياً .

وهنا فكر خالد بعقلية الرجل العسكرى ودرس الموقف من كل جوانبه ، ولم تأخذه النزعة الدينية أو العاطفية ، ففكر بالمنطق والعقل ، فوجد أن فرص الفوز والقضاء على هذا الدين معدومة ، فى ظل ازدياد إنتشاره وانضمام العديد من العبيد والسادة إليه ، ومنهم أخوه الوليد ، فرأى فى النهاية أنه لا مناص من أن يُسلمَ ويَسلم . فكان إسلامه ، كتسليم فارس فى الميدان . وكما ذكر كاتبنا الكبير العقاد فى كتابه عبقرية خالد : " كان إسلام خالد ضرباً من التسليم بمعناه العسكرى ". وبنهاية تلك المرحلة وصل خالد إلى حتمية التسليم .

ومع ذلك كان كبرياء خالد يمنعه من إعلان إسلامه طواعية ، على الرغم من وصوله إلى عتبة الإسلام ، وينتظر فقط من يخرجه من تردده ويفتح له الباب ، فكانت رسالة أخيه الوليد الذى دخل الإسلام ، أخر محطة فى مرحلة التسليم ، فقال أخوه فى رسالته : " فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإســلام ، وعقلك عقلك ، ومثل الإسلام يجهله أحد ؟ " .. ثم مضى يقول : " سألنى رسول الله ﷺ فقال: أين خالد ؟! فقلت : يأتى به الله ، فقال ما مثل خالد يجهل الإسلام ، ولو جعل

نكايته [1] وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقدمناه على غيره . فاســتدرك يا أخى ما فاتك منه ، فقد فاتتك مواطن صالحة " . فكانت تلك الرسالة هى أخر ما دفع خالد لدخول الإسلام .

وذهب خالد فى طريقه إلى يثرب ليعلن إسلامه للرسول الكريم ﷺ ، فلقى فى الطريق عثمان بن أبى طلحة ، فحدثه بأنه يريد الدخول فى الإسلام ، فشجعه عثمان وانضم إليه ، وأثناء السير قابلهما عمرو بن العاص وعرفا منه أنه فى طريقه لدخول الإسلام أيضاً ، وعندما علم الرسول بقدومهم قال لإصحابه : "رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها " . فقوى الإسلام بهم ، وأصبح بعدها الطريق مفتوحاً نحو فتح مكة .

*****

---

(١) نكايته : مواجهة العدو والنيل منه وقهره .

معارك خالد بعد إسلامه

معركة مُـــؤتة [1] :

(جماد الأول ٨ هـــ / سبتمبر ٦٢٩ م)

تعتبر سرية [2] مؤتة أولى الأعمال التى شارك فيها خالد بعـد إسـلامه ، وترجع خلفيتُها إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد ضمن هدوء واسـتقرار الاتجاه الجنوبى من شبه جزيرة العرب ، بعد عقد صلح الحديبية مع قريش ، وكذا قبول أهل اليمن لرسالة الإسلام ، كما ضمن أيضاً تأمين ناحية الشمال فى اتجـاه الشام ، بعد هزيمة اليهود وخضوعهم إلى سلطان المسلمين وتوقيع صلح معهم [3] .

فسعى النبى إلى نشر الإسلام شمالاً ، لتكون الشام والبلاد المجاوره محطـة لنشر دعوته ، فأرسل وفداً من خمسة عشر رجلاً إلى ذات الطلـح بمقربـة مـن الشـام ، ليدعوهم إلى الإسلام فقتلوا جميعاً ، عدا رئيسهم نجا وحده من القتـل . فعاد ليخبر الرسول بما حدث من قتل وتمثيل بجثث المسلمين ، ونقل له رفضـهم دعوة الإسلام والإستهزاء بها ، استناداً إلى قوة الروم التى تحميهم وتناصرهم .

كما أرسل النبى الكريم فى هذا الأتجاه أيضاً ، الحـارث بـن عُميـر الأزدى رسولاً إلى حاكم الغساسنه بُبصرى والتابع للروم ، فلم يكن أفضل حـالا وقُـتل أيضاً ، وهذا يخالف كل الأعراف التى كانت سائدة فى هذا الزمان ، من عدم قتـل الرسل الذين يحملون رسائل .

وأمام ذلك لم يجد النبى غير الثأر لرجاله المقتـولين غـدراً ، وتوجيـه رداً انتقامياً ضد الغساسنه على فعلتهم النكراء ، حتى لا يكون موقف المسلمين ضعيفاً

---

(1) مؤتة : تقع على اطراف الشام الجنوبية شمال معان وعلى مسافة حوالى ٧٥٠ كم من المدينة .

(٢) السرية : يطلق على مجموعة المسلمين التى يرسلها الرسول لمهمة قتالية ، وقد لا يحدث فيها قتال ، وغالباً ما يكون عدد أفرادها قليل . (٣) ارسل النبى رسله إلى الأمراء من حَوْله وإلـى ملـوك الفـرس والروم والمقوقص حاكم مصر ونجاشى الحبشه يدعوهم للإسلام .

ومتخاذلاً ، ولا يعطيهم الفرصة ليتجرأوا على اقتحـام الصحـراء ومداهمـة المسلمين ، للحد من إنتشار رسالتهم أو القضاء عليها . ولو فعل الغساسنة ذلـك ، سيجدوا دعماً من الدولة الرومانية بالمال والسلاح ، ومناصرة الكثير من القبائـل العربية المتربصة للغدر بالإسلام .

التحرك إلى مُـؤتة :

كون الرسول الكريم ﷺ جيشاً صغيراً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ، فى جمـاد الاول من السنة الثامنة للهجرة الموافق سبتمبر من عام ستمائة وتسعة وعشـرين ميلادياً . وكان خالد ضمن هذا الجيش مقاتلاً وليس قائداً لكونـه حـديث عهـد بالإسلام ، وعين النبى زيد بن حارثة[1] قائداً لهذا الجيش ، وقـال: " إن أُصـيب فالراية لجعفر بن أبى طالب ، وإن أُصيب فعبد الله بـن رواحـة ، وإن أُصـيب فليرتضى المسلمون رجلاً يجعلوه أميراً عليهم " .

وأمرهم بالتوجه حيث قتل الحارث بن عُمير رسوله إلى بُصرى فيدعوهم للإسلام ، فإن لم يستجيبوا فالقتال . وأوصـاهم بألا يغدروا ولا يغلوا ولا يقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولا كبيراً ولا فانياً ولا معتزلاً بصومعة ، ولا تقربوا نخلاً ولاتقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء[2] . فمضى المسلمون وهم يظنون بأن النصر سيكون حليفهم ، فيباغتون أهل بادية الشام على غِرة منهم ويعودون والغنائم من نصيبهم ، حتى نزلوا بمُعان على مقربة من الشام وأقاموا بها ليلتين استعداداً للمعركه .

وعلى الجانب الأخر ، كان للروم عيونهم فى البوادى ، فلما علموا بتحرك جيش المسلمين ، استعد جيش الروم بقوة من مائة ألف مقاتل ، ويقال أن هرقل امبراطور الروم كان على رأس تلك القوة ، وفى قولاً أخر أن تيودور أخاه هو

---

(1) زيد بن حارثة : مولى الرسول ، إتخذه ابناً له ، وورد إسمه فى القرآن الكريم فى سورة الأحزاب آيه ٣٧ .

(٢) أنظر المغازى ، لأبى عبدالله محمد الواقدى .

الذى قاد قوات الروم ، هذا بجانب قوات قبائل الغساسنة الموالية للروم فى الشام تحت قيادة شرحبيل الغسانى ، والتى قدرت أيضاً بمائة ألف مقاتل لتصبح قوة الروم وحلفائها مائتى ألف مقاتل ، فى مواجهة ثلاثة آلاف من جيش المسلمين .

إصرار المسلمون على القتال :

برغم التفاوت الكبير فى القوه بين الجانبين ، واحساس المسلمون بأن القتال مع هذا العدد الكبير لن يكون مُجدياً ، إلا أنهم أصروا على القتال ، ولم يشأوا أن يرجعوا قبل الأنتهاء من مهمتهم ويحققوا هدفهم ، فتقدموا من مُعان إلى مؤتة فى مسيرة ليلتين ثم التقى الفريقان . فأستمات المسلمون فى القتال حتى قُتل زيد بن حارثة ، فأخذ الراية جعفر بن أبى طالب وأندفع فى الصفوف يقاتل حتى قُتل ، فتولى الراية عبدالله بن رواحـــة وظل يقاتل حتى قُتل ، و كان أخر القادة الشهداء فى المعركة .

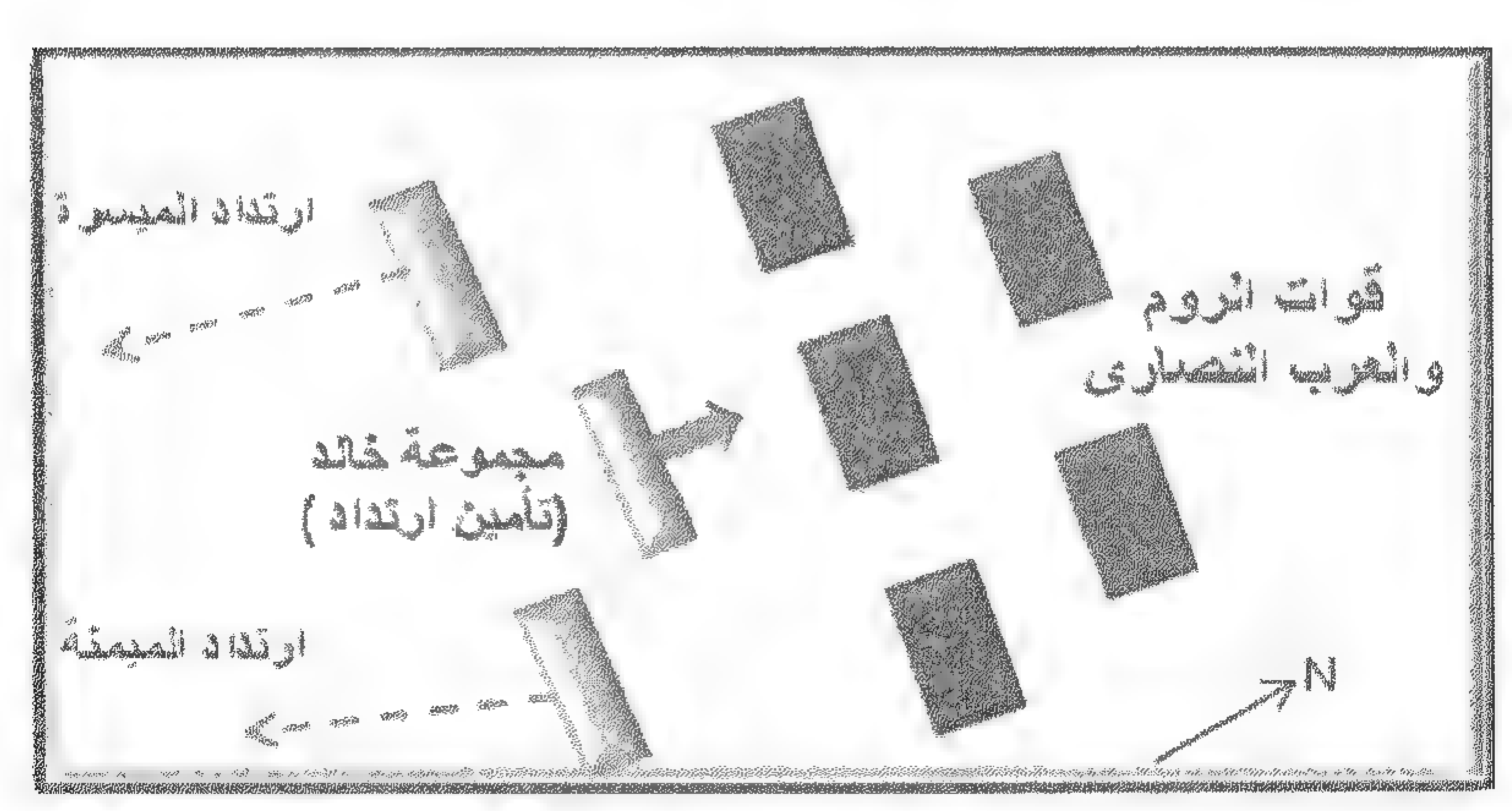
صار المسلمون بدون قائد يُدير المعركة ويُسيطرعليها ، وإذ بثابت بن أرقم يرفع اللواء وينادى أصحابه عملاً بتوصية الرســول .. يامعــشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت .. فقال: " ما أنا بفاعل" فاندفع بالراية نحو خالد .. وقال: " خذ اللواء يا أبا سليمان" .. فقال خالد: " أنت أحق به ، أنت رجل لك سن ، وقد شهدت بدرا " .. فقال ثابت: " خذها أيها الــرجل فوالله ما أخذت الراية إلا لك " . فأخذ خــالد الراية واجتمعت كلمة المسلمين فى هذا الموقف الصعب ، على خـــالد بن الوليد ربيب الحرب فولوه عليهم وســلموه قيادتهم . فكانت أول معركة يقودها خالد فى الإسلام . وتسلم قيادة جيش منُهزم قليل العدد ، ويواجه جيشاً عظيماً كثير العدد والعده .

وهنا ظهرت مواهب خالد العسكرية فى هذا الموقف الصعب . فقرر أن يرتد ارتداداً مأموناً ، لاستحالة تحقيق نصر فى تلك الظروف ، وأول شئ صنعه هــو اللجؤ إلى الحيلة ، فأدخل فى روع عدوه أنه لا ينوى الارتداد بل الاســتمرار فى

القتال ، فصمد يقاتل حتى المساء . وتحت جُنح الظلام ، بدأ فـــى تنفيـــذ خطتـــه للتخلص من المعـــركة ، فأجرى بعض الأعمال الخداعية التى تنم عـــن موهبـــة عسكرية .

فقام خالد ببعض التحركات التى توحى للعـــدو بـــأن هنـــاك امـــداداً ومـــدداً للمـــسلمين ، فنقل الميمنة إلى موقع الميسرة ، والميسرة إلى موقع الميمنة ، وجعل طائفة من الجنود يثيرون الغبار والرمال خلف الجيش ، ويكثرون الجلبـــة خاصـــة عند طلوع الفجر.

وفى الصباح وجد الأعداء من الروم والغساسنه ، وجوهاً وأعلاما وزياً غيـــر شاكلة الأمس ، فتأكدوا بأن الجلبة التى حدثت بالليل ، ما هى إلا مدداً جديداً وصل جيش المسلمين . وقد ضاقوا بقتال المسلمين بغير مدد ، فكيف يكون القتال بعد هذا المدد الجديد . وهنا بدأ خـــالد فى تنفيذ خطة ارتداد منظمة ، بدأها بهجوم أقـــرب إلى المدافعة بمجموعة صغيرة هو على رأسها ، وهنا ظن الروم أن هذا الهجـــوم بفضل المدد الذى وصل ليلاً ، وفى الحقيقة كان قتالاً تعطيلياً الغرض منـــه ســـتر ارتداد باقى القوات .



هجوم مجموعة خالد لتأمين عملية الارتداد كروكى رقم(٣)

وأبلى خالد فى هذه الموقعة بلاءاً لم يبليه قط فى غزواته على كثرتها ، ومـــن شدة القتال كسرت فى يده تسعة سيوف ، ولم تصمد إلا صحيفة يمنية . وانســـحب

باقى الجيش بالتتالى تحت ستر مجموعة القتال التعطيليه التى يقودها خالد . وبعد أن تأكد له ارتداد باقى الجيش بأمان ، قام خالد بالتخلص من المعركة والارتداد السريع بمجموعته ، ليلحق بقواته المنسحبة فى عمق الصحراء .

وهنا وقفت قوات الروم بعد انسحاب خالد ولم تطارده ، ظناً بأن جيش المسلمين الذى أتاه المدد ليلاً وهاجم صباحاً ثم ارتد ، إنما يعد كميناً كبيراً فى الخلف لهم ، فالكمائن هى أحد اساليب القتال التي يتقنها عرب البدو. فزيادة منهم فى الحيطة والحذر لم يتبعوا خالد ، وانتظروا خطوته المقبلة فما كان من خالد إلا أن أكمل ارتداده ، وعاد بقواته سالماً إلى المدينة واستشهد فقط إثنى عشر منهم القادة الثلاثه .

تقدير الرسول لكفاءة خالد :

استقبل المسلمون الجيش العائد بالسخط والغضب ، وجعلوا يلقوهم بالتراب ويقولون .. يافرار.. فررتم فى سبيل الله ، فيقول النبى .. ليسوا بالفرار، إنهم الكرار إن شاء الله ، ولما عرف النبى الكريم ﷺ بما فعله خالد منحه أغلى الألقاب **سيف الله** . تقديراً منه لبطولته وحسن تصرفه وقيادته الحكيمة لجنوده فى أحلك الأوقات .

فلو أن خالد إنجرف خلف الحماسة والمخاطرة ، ولم تتملكه روح البصيرة ، لساءت العواقب وتعرضت الدعوة الإسلامية لهزة شديدة . فلنا أن نتصور جيش المسلمين يذهب فى حملة تأديبية ثم لا يعود منه أحد ، جنوده قُتلوا أو أُسروا ، موقفاً لو حدث لكان وبالاً على المسلمين ، لكن الجيش عاد بعد أن أبلى بلاءاً حسناً. وتناقلت أخباره حتى أطراف الجزيره ، لتعلن أن جيش المسلمين الصغير صمد أمام جحافل الروم والغساسنه وعاد ولم يُهزم .

تحليل المعركة :

يعتبر ما أنجزه خالد وجيش المسلمين ، عملاً عسكرياً عظيماً من كافة الوجوه . فتنفيذ عملية الارتداد ليس بالعمل السهل . وقد طبق نفس الأسلوب روميل القائد الالمانى بشمال أفريقيا فى معركة العلمين عام ١٩٤٢م ، عندما رفض تبديد رجاله فى معركة خاسرة ، وأدرك إستحالة استمرار القتال وتحقيق النصر على الجانب البريطانى المتفوق ، فنفذ – أيضاً – الارتداد المنظم المأمون ، وكأن القائدان من مدرسة عسكرية واحدة .

وعلى هذا المنوال انسحبت القوات العراقية من الكويت عام ١٩٩١م ، تحت صغط الضربات الجوية لقوات التحالف الدولى ، التى استمرت سبعة وثلاثون يوماً إلا أن نجاح هذا الانسحاب علامة استفهام وتعجب ؟! تحتاج إلى جواب ، فلماذا لم تتدخل القوات الجوية للتحالف الدولى ضد القوات العراقية وسمحت بهذا الانسحاب الآمن ؟!

وللأسف الشديد كان اسلوب الانسحاب الذى نفذته القوات المصرية فى عام ١٩٦٧م ، أمام القوات الإسرائيلية فى سيناء ، يبعد تماماً عن نموذج ارتداد خالد أو روميل ، فكانت الخسائر فى الأرواح والمعدات كثيرة .. والهزيمة مؤلمة .

ورغم نجاح خالد فى ارتداده ، فلنا بعض التحفظات على حجم القوات المعادية أمام خالد وجيش المسلمين ، فنرى أن هناك مُبالغة كبيرة فيما ذكره المؤرخون ، حول قوة جيش الروم وقوات القبائل العربية المتحالفة معهم ، فجيش الروم حارب الفرس وانتصر، وبالقطع له خبرات قتالية سابقة ، ويعرف جيداً فنون الحرب واساليب القتال ، وإلا ماكانت له كل الانتصارات السابقه والفتوحات . فيحشد مائتى ألف مقاتل بقيادة هرقل أو شقيقه – أمام ثلاثة آلاف من جيش المسلمين – أمر يحتاج للمراجعة ويدفعنا للشك فى صحته ، وخاصة أنه كان للروم عيوناً كثيرة

من القبائل الموالية على أطـراف المدينة تُخبرهم بكل التحركات وأعداد القـوات القادمة .

بالإضافة إلى عدم واقعية تجهيز مثل هذا العـدد الكبير من الـروم ، فـور اكتشاف تحركات جيش المسلمين فى اتجاه مُعان أو مؤتة . فتحضير مثل هذا العدد يحتاج وقتاً طويلاً . كما أن هرقل لم يشارك بنفسه ضد المسلمين فى أى معركـة أثناء فتح الشام ، وكانت قوتهم حوالى أربعين ألف مقاتل ، فهل مقبولاً أن يتحـرك لمواجهة ثلاثة آلاف على أطراف الشام .

ولو تصورنا صحة تلك الأعداد ، فتكون مقارنة القوات (٦٦:١) ، بمعنى أن كل جندى من المسلمين يواجه ستة وستين مقاتلاً من الـروم ، فمنطقيـاً سـتكون الخسائر أكثر و هلاك جيش المسلمين أسرع ، مهما كانت حماستهم واستبسالهم فى القتال ، واستشهاد إثنى عشر فقط من المسلمين – بنسبة خسائر (٠،٤ %) – دليلاً على أن قوات الروم لم تكن بمثل هذا العدد الضخم .

والمقبول أن يكون عدد قوات الروم والقبائل المتحالفة ، فى حـدود خمسـة عشر إلى عشرين ألف ، وبهذا التصور تكون المقارنة فى المتوسط ، ستة أضعاف جيش المسـلمين ، وبهذا الوضع يكون من الصعب على جيش المسلمين استكمال القتال ، وتحقيق انتصار على الروم وحلفائها ، وهذا ما دفع خالـد عنـدما تـولى مسئولية الجيش بأن يتخذ قرار الارتداد . لأن الاستمرار فى القتال على هذا الشكل من التفاوت فى القوة ، سيؤدى – لاشك – إلى هزيمة ساحقة لجيش المسلمين . ولا ننسى أن المسلمين هُزموا فى أحد ، ومعهم الرسول الكريم ﷺ وكان المشـركون أربعة أضعاف المسلمين .

واختلاف رؤيتنا فى أعداد القوات ، لاينفى حقيقة وجود تفوق عددى لدى جانب الروم عن المسلمين بل يؤكده . ولولا هذا التفوق الكبير ، ما تم الارتداد أصلاً فى تلك المعركه . ونرى المبالغة إنما جاءت لإضفاء مُبرراً قوياً ومقنعاً

لإنسحاب المسلمين ، وما يؤكد ذلك أن كثيراً من المعارك ، التى خاضها المسلمون فى الفتوحات الإسلامية وانتصروا ، كانت فى ظل تفوق العدو عليهم ، ولكن ليس بهذه النسبة الكبيرة .

وجاء ارتداد جيش المسلمين فى معركة مؤتة ، ليؤرخ فى التاريخ على إنه انتصاراً وليس اخفاقاً . وليؤكد على موهبة خالد بن الوليد العسكرية فى أولى معاركه مع الإسلام ، وليعطى درساً فى كيفية تخطيط وتنفيذ الارتداد المُنظم ، أمام قوات أكثرعدداً وفى تلاحم معها . وقد يتسأل البعض لماذا التضخيم من هذا العمل الارتدادى ، الذى لم يحقق نصراً ، ألم يطبق العرب الارتداد من قبل ؟! بالطبع .. كانت هناك معارك قبل خالد تم فيها الارتداد ، ولكن أغلبها تم فى الصحراء بشكل الكر والفر، وليس الارتداد المُنظم المأمون . وفى معركة مؤتة أضاف خالد شكلاً جديداً لصورالمعركة ، وهو الارتداد المنظم ، وقبله كانت المعارك تعتمد على صورتين فقط ، هما الهجوم والدفاع .. وهذه فطنة من فطن خالد العسكرية .

الدروس المُستفاده من معركة مؤتة :

أولاً : أهمية التقدير السليم للموقف وسرعة إتخاذ القرار المناسب :

عندما تولى خالد القيادة ، كان عليه أن يختار بين استمرارالقتال على نفس وتيرة سابقيه ، ضد عدو يفوقه عدداً وعده ، ومقارنة القوات ليست فى صالحه ، واحتمالات النصر معدومه ، وبين أن يرتد ارتدادا مُنظماً مأموناً ، يحمى جنوده ويصون كرامة المسلمين ، فاختار خالد القرار المناسب – الصعب – وهو الارتداد ، بفطرته وموهبته العسكرية ، وأرسى بذلك مبادئ لإدارة عملية ارتداد مُنظمة ومأمونة .

ثانياً : يجب تنفيذ أعمال خداعية لتضليل العدو عن النوايا الحقيقية :

قام خالد بمجموعة من الإجراءات المُنسقة ، التى تهدف إلى تضليل العدو عن نواياه الحقيقية . فقام بتحريك قواته ليلاً وتغيير أوضاعها ، مع

رصد مجموعة تثير الغبار وتحدث الجلبة فى العمق ، للإيحاء بـأن هنـاك مدداً جديداً قد وصل إلى جيشه ليدعمه فى استكمال معركته . ونجح خـالد فى خداع العدو عن طبيعة الأعمال التى قام بها ليلاً ، ولولا ذلك لفطن العدو إلى حقيقة ارتداد جيش المسلمين وطاردوه وقضوا عليه .

ثالثاً : ضرورة تشكيل قوة ساترة لتأمين القوة الرئيسية أثناء الارتداد :

قام خالد بتكوين قوة ساتره ، مهمتها مشاغلة العدو وإجراء قتال تعطيلى يتيح الفرصة لباقى القوات للانسحاب ، ولوحدث تدخل قوى مـن العـدو ، واكتشف عملية الارتداد ستكون الخسائر فى المجموعة الساترة فقط ، ولـيس فى كل القوات .(فالقوة الساترة بمثابة مجموعة إنتحاريه).

رابعاً : تواجد القائد فى الموقع المُناسب لإدارة المعركة :

إختار خالد بحسه العسكرى التواجد ضمن المجموعة السـاتره ، التـى سيقع عليها العبء الأكبر فى نجاح المعركه ، وتأمين ارتداد القوة الرئيسيه ، وكان إختياراً موفقاً بدليل شدة القتال وكـسرعدداً كبيراً من السيوف فى يده ، وهذا يعكس صعوبة القتال . وقد يختلف البعض مع خالد فى أن القائد يجـب تواجده بصفة أساسيه مع القوة الرئيسية ، إلا أن خـالد لـه دائمـاً نظرتـه الخاصة ، فى التواجد فى المكان المناسب الذى يتـيح لـه السـيطرة علـى المعركة ، ولاسيما فى المواقف الحاسمة . وسيظهر ذلك فى معاركه لاحقـاً ضد المرتدين وفى العراق والشام .

خامساً : أهمية المُحافظه على القوات وعدم التضحية بهم :

أعطى خالد درساً فى أهمية المحافظة على أرواح الجنود ، فأرواحهم أمانة فى يد القائد ، وأثبت خالد بأنه قائداً متزنًا يحب جنوده ويحرص عليهم ، ولم يلق بهم إلى التهلكه فى معركة أحس بأنها خاسـرة ، ولم ينسـاق وراء الحماسة أوالشعارات التى تؤدى فى النهاية إلى هزيمة سافرة .

سادساً : القيادة للأصلح :

رحم الله ثابت بن أرقم الذى عرف قدر نفسه ، ورأى أنه ليس من الصالح أن يتولى القيادة ، ويوجد بين المسلمين من هو أجدر منه ، فسلم القيادة لمن يستحقها وجديراً بها . سلمها لخالد رغم فارق السن ، فالقياده أمانة وشرف ومسئولية ، وليست منصب أو جاه . فلو حدث أى خلل من قائد لايملك مؤهلات القياده ، لهلك جيش المسلمين وفقدت الدعوة الإسلامية قوتها ، فى وقت كانت فى أمس الحاجه إلى انتصار يرفع شأن الإسلام . فهذا درساً فى أهمية تولى القيادات الشابة أصحاب الكفاءات والقدرات للمسئولية القيادية .

سابعاً : العقيدة والكفاءة القتالية والقيادة الحكيمة يصنعون النصر :

واجه المسلمون جيش الروم وأتباعهم بشجاعة واستبسال ، ولولا عقيدتهم الإسلامية ، وإيمانهم القوى بالله سبحانه وتعالى ، وأن النصر أت لاجدال فى ذلك ، لما صمدوا فى القتال ولا انتصروا ، فكيف لجيش صغير يواجه جحافل الروم ويصمد ، ويُقتل قادته الثلاثه وهو ثابت لا يرتد ، فى وقت جرت العاده أن ينهزم الجيش إذا قُتل أميره .إنه جيشاً يملك – بلا شك– إيمان راسخ وعقيدة قويه ، وكفاءة قتالية عالية وقيادة حكيمة وكلها مقومات كافية لتحقيق النصر.

***

خالد وفتح مكة

(١٠ رمضان ٨ هـ / ٣١ ديس ٦٢٩ م)

ورد في اتفاقية الحديبية بين المسلمين وقريش ، أن قبيلة خزاعة دخلت فى عقد الرسول (أى تحالفت معه) ، وأن قبيلة بنى بكر دخلت فى عقد قريش . وكان بين خزاعة وبكر ثأراً قديماً ، هدأ بعد صلح الحديبية . إلا أن بعض رجال قريش ومنهم عِكرمة بن أبى جهل ، قاموا بتحريض حليفتهم بنى بكر، وأمدوهم بالسلاح للهجوم على قبيلة خزاعة . فهاجموهم فى منطقة الوتير وقتلوا منهم نفر كثير، وعندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعى إلى الرسول الكريم ﷺ ، يشكو قريش فعلتهم ويطلب دعم المسلمين .

رأى النبى ﷺ أن ما قامت به قريش هو نقضاً للعهد ، لا مقابل له إلا فتح مكة . فأرسل إلى المسلمين فى أنحاء الجزيرة أن يكونوا على أهبة الإستعداد للتحرك دون أن يعرفوا وجهتهم . وأثناء ذلك خشى حكماء قريش من رد فعل المسلمين لاعتداء بنى بكر على خذاعة ، وقرروا ارسال أبى سفيان بن حرب إلى الرسول الكريم ﷺ فى المدينة ، ليُثبت العهد ويزيد مدته ، إلا أنه لم يوفق فعاد إلى مكة مخزياً .

وبعد أن أخفى الرسول ﷺ أمره ، خرج على رأس جيشاً إلى مكة ليفتحها ، ولتكون الكعبة بيت الله الحرام فى يد المسلمين . وفى العاشر من رمضان من العام الثامن الهجرى ، تحرك الجيش بقوة عشرة آلاف مقاتل ، من المهاجرين والأنصار وبنى سليم وغطفان ومُزينة وغيرهم . ولم يكن الرسول ﷺ يريد لهذا الفتح أن يسال فيه قطرة دماء واحدة ، وزيادة فى الحيطة والحذر قسم الجيش إلى أربعة

فرق ، وأمرهم جميعاً بألا يقاتلوا أو يسفكوا الدماء إلا إذا اضطروا دفاعاً عن المسلمين ولرد العدوان .

ووضع الزبير بن العوام على الجناح الأيسر من الجيش ، وأمره أن يدخل مكة من شمالها ، وجعل خالد بن الوليد على الجناح الأيمن ، وأمره من دخول مكة من جنوبها ، وجعل سعد بن عبادة على أهل يثرب ليدخلوا مكة من جانبها الغربى ، أما أبوعبيدة بن الجراح فجعله على المهاجرين وسار معهم ليدخلوا مكة من أعلاها. ودخلت الجيوش مكة وفتحتها ولم يلق منهم مقاومة إلا خالد .

معركة خالد في فتح مكة :

كان يقيم فى منطقة عمل جيش خالد بن الوليد ، أشد القرشيين عداوة للإسلام . فلم يرضوا بما نادى به أبو سفيان من التسليم لفتح مكة فأعدوا عدتهم للقتال ، وفى نفس الوقت أعدوا عدة الفرار ، وكان على رأسهم صفوان وسهيل وعِكرمة بن أبى جهل . فلما دخل خالد وجيشه مكة من جنوبها ، أمطره القرشيون بالسهام ، فما كان من رجال خـــالد إلا أن بادلوهم النبال ، ثم هاجموهم وحاصروهم ففر القرشيون ، خشية الوقوع فى الأسر، وقتل من المسلمين إثنين فقط ، وقتل من المشركين ثلاثة عشر .

إعداد خالد للمستقبل :

يعتبر اشتراك خالد فى غزوة فتح مكة وقيادته لإحدى فرقها الأربعة ، تقديراً من الرسول ﷺ له وثقة فيه ، وخاصة بعد دوره فى تأمين ارتداد المسلمين فى سرية مؤتة . لذا اختاره على رأس فرقة تدخل مكة ، من أصعب الأماكن التى يُنتظر منها مقاومة عنيفة ، وعدم القبول بتسليم مكة . هذا من جانب الثقة والتقدير فى اختياره ، أما الجانب الأخر فكانت درجة من درجات إعداد وتأهيل خالد بن الوليد ، ليتولى أدواراً هامة ومسئوليات أكبر لنشـــر الإسلام ، ورفع رايته خارج الجزيرة العربية فى المستقبل القريب وقد كان .

خالد وبنى جذيمة

(شوال ٨ هـ / يناير ٦٣٠ م)

بعد فتح مكة وهدم الأصنام ، قرر الرسول تطهير البوادى المحيطة بها من المشركين عبدة الأصنام . وفى شهر شوال من العام الثامن للهجرة ، أرسل السرايا تدعو للإسلام دون قتال ، وتحطم الأصنام دون سفك دماء . وكان خالد على رأس سرية أُرسلت إلى نخلة لتهدم العُزى فى قبيلة شيبان ، وبعدها توجه إلى بنى جذيمة بقوة ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار وبنى سليم .

وكانت قبيلة جذيمة فى الجاهلية وقبل ظهور الإسلام ، معروفة بين القبائل بالشراسة والعنف وحُب القتال ، ولهم ضحايا وقتلى كثيرون ، فكان يطلق عليهم لعقة الدم . ومن قتلاهم الفاكة بن المغيرة وأخوه (عما خالد بن الوليد) ، وعوف بن عوف والد عبد الرحمن بن عوف ، ومالك بن الشريد وأخوته الثلاثة من بنى سليم ، وغيرهم من القبائل الأخرى .

وعندما أقبل خالد عليهم ، وعلموا أن بنى سليم معه أصابهم الشك فى غرض قدومهم ، فحملوا سلاحهم تحسباً للأخطار، فسألهم خالد : أمسلمون أنتم ؟ بعضهم قال : نعم ، وبعضهم قال : صبأنا (أى تركنا الأصنام) ، ثم سألهم : لماذا تحملون السلاح ، قالوا : بيننا وبين بعض القبائل عداوة ، فخِفنا أن تكونوا منهم فحملنا السلاح ، فقال لهم : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا . فصاح رجلاً منهم ويحكم يابنى جذيمة إنه خالد ، ما بعد وضع السلاح إلا الإسار وبعده ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً .

وبعد أن أقنعه قومه ووضع سلاحه ، وضعوا سلاحهم ، فأمر خالد فكتفوا ثم قتل بعض منهم ، وشاركه فى تلك الفعلة بنى سليم . وأنكر عليه المهاجرين والأنصار أن يقتل أحد دون أمر من الرسول الكريم ﷺ. وقد عم غضب الصحابة

– من حضر الغزوة ومن لم يحضرها – على فعلة خالد ، وقد أُتهم بأن دافعه الثأر لعميه ، ولهذا شاركه بنى سليم فى الأخذ بثأرهم .

على الرغم من أن الرسول الكريم ﷺ قد أثنى على خالد ومنحه أغلى الألقاب – **سيف الله** – حين أجاد فى مهمة لم يوكلها إليه ، وأجتمع رأى المسلمين عليه فى غزوة مؤتة . إلا أنه عندما علـــم بما فعله خالد ، رفع يديه إلى السماء وقال ثلاثاً : " اللهم إنى أتبرأ إليك مما صنع خـــالد بن الوليد " . وأرسل على بن أبى طالب إلى بنى جذيمة فدفع لهم دية قتلاهم ، وأبقى خالد فى موقعه رغم تلك السقطة .

دفاعاً عن خالد :

مما لاشك فيه أن خالد قد أخطأ ، وتعتبرهذه الفعلة من سقطـــات خالد ، ولكن من القائد الذى لم يخطئ فى ذاك الزمان ؟ وهناك فرقاً بين خطأ مقصود ومتعمد ، وأخر نتج عن سقطة غير متعمدة لعدم وضوح رد بنى جذيمة . إلا أننا مع ذلك نجد لخالد بعض المبررات التى دفعته لتلك السقطة الغير متعمدة ، فمن الصعب التصور أن خالد بن الوليد ، ذهب إلى بنى جذيمة وفى نيته قتل هؤلاء الناس أخذاً بثأرعميه ، فهو قادرعلى أخذ ثأره فى أى وقت إن أراد ، فخالد لا يضحى بإنجازاته التى حققها فى فترة وجيزة ، ويفقد ثقة الرسول الكريم ﷺ بقتل متعمد فى مهمة دعوة إسلامية ، فهذه ليست طباع خالد الفارس .

ولكن هناك قول يعذر خالد عن فعلته ، فقيل أنه تلقى من عبد الله بن حذاقة السهمى أمراً بقتال بنى جذيمة – إن هى قاومت – نقلاً عن الرسول الكريم ﷺ ، وعندما رآهم يحملون السلاح غلبه طابع الشـــدة ، فلم يقبل أن يُرفع السلاح فى وجوه من فتحوا مكة . وهم الآولى بالحفاوة والترحيب ، فلو قبل هذا التصرف منهم ، سيكون موقف المسلمين ضعيفاً ، فأراد خالد أن يكون الرد حاســماً لمن

قاوموه ، وخاصة إنه كانت هناك نية من بعض القبائل ، مثل هوازن وثقيف على محاربة الإسلام .

لماذا أبقى الرسول على خالد ؟

كان الرسول الكريم ﷺ بما لديه من بُعد نظر وتفهم لنفسية خالد ، يدرك أن ما قام به خالد عثرة ، تستدعى منه مراجعة النفس والعودة إلى الصواب . فالنبى أكثر إدراكاً بإمكانيات خالد التى يمكن الاستفادة منها لصالح الإسلام ، وإنه فى حاجة لمثله فى مواقف لن يقدر عليها إلا خالد . ولكى يتأكد الرسول من أن خالد تجاوز عثرته واستوعب الدرس ، أرسله دون غيره فى سرية إلى بنى المُصطلق وهم من بنى جذيمة ، ليتأكد من ثباتهم على إسلامهم .

فانطلق خالد إليهم ليلاً وبعث عيوناً للتأكد مما يفعلون فعرف أنهم على إسلامهم ، وفى الصباح ذهب إليهم وتعامل معهم بمودة وإخاء ، ورجع إلى الرسول الكريم ﷺ ليخطره بما رأه . وقد كان النبى الكريم ﷺ على صواب فى الإبقاء عليه بعد حادثة بنى جذيمة ، فها هو خالد بن الوليد يبلى خير بلاء فى حروب الردة والفرس والروم ويرفع راية الإسلام عالية خفاقة .

***

معركة حُنين

(شوال ٨ هـ / يناير ٦٣٠ م)

بعد فتح مكة وتحطيم الأصنام ، خشيت بعض قبائل المشركين من انتشار الإسلام فيها ، ورأت أن الرسول قد فرغ من قتال قومه وحان دورهم . فأجتمعت قبائل همدان من هوازن وثقيف وجشم ، وقرروا غزوه قبل أن يغزوهم ، وتولى قيادتهم مالك بن عوف النصرى ، وهو فتى جرئ فى نحو الثلاثين من عمره .

ونما الخبر إلى الرسول الكريم ﷺ ، فخرج فى إثنى عشر ألف مقاتل منهم ألفين من أهل مكة حديثى العهد بالإسلام ، وعشرة آلاف من أصحابه الأنصار والمهاجرين . وكان جيشاً كبيراً لم يشاهد العرب مثله ، وظن المسلمون أن هذا اليوم يومهم ، فكيف يهزمون وهم بهذه الكثرة والقوة .

وكان خالد بن الوليد على طليعة جيش المسلمين ، فى مائة فارس من بنى سليم ، يقودهم خلال وادى تهامة ، وعندما وصلوا إلى وادى حُنين ، ساروا فى مضيق[1] ، وكان الوقت فجراً والرؤية ضعيفة ، وفجأة تعرضوا لهجوم من الجانبين ، وانهمرت عليهم النبال كالسيل الجارف ، واصيب خالد وخافت الخيل وأدبرت ، ولم يستطع الفرسان التحكم فيها فأدبروا خلفها ، مُشتتين مُنهزمين فى أول جولة فى معركة وداى حُنين .

ورغم هول المفاجأه ثبت الرسول الكريم ﷺ فى مكانه ، ونادى على المسلمين أصحابه : " أنا النبى لا كذب .. أنا أبن عبد المطلب " . ثم أمر العباس(عمه) أن يصرخ فى الجيش ، حيث كان جهورى الصوت وينادى : " يامعشر الأنصار، يا أصحاب سورة البقرة ، يا بنى الخزرج " ، فألتف حوله

---

(١) المضيق : ممر أو طريق بين هيئتين أو جبلين .

الأنصار والمهاجرين وأهل بيته الكريم ، ونادى الرسول ﷺ فيهم: " الآن حُمى الوطيس[1] ، إن الله لايُخلف رسوله وعده " .

فأندفع المسـلمون إلى المعركة ثانية مُستهنين بالمـوت ، مؤمنين بالنصر أو الشهادة فى سبيل الله . وقاتلوا قتالاً شديداً فأنقلب حال المعـركة ، حتى أن هوازن وثقيف ومن معهم من قبائل همدان ، أحسوا أنهم معرضون للفناء ، وأن المسلمين سيقضون عليهم لامحال ، ففروا مُشتتين مُنهزمين لا يلوون على شئ ، تاركين وراءهم نساؤهم وأبناؤهم وأموالهم غنيمة للمسلمين .

وفرت القبائل مذعورة من حُنين إلى الطائف ودخلت وراء أسوارها ، وجمعت من الطعام ما يكفيها عاماً مقبلاً ، فتابعهم المسلمون وأحاطوا بالأسوار والمشركون يقذفوهم بالسهام ، فبرز لهم خالد يدعوهم للنزال فلم يجبه أحد ، لأنهم كانوا يعلمون من هو خالد .

تحليل المعركة :

غلبت على المسلمين فى بداية المعركة روح الإستهانة بالعدو وقلة الإكتراث ؛ ولم يضعوا فى اعتبارهم إمكان هزيمتهم أو النيل منهم وهم على هذه الكثرة . وساروا وهم يظنون أن العـدو سينتظرهم فى المـيدان كمعاركهم السـابقة ، حيث يصطف الجيشان ويتواجهان ، ويتبارز المتبارزون ، ثم تبدأ المعركة فى الميدان . أما المشركون فقد غلب عليهم روح التحدى والإستماتة ، وأعدوا أنفسهم لحرب ، لهم فيها النصر أو الفناء . ففاجأوا المسـلمين فى الميدان بكمين أعدوه ، فكان لهم نصراً مؤقتاً أستحقوه .

ويبدو أن عناصر استطلاع جيش المسلمين ، التى تدفع قبل القوة الرئيسية للجيش لإكتشاف العدو والإبلاغ عن تحركاته وأوضاع تمركزه ، لم تقم بدورها

---

(١) حمى الوطيس : اشتدت الحرب .

على الوجه الأكمل ، وتم الاعتماد على فرسان طليعة الجيش للتصدى لمقدمات العدو. وتسبب ذلك فى وقوع المسلمين وخاصة المقدمة فى كمين مُدبر. ولولا ثبات الرسول ﷺ وسيطرته الحازمة على الموقف ، لما عاد المسلمون بسرعة إلى الميدان ، ثم قاتلوا قتالاً مستميتاً وحولوا الهزيمة إلى نصر مبين .

وكان لوجود ألفين من حديثى العهد بالإسلام ، أكبر الأثر على الأداء المُهتز لجيش المسلمين ، خاصة فى المـرحلة الأولى ، فكانوا ضـعاف الإيمان ولم يثابروا فى المـيدان ، ولم يبدوا المقاومة المطلوبة ، وكأنهم مُبيتون النية على خذلان الرسول ﷺ ، ويتمنون الهزيمة للمسلمين حتى يعودوا لدينهم القديم .

ومن الواضح أن المشركين كانوا أكثر دراية بطبيعة الأرض فى ميدان القتال عن المسلمين ، فاختاروا مواقعهم على أجناب المضيق وخلال الوادى ، فى منطقة لم يتوقعها المسلمين ، وفى توقيت لم يتخيله أحد . وفى الفجر وأحوال الرؤية ضعيفة ، هاجموا المسلمين بضربة واحدة ، ومن هول المفاجأة أرتد المسلمون وأنهزموا فى أول جولة من المعركة .

وهنا تُثار علامة تعجب كبيرة من أداء جيش المشركين !! فبرغم تحقيق المفاجأة فى اللحظات الأولى للمعركة ، وحصولهم على المبادأة ، فلماذا لم يستغلوا الفرصـة ويتابعوا هجومهم ضد المسلمين . والأغرب أنهم ظلوا قابعين فى مكانهم ينتظروا من المسلمين الخطوة التالية ، وأضاعوا بذلك نصراً كان بين يديهم . ونرى أن سبب ذلك يرجع إلى أميرهم ، الذى يفتقد الخـبرة والدراية فى فنون القتال ، فأعطى الفرصة للمسلمين لإعادة لم شملهم وتنظيم صفوفهم ، وفى وقفة إيمانية استطاعوا بعدها معاودة الهجوم وتحقيق النصر .

الدروس المستفادة من معركة حُنين :

من جانب المسلمين :

أولاً : عدم الاستهانة بقوة العدو مهما كانت المبررات :

دخل المسلمون المعركة وكلهم زهو بانتصاراتهم السابقة ، وثقة بأنهم لن يُهزموا لكثرتهم وشدتهم ، فكانت هزيمتهم فى الجولة الأولى درساً ربانياً ، فى ضرورة التخلى عن الغرور وعدم الاستهانة بالعدو واعطائه حقه من التقدير السليم . ولما تداركوا ذلك فى المرحلة الثانية ، تحقق لهم النصر المبين .

ثانياً : يجب دفع عناصر الاستطلاع أمام القوات أثناء التحرك :

من الواضح أن المسلمين لم يقوموا بدفع عناصر لاستطلاع مواقع العدو أمام قواتهم . والإبلاغ عنه فى حالة اكتشافه وتحديد أماكنه أو تم دفعها ولم تؤدى دورها ، فأدى ذلك إلى عدم تمكن طليعة الجيش من اكتشاف مكان الكمين الذى نصبه العدو داخل المضيق ، فنجحت هوازن وثقيف فى توجيه ضربة مفاجئة للمسلمين فى بداية المعركة .

ثالثاً : ضرورة الدراسة الجيدة لأرض المعركة :

لم يستعن المسلمون بأدلاء لهم خبرة ومعرفة بمضايق ووديان حُنين بدليل وقوعهم فى الكمين ، بينما وضح على الجانب الأخر ، أن المشركين كانوا على دراية كاملة بطبيعة أرض المعركة ، فأستغلوها جيداً لصالحهم ، ونجحوا فى اختيار المكان والوقت المناسبين ، لتوجيه هجمة مفاجئة ضد المسلمين ، ونجحوا فى المرحلة الأولى من المعركة .

رابعاً : دور العقيدة الإسلامية فى تحقيق النصر :

المسلمون كانوا قلة فى غزوة بدر ورغم ذلك انتصروا ، لأنهم تسلحوا بعقيدتهم فمالت الكفة لصالحهم وانتصروا . أما فى غــزوة حُنين فكانوا كثرة ، ولكن افتقد بعضهم العقيدة الإسلامية ، فمالت الكفة لصالح هوازن وثقيف فى المرحلة الأولى من المعركة وانهزموا . ولما أيقظ الرسول الكريم ﷺ روح النصــر فى نفوس المسلمين ، وبث فيهم الحماسة والحمية للدفاع عن الإسلام وعقيدتهم ، انقلبت كفة الميزان لصالح المسلمين وانتصروا .

من جانب المشركين :

ضرورة استغلال النجاح فى تطوير أعمال القتال :

نجحت هوازن وثقيف فى المرحلة الأولى من تحقيق المفاجأة ، والحقوا هزيمة بالمسلمين وأجبروهم على الفرار مُنسحبين غير مُصدقين ، إلا أنهم لم يستغلوا النجاح الذى حققوه ، ويأخذوا بزمام المبادأة فى أيديهم ، ويطاردوا المسلمين المُنسحبين لاستكمال القضاء عليهم ، وهم بذلك أعطوا الفرصة للمسلمين للم شملهم ، واعادة تنظيمهم ، ثم الهجوم عليهم من جديد وتحقيق النصر فى النهاية على المشركين .

***

خالد وغزوة تبوك

(رجب ٩ هـ / أكتوبر ٦٣٠ م)

بلغ الرسول الكريم ﷺ أن هرقل امبراطورالروم وبعض القبائل العربية الموالية له ، قد أعدوا جيشاً للمسير إلى البادية وغزو حدود العرب الشمالية ، لمنع انتشار الإسلام فى هذه المناطق ، وتأكيد سطوتهم وسيطرتهم على تلك المنطقة المتاخمة لحدودهم . فأراد النبى أن يغزوهم قبل أن يغزوه ، وأذن للناس الخروج فى جو شديد الحرارة ، والمسافة طويلة وسميت لذلك غزوة العسرة ، كما ورد فى القرآن الكريم فى سورة التوبة (الأية ١١٧) .

وقد يكون للغزوة سبباً آخر كما ذكر ابن كثير ، وهو عزم الرسول على قتال الروم والعمل على نشر الإسلام فى تلك البقاع ، استجابة لفريضة الجهاد . وما يؤكد ذلك إنه عندما وصل النبى ﷺ إلى تبوك ، لم يجد أثراً للحشود الرومانية ولا القبائل العربية ، ورغم مكوث المسلمين عشرين ليلة فى تبوك ، لم يفكر الروم ولا القبائل العربية مطلقاً فى الدخول مع المسلمين فى قتال .

سرية خالد إلى دومة الجندل :

أرسل النبى ﷺ خالد بن الوليد على رأس سرية ، بقوة أربعمائة وعشرين فارساً إلى دومة الجندل ليأتيه بأميرها . فاقتحم خالد الحصن وأجبرهم على التسليم والخضوع له ، واحضر معه إلى تبوك أكيدر بن عبد الملك الكندى أميرها . فصالح النبى على الجزية كل عام ، وعاهد المسلمين على الأمان ، وأصبحت دومة الجندل تابعة لسلطان المسلمين .

وهاهو خالد بن الوليد **سيف الله** ، يطوف فى بادية الشام من سرية مؤتة بعد أن حارب الروم ولم ينتصروا عليه ، ونفذ ارتداده المأمون وخرج دون هزيمة .

ليخطوا خطوة أخرى مع الرســول الكريم ﷺ إلى غزوة الطائف وإن كانت بلا قتال ، ومنها إلى دومة الجندل ليأتيه بأميرها ، إنها خطوات محسوبة فى التاريخ ، ليواجه خالد الروم فى النهاية ، فى أرض الشام وجهاً لوجه وينتصر عليهم .

***

معارك خالد فى عهد الرسول

م	المعركة	التاريخ	المكان	المسافة	العدو
١	مؤته	جماد الأول ٨ هـ سبتمبر ٦٢٩ م	تخوم الشام بالقرب من معان	٧٥٠ كم من المدينة	الروم – الغساسنة
٢	فتح مكة	١٠ رمضان ٨هـ ٣١ ديسمبر ٦٢٩ م	بلد الله الحرام	٣٧٥ كم من المدينة	مشركى مكة
٣	حُنين	شوال ٨ هـ يناير ٦٣٠ م	وادى حنين شرق مكة	٣٠ كم من مكة	قبائل العرب هوازن وثقيف
٤	تبوك	رجب ٩ هـ اكتوبر ٦٣٠ م	تخوم الشام شمال المدينة	٥٢٥ كم من المدينة	الروم – نصارى العرب
٥	دومة الجندل	رجب ٩ هـ اكتوبر ٦٣٠ م	شمال شرق تبوك	٣٧٠ كم من تبوك	قبائل نصارى العرب باطراف الشام

هذه المسافات محسوبة ذهاب فقط **٢٠٥٠ كم** جدول رقم (١)

معارك سيف الله ضد المرتدين

عندما توفى الرسـول الكريم ﷺ اتسع نطاق الردة فى الجزيرة العربية ، وشمل معظم الأماكن عدا المدينة ومكة والطائف والمناطق الشمالية المتاخمة لبادية الشام ، فقد خشت قبائل شمال الجزيرة من جيش أسامة بن زيد[١] ، الذى أصر الخليفة أبوبكـر الصديق رضى الله عنه على ارسـاله إلى تخوم البلقاء ، على مقربة من مؤتة – حيث قُتل أبوه – لمحاربة عِمالة الروم . وانتظـروا إن انتصر جيش أسامه ، فقد قوى الإسلام وثبت ، فيبقوا على دينهم ، وإن خسر وضعف الإسلام ، فيرتدوا ويعودوا إلى دينهم القديم .

وكان المرتدون فريقين ، الأول وهم القبائل القوية التى كانت تتعصب لنسبها، وتكره أن تعلوها قريش مكانة بسبب النبوة . فكانت ذبيان وعبس وبنوأسد تكره سيادة قريش ، وإزدادت كراهيتها بعد نجاح الدعوة المحمدية ، وفتح مكة وبلوغ قريش هذا المقام الرفيع بين القبائل . فأدخل الحقد والطمع فى قلوب بعض القادة من أمراء تلك العشائر ، بلوغ تلك المكانة ولو بإدعاء النبوة ، مثل مسيلمة بن ثمامة زعيم بنى حنيفة ، وطليحة بن خويلد سيد بنى أسد ، والأسود العنسى[٢] . وقد ظهروا بإدعاءتهم فى حياة الرسول ﷺ فى اليمن ونجد والبحرين ، إلا إنه بعد وفاة الرسول تجرأوا على المجاهرة بالعصيان ، وانضمت إليهم بعض قبائل العرب التى ارتدت عن الإسلام .

أما الفريق الثانى فبقى على إيمانه بالله ورسـوله ، إلا أنهم رفضـوا تأدية الزكـاة ، وأعـتبروها جزية أو ضريبة مكروهين على دفعها ، ومنهم قبائل فزارة وعبس وذبيان . وأرسلوا وفداً إلى يثرب لمفاوضة الخليفة فى ذلك الأمر، وتركوا

(ا) أبوه زيد بن حارثة الذى قاد غزوة مؤتة وكان أول الأمراء الشهداء الثلاثة .

(٢) الأسود العنسى : عيهلة بن كعب بن عوف العنسى ، أسلم عندما أسلمت اليمن ثم ارتد وكان أول من ارتد فى الإسلام وادعى النبوة ، وقُتل قبل وفاة الرسول بشهر تقريباً .

قوة تحميهم فى ذى قصة وذى حُسى[1] . وعلى الرغم من قبول بعض من كبار المسلمين ومنهم عمر بن الخطاب ، بما قدمه رسل الفريق الثانى ، وناقشوا الخليفة على قبول ذلك حتى لايقاتل المسلمين ضد من شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

ولكن الخليفة رضى الله عنه رفض وقال : " والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، وهما ركنان من أركان الإسلام ولايمكن تطبيق جزء واهمال الأخر" . ثم أضـــاف كلمته الشهيرة :" والله لو منعونى عقال بعير[2] كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه " . فرد الخليفة وفد المنافقين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة وعادوا إلى قبائلهم وأخبروهم بقلة عدد المسلمين بعد خروج جيش أسامة ، فعقدوا النية على العودة وغزو المدينة .

وأحس المنافقون أن الفرصة مواتية لهم ، وبالفعل داهموا المدينة ليلاً ، ولكنهم لم يدركوا بأن الخليفة قد وضع كبار الصحابة ، ومن بقى من جيش أسامة على منافذ المدينة . فصدوهم وأجبروهم على الفرار، ثم طاردوهم حتى ذى قصة وذى حُسى ودار بينهم قتال فى الموقعين ، وفى الصباح لم يشعر المنافقون إلا والسيوف على رقابهم ، فولوا الأدبار وانضم بعضهم إلى طليحة مدعى النبوة فى البُزاخة ، وبذلك انتصر المسلمون على المنافقين فى هجمتهم على معقل الإسلام ، وارتفعت معنوياتهم من هذا النصر، وبدأت بعدها وصول أموال الصدقات من عده جهات ، فأصبح لدى المسلمين المال الكافى لاعداد جيوش لمهاجمة المرتدين فى عقر دارهم ، ثم جاء نصر أخر بعودة جيش أسامة بن زيد مُنتصراً .

وانتهت بذلك المرحلة الأولى ، التى شارك فيها معظم المسلمين المجاهدين مع الخليفة ، لصد هجوم المنافقين عن المدينة ، وقد شارك خـــالد بن الوليد مثل غيره من أبطال المجاهدين فى هذه المرحـــلة . ثم تأتى بعد ذلك المرحلة الثانية ، والتى

---

(١) ذى حسا وذى قصة : مواقع خارج المدينة . (٢) عقال بعير: الحبل الذى يربط به الأبل .

ينتقل فيها المسلمين إلى قتال المرتدين ، ووضع حداً لحركتهم الإنقلابية ، لما تنطوى عليه من خطر جسيم على الدعوة الإسلامية ، فقرر الخليفة أبوبكر الصديق أن يقاتلهم ليعيد من خرج عن الدين إلى صوابه ، ويقضى عليهم قبل استفحال أمرهم .

خروج خالد لقتال الأسدى مُدعى النبوة :

كون الخليفة أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، إحدى عشر لواءاً لقتال المرتدين فى كل أنحاء الجزيرة العربية ، وسنتناول فقط حملة خـالد بن الوليد ، الذى عين على رأس جيش ، أرسله الخليفة لمقاتلة طليحة بن خويلد الأسـدى مُدعى النبوة والقبائل التابعة له فى بُزاخة ، فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة التميمى ومن معه بالبُطاح ، وهم قد امتنعوا عن أداء الزكاه وارتد بعضهم عن الإسلام .

وسار خالد بن الوليد بجيش لا يتجاوز عدده أربعة آلاف مقاتل ، مُتجهاً إلى بُزاخة لقتال مدعى النبوه طليحة الأسدى ، ومن معه من بنى قيس وحلفائهم . وكانت هذه المرة الأولى التى يُكلف فيها خالد بن الوليد ، بمهمة كقائد عسكرى يواجه الأعداء وحده فى الميدان ، ويعتبر اختباراً حقيقياً له كقائد ميدانى ، يُنفذ خطة مرسومة ومحددة الخطوات ، وصادره بأوامر من خليفة المسلمين .

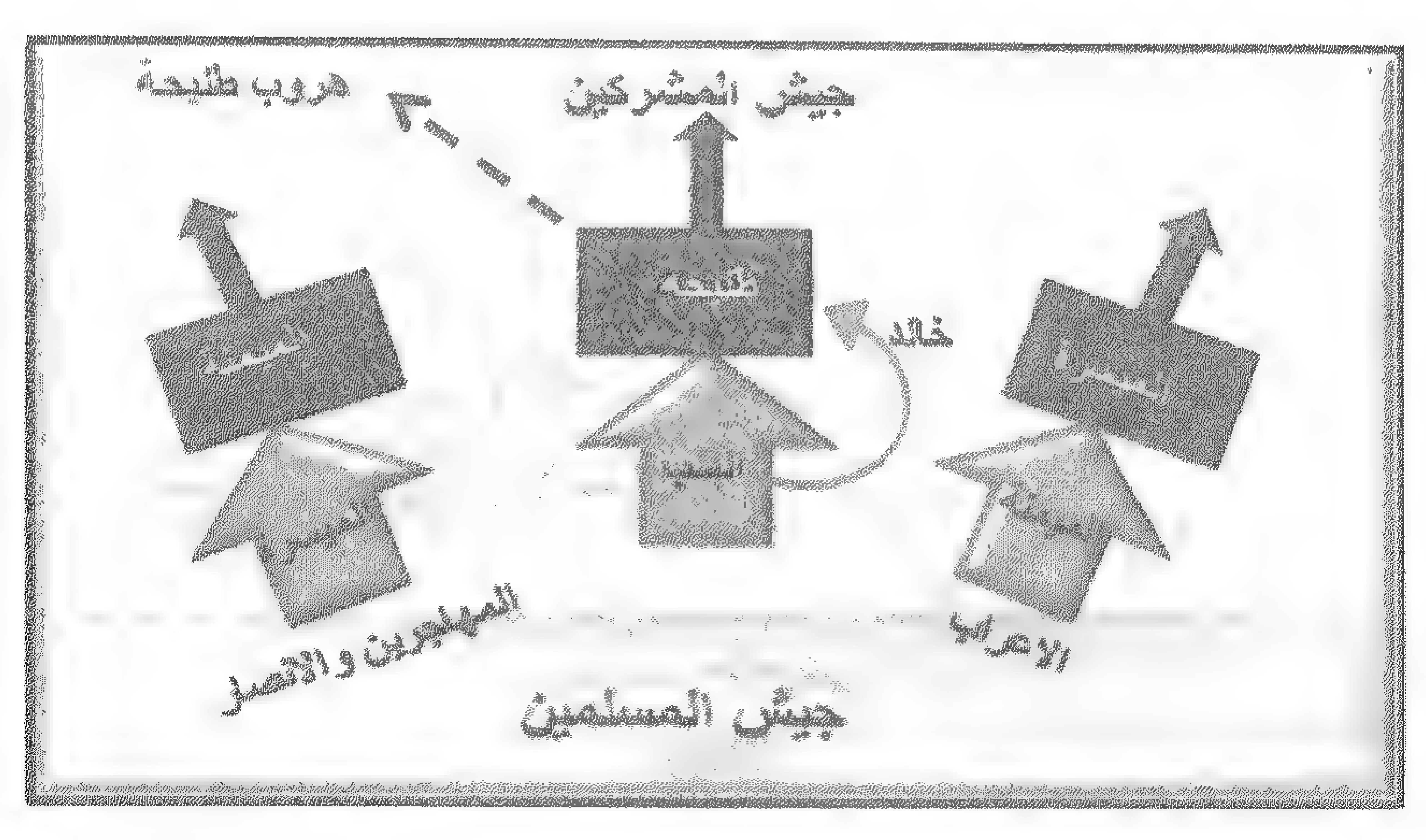
وفى الطريق عرج على ديار طيئ كأوامر الخليفة ، وهناك انضم إليه ألف من مقاتليها ، الذين تخلوا عن طليحة وعادوا إلى الإسلام ، بفضل الدور الذى لعبه عدى بن حاتم الطائى ، فى التأثيرعليهم وإعادتهم للإسلام ، فشكل خالد منهم ميمنة جيشه ، ووضع الأنصار والمهاجرين على ميسرته ، وأصبح جيش المسلمين قوامه خمسة آلاف مقاتل .

أما جيش طليحة فقد استعد للقاء ، بجيش يفوق جيش المسلمين بألف مقاتل ، ويتميز عنه بأنه أكثر استعداداً وراحة ، ومنتظراً فى دياره دون أى تحرك أو مسير

طويل ، على خلاف جيش خالد الذى كان عليه أن يحارب ، بعد مسيرة يومين حتى يصل إليهم ، ولم ينتظر خالد ليأخذ قسطاً من الراحة ، فكان مُتحفزاً للقاء طليحة ، الذى كان معروفاً عنه فى قبيلته بالشجاعة مع الحذر والحيطة ، لدرجة أنه أحاط نفسه بأربعين فارساً ليدافعوا عنه .

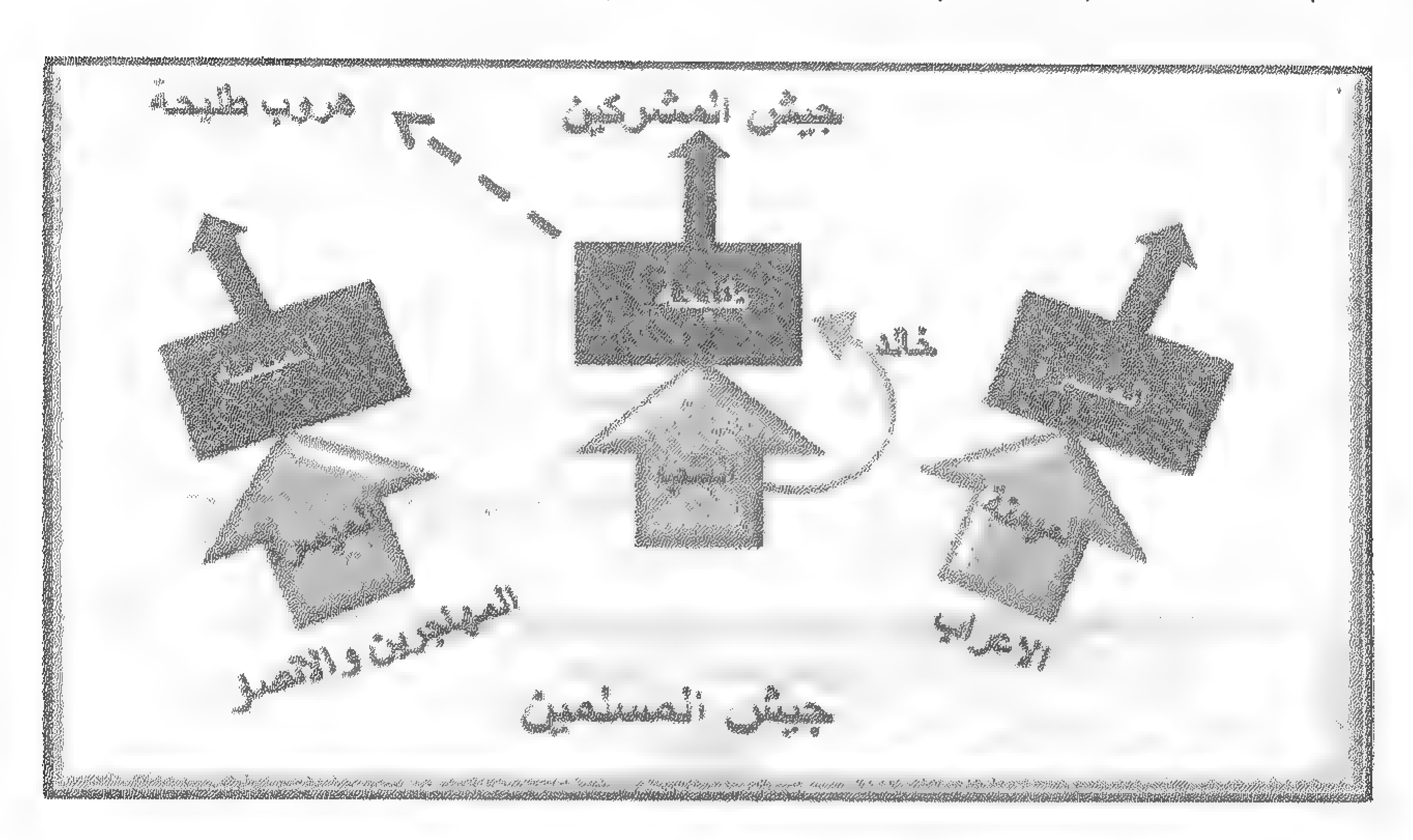
معركة بُزاخة :

التقى الجيشان فى منطقة البُزاخة وجهاً لوجه ، فالتحما دون أى مبارزة بين الأمراء تسبق القتال ، كعادة المعارك فى ذاك الزمان ، واشتد القتال سريعاً وظهرت حمية المسلمين واستبسالهم فى القتال ، إلا أن جيش طليحة ثبت مُستميتاً فى دفاعه ، وفى نفس الوقت تحسسوا مواضع ضعف جيش المسلمين ، وفجأة كروا كرة عنيفة على ميمنة جيش خالد بن الوليد ، التى تضم قبائل الأعراب فانكشفوا تحت هذا الضغط العنيف ، واستغل المرتدون هذا النجاح ، وضغطوا على ميسرة المسلمين التى تضم المهاجرين والأنصار ، فبدأت تتكشف أيضاً ، وساد الإنطباع فى المعركة بأن المسلمين مهزومين لا محال .



تراجع ميمنة وميسرة جيش المسلمين — كروكى رقم (٤)

وجاء نفر من طيئ ينصحون خالد بالتراجع إلى جبال طيئ ، لإستدراج المشركين هناك ، فرفض واندفع بين الصفوف مزمجراً ، فكيف يُهزم وهو الفارس الذى لا يُهزم ، وغلب عليه طابع المجازفة والحماسة ، فنزل عن فرسه وترجل على قدميه ، واندفع بين الصـــفوف يقاتل المرتدين ، ويشد أزر المسلمين ، ونادى على الأنصار- كما فعل الرسول الكريم ﷺ يوم نادى فى حُنين- .. يا أنصارالله .. يا أنصارالله ، فلبوا النداء مُندفعين إليه ، يقاتلون معه كتفاً بكتف وسيفاً بسيف ، حتى أحدثوا خسائر كبيرة فى صفوف جيش المرتدين ، وتقدموا واستعادوا أوضاعهم السابقة ، ثم دفعوهم للخلف وأجبروهم على الارتداد .



هجوم المسلمون واستعادة الأوضاع وهروب طليحة كروكى (٥)

ثم اخترق خالد صفوفهم ووصل إلى قلب جيشهم حيث يوجد طليحة ، واندفع بجرأة يبحث عنه ويطلبه للنزال ، إلا أن طليحة جبن وهرب من الميدان ، فقد أعد نفسه للفرار وركب فرسه وأخذ زوجته على ناقة خلفه ، ونادى على أتباعه : " من استطاع أن يفعل هكذا فليفعل واتجه إلى الشام " .

***

معركة ظفر :

وأراد خالد بن الوليد أن يحقق انتصاراً حاسماً على المرتدين ، بحيث لا تقوم لهم قائمة مرة أخرى ، فتعقب فلولهم حتى لحق بهم فى منطقة ظفر، حيث توجد بها سلمى أم زمل[1] التى إستثارت حمية الرجال ، من غطفان وهوازن وسليم وأسد وطيئ لقتال جيش المسلمين ، فدار بين جيشها وجيش خالد قتالاً عنيفاً ، وسارت خلف رجالها تبث فيهم الحماسة من على ناقتها ، وهي محاطة برجالها يدافعون عنها ، فصاح خالد فى أصحابه ... " مائة من الإبل لمن يصيب جملها " ، فأندفع نخبة من الفرســان إلى جملها فعقروه ، وســقطت من عليه وماتت ، وقيل بأنهم لم يصلوا إليه إلا بعد أن قتلوا مائة رجل من رجالها المدافعين عنها ، ثم أرسل خالد بن الوليد السرايا فى أثر المنهزمين تطاردهم وتجمع الأسلاب والغنائم .

انتقام خالد :

ألحق خالد هزيمة ساحقة بالمرتدين ، فما كان من قبائل عامر وأسد وغطفان وطيئ ، إلا أن بايعت خالد على العودة للإسلام والإيمان بالله ورسوله . ولكن بقى القصاص لمن اعتدى ونكل بالمسلمين ، فلقد أسرف بعض المرتدين فى التنكيل بالمسلمين العزل الأمنين فى غير ساحة القتال ، وكانت أوامر الخليفة لخالد صريحة بضـــرورة عقاب من اعتدى على المسلمين . وهل خالد فى حاجة إلى تأكيد فى مواقف الشدة والبطش ؟ بالطبع لا .. فأتى بالذين حرقوا ومثّلوا واعتدوا على المسلمين العُزل ، وفعل فيهم مثل ما فعلوا . فحـــرق بعضهم بالنار ، وضرب أخرين بالحجارة ، ورمى بعضهم من فوق الجبل ، ثم ربط أمرائهم وأرسلهم إلى الخليفة ليفعل بهم ماشاء .

---

(١) سلمى أم زمل : سلمى إبنة مالك بن حذيفة ، سبيت فى عهد النبى فأعتقتها السيدة عائشه رضى الله عنها ، فعادت إلى قومها وارتدت وحملت فى نفسها عداءاً كبيراً للإسلام .

وقد يكون ما فعله خالد بطشاً عنيفاً بالمرتدين ، ولكن ألم يفعل مثلما فعلوا ، ألم يرد على فعلتهم بمثلها ، وهل فى الحرب هوادة ولين مع الأعداء ؟ أم شدة وقسوة وعقاب ، ومع ذلك وجد بعض كبار المسلمين تجاوزاً من خالد بن الوليد فيما إقترفه ، فلاموا خالد على فعلته ، وكان أبرزهم عمر بن الخطاب الذى قال للخليفة منكراً حرق المرتدين : " بعثت رجلاً بعذاب الله ، إنزعه " ، وعكس قوله ما فى نية عمر بن الخطاب تجاه خالد .

ولم يستمع الخليفة إلى نصيحة عمر ، لأن إحساس المسئولية لديه أكبر ، ورؤيته للمستقبل أبعد ، فهو يرى التأثير الكبير للمرتدين على الدعوة الإسلامية ، وفى تلك الفترة الصعبة يحتاج لمن يغمد له فتنة المرتدين ، التى تهدد كيان الإسلام واستقراره ، وفى سبيل تحقيق ذلك أرتضى العنف بعنفهم كما أرتضى قتالهم .

خالد فى البُطاح :

بعد هذا النصر وتنفيذاً لأوامر الخليفة ، تحرك خالد بجيشه إلى أرض البُطاح ، حيث مالك بن نويرة اليربوعى كبير قبيلة بنى تميم ، ولم يجد أحداً يلقاه بمال صدقات أو بقتال ، فعسكر بجيشه وأرسل السرايا إلى البُطاح ، فأحضروا له مالك بن نويرة ومعه بعض أفراد من قومه ، فحبسهم ثم أمر بقتلهم ، ثم تزوج بامرأة مالك ليلى أم تميم بعد إنقضاء عدتها ، وكانت من أجمل نساء العرب .

وقد تضاربت الروايات حول وقعة قتل مالك ، فمن قائل أن يوم قتله كانت ليلة باردة ، وكان الحرس من بنى كنانة ، فلما قيل لهم .. " دافئوا أسراكم" فهم الحرس بأنهم يريدون قتلهم فقتلوهم ، حيث أن كلمة دافئوا بلهجة قبيلتهم تعنى القتل، ومن قائل بأنه حدثت محادثة حامية بين خالد ومالك ، قال فيها مالك بأنه يقيم الصلاة ولكن دون زكاة ، فقال خالد الصلاة والزكاة معاً فلا تقبل واحدة دون الأخرى ، فاحتدت المناقشة فأمر خالد بقتله . ومن قائل بأن خالد قد حبس مالك فجاءته زوجته تطلب العفوعنه ، لعلمها بمروءة وشجاعة خالد ، فلما رآها خالد

أعجب بها فقرر التخلص من زوجها ، ومع اختلاف الروايات لم يتأكد أى منهم أصــح .

وبلغ الخليفة ما حــدث من قتل مالك فغضب ، وكانت غضبة عمر بن الخطاب أشد ، فطلب من الخليفة أن يعزله وقال له : " إن فى ســيف خالد رهقا[١] وحق عليه أن يقيده " ، وزادت هذه الوقعة فى نفس عمر نية الخلاص من خالد وعزله ، أما الخليفة والمسئولية الملقاة على عاتقه ، دفعته إلى التمسك بخالد القائد الناجح فى الميدان ، وهناك من يتعثرون فى قتال المرتدين وقال لعمر:" لا أُشيم[٢] سيفاً سله الله على الكافرين " . ثم استدعى الخليفة خالد فعنفه على فعله ، وطلب منه تطليق زوجة مالك ولم يعزله واستبقاه فى مكانه .

ولما كان الموقف فى اليمامة على غير ما يراد ، كلف الخليفة رضى الله عنه خالد بن الوليد بالتوجه إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب ، فقد دفع الخليفة عِكرمة بن أبى جهل لمواجهة مسيلمة ، فوجده قد أعد جيشاً فوق الأربعين ألفا ، ممن ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ، فطلب مدداً من الخليفة فأرسل له شرحبيل بن حسنة ، وأمرهما أن يتلاقيا فى هجمة واحدة ضد جيش مسيلمة ، فلم ينتظرعكرمة وهاجــم دون شــرحبيل ، فنُكب نكبة كبيرة فأمرالخليفة شرحبيل بالتوقف حتى يأتيه أمره ، فلم ينتظر وتورط فى قتال مع جيش مسيلمة فهُزم أيضاً.

خالد يصل اليمامة :

إتجه خالد بن الوليد وجيشه من البُطاح ، حيث لا خطورة على الإسلام ، إلى اليمامة مركز الخطر الأعظم ، فى حــروب الردة كلها فى عهــود الخلفاء الراشدين ، وكان مكمن الخطورة فى قوة بنى حنيفة أصحاب اليمامة ، ودهاء رئيسهم مسيلمة بن تمامة مدعى النبوة ، فكان لديه قدرة كبيرة على استهواء النفوس من الرجال والنساء ، لدرجة أنه استغوى سجاح مدعية النبوة أيضاً حين

---

(١) رهقا : ظلما . (٢) أشيم : أغمد .

نزلت إلى اليمامة مع أصحابها [1] بجيش كبير ، ومبشرة بدين جديد بعد موت النبى ﷺ ، فشهدت بنبوته وتزوجته ، ولما عادت إلى بلادها قالت أنها وجدته على الحق فتزوجته . والحقيقة أن مسيلمة أنفق معها على نصف غلات اليمامة ، وأعطاها نصيبها قبل أن تعود إلى ديارها ، وهذه دلالة على مخادعة مسيلمة وقدرته الكـــبيرة على استهواء النفوس ، وقد نجح مع قبيلته فأقتنعوا به وأطاعوه ، وشكل منهم جيشاً كبيراً ، قيل أربعين ألف مقاتل وقيل عشرين ألفاً وهى الأقرب . ثم تقدم بجيشه إلى منطقة عقرباء فى طرف بلاده وعلى مقربة من بلاد بنى تميم .

وتحرك خالد بن الوليد على رأس جيش قوامه ثمانية ألف مقاتل بما فيهم جيش شرحبيل بن حسنة ، الذى سبقه ولبث فى إنتظاره ، وكانت مقارنة القوات فى صالح جيش مسيلمة ، الذى يزيد عليه مرة ونصف بمعنى أن كل أثنين من المسلمين يواجهون خمسة من المرتدين ، لكن ما عادل كفة المسلمين فى الميدان ، كثرة المقاتلين الأشداء من أبطال الصحابة المشهورين .

وكان ما فى نفوس الرجال من الطرفين مُتعادلاً ، رغم اختلاف صدق النية على تحقيق النصر وخشية عار الهزيمة ، فالمرتدين أصحاب مسيلمة كانت تأخذهم غيرة القبلية ، حيث قال مسيلمة لقومه محفزاً لهم وهم يتقدمون لمحاربة المسلمين .. " اليوم يوم الغيرة ، إن هزمتم تستنكح نساؤكم سبايا ، فقاتلوا عن أحسابكم ، وأمنوا نساؤكم " . أما المسلمون فكانت تأخذهم الغيرة على الدين ، وكان لا يعوزهم الشـــحن المعنوى ، فكانوا مســـتعدين للسير خلف قائدهم من نصر إلى نصر ، كما انتصروا فى بُزاخة وظفر ، وهم واثقون فى خالد أشد الثقة .

---

(١) سجاح بنت الحارث بن سويد بن غطفان من بنى تميم ، شاعرة و مدعية النبوة ، جاءت من الجزيرة يتبعها بنى تميم لنشر رسالتها . وأسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها .

سار خالد بن الوليد بجيشه ، واقترب من أرض المعركة ، فاصطدمت مقدمة جيشه بمجموعة من فرسان بنى حنيفة ، وكان على رأس الفرسان مجاعة بن مرارة أحد زعمائهم ، فسئلوا عن وجهتهم فإدعوا إنهم كانوا فى مهمة ، أخذاً بالثأر من بنى تميم وبنى عامر ، وإنهم لم يكونوا فى استطلاع جيش المسلمين ، ولما سئلوا عن دينهم قالوا : منا نبى ومنكم نبى ، فأمر خالد بضرب أعناقهم واستبقى زعيمهم مجاعة بن مرارة ، عسى أن يستفيد من منزلته فى قومه ، ثم استمر خالد فى تقدمه حتى واجه جيش مسيلمة .

معركة عقرباء :

التحم الجيشان فى عقرباء ، ودارت معركة من أهول المعارك التى عرفها العرب فى ذلك الزمان ، فقاتل بنوحنيفة قتالاً لم يقابله المسلمون من قبل ، وكعادة المسلمين فى كثير من معاركهم ، كانت الهجمة الأولى من نصيب الأعداء ، وهى هجمة يغلب عليها الطابع الإنفعالى نتيجة الشحن المعنوى الزائد ، ويدعمها الكثرة العددية . وكما حدث فى مـــواقع شتى ، وحدث فى البُزاخة ، حدث فى اليمامة أيضاً ، فتراجع الأعراب من تلك الصدمة الكبيرة ، وتساقط كثيراً من قتلى المسلمين ، وحدثت هزة فى نفوس بعض من الأنصار والمهاجرين ، من تلك الهجمة الشرسة بكثرتها وطغيانها ، فماذا يفعل خالد بن الوليد ؟

تراجع خالد للخلف ، وظن المشركون أن المسلمين انهزموا وارتدوا فثبتوا فى مكانهم وانتظروا ، وبسرعة أعاد خالد تنظيم صفوف المجاهدين ، وصنفهم وميزهم فى ثلاثة ألوية ، لواء للمهاجرين ولواء للأنصار ولواء لأهل البوادى ، ونادى فيهم .. " تمايزوا لتعارفوا ، ولنعرف من أين نؤتى " . وعملاً بنصيحة الخليفة لخالد – حين تحرك لمهمته – وقال له : " إحرص على الموت توهب لك الحياه". فأندفع خالد بن الوليد بجيشه يقاتل قتالاً جسوراً وأندفع المسلمون خلفه بروح العقيدة والإيمان بنصر الله والثقة فى قائدهم ، يقاتلون قتالاً مُستميتاً أوقف هجمة جيش

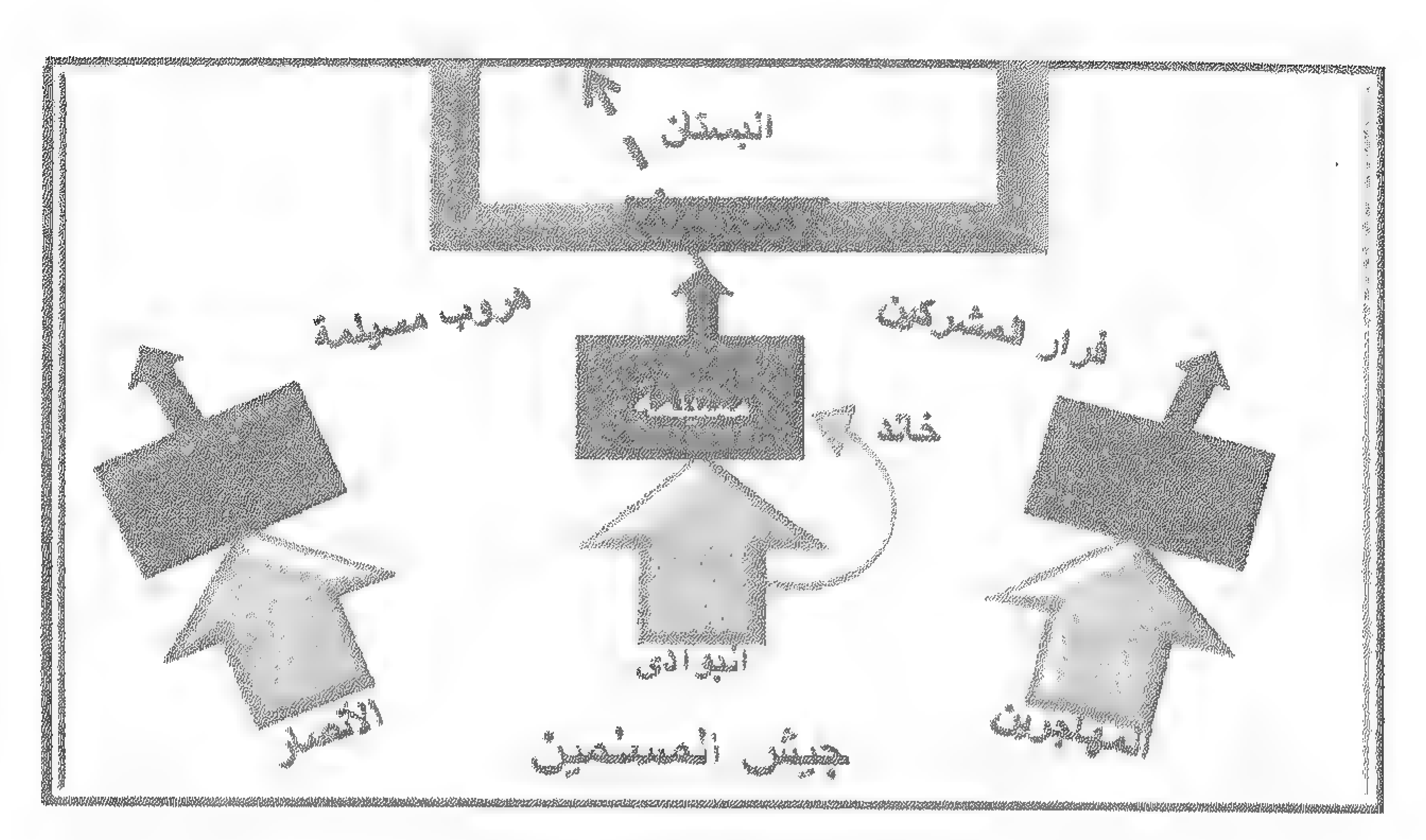
مسيلمة ، وارتفعت معنويات المسلمين فزادوا من ضغطهم حتى أجبروهم على الارتداد .

ونجح خالد ومجموعة من رجاله فى اختراق الصفوف الأمامية ، والوصول إلى قلب جيش مسيلمة ، وجعل يخاطبه ويعرض عليه الرجوع إلى الحق ودين الإسلام ، ومسيلمة يراوغ ، ثم طلب منه المبارزة فخشى ، فما كان من خالد إلا أن نادى بشعار المسلمين فى تلك المعركة .. وامحمداه ، فكان لها فعل السحر فى النفوس ، واندفع المسلمون براياتهم الثلاثة ، وبقوة إيمانية يرددون وامحمداه .. وأخذ جنود مسيلمة يتساقطون أمام هجمات المسلمين ، واستمر خالد فى إندفاعه يقاتل فى قلب جيش مسيلمة فى محاولة للوصول إليه ، ويطلب من رجاله وفرسانه ممن معه فى قلب جيش المسلمين، أن يحموا ظهره ويقول.: " لا أوتين من خلفى" .

ومضى خالد يقاتل فى تقدم لارجوع فيه ، إلا رجوع المنتصر، وضرب صناديد المسلمون الأوائل من كبار الصحابة ، أروع الأمثلة على حب الجهاد فى سبيل الله ، فحفر ثابت بن تعيسى لقدميه فى الأرض حتى يثبت ولا يتراجع ، وهو يحمل لواء الأنصار حتى قتل ، وصاح زيد بن الخطاب : أيها الناس .. عضوا أضراسكم وأضربوا عدوكم وأمضوا قدماً ، وظل يقاتل حتى قتل ، وصاح أبو حذيفة رضى الله عنه : يا أهل القرآن زينوا القرآن بالافعال واندفع يقاتل قتالاً لا وقفة فيه حتى استشهد ، وعلت أصوات المسلمين وهم يقاتلون وينادون بعضهما بعض .. يا أصحاب سورة البقرة .. يا أنصار الله . ينادون كما نادهم الرسول الكريم ﷺ فى غزوة حُنين ، وأمام تلك الهجمة الإيمانية المسلمة الشرسة ، ارتد جيش مسيلمة ولم يصمد ، وما هى إلا سويعات حتى انكســر جيش المرتدين ، وانسحب مسيلمة الكذاب إلى حديقة مسورة خلف ميدان المعركة .

حديقة الموت :

ولم يستطع المسلمون اقتحام الحديقة لإرتفاع أسوارها وشدة بأس بابها ، فاندفع البراء بن مالك من بين الصفوف وصاح بأصحابه .. يامعشر المسلمين القونى عليهم من فوق السور، فحمله المسلمون ورفعوه حتى بلغ أعلى السور ..



اعادة تنظيم جيش المسلمين وارتداد جيش مسيلمة   كروكى رقم (٦)

فقفز على من خلف الباب كالصاعقة وقاتلهم قتالاً شديداً ، حتى فتح باب الحديقة واندفع المسلمون كالسيل الجارف يكتسح كل من أمامه ، وتساقطت رؤوس المرتدين وقتلوا جميعاً ، وكانوا يقاربون الألف فسميت حديقة الموت واستطاع وحشى بن حرب الذى قتل حمزة يوم أحد ، من قتل مسيلمة الكذاب بحربته .

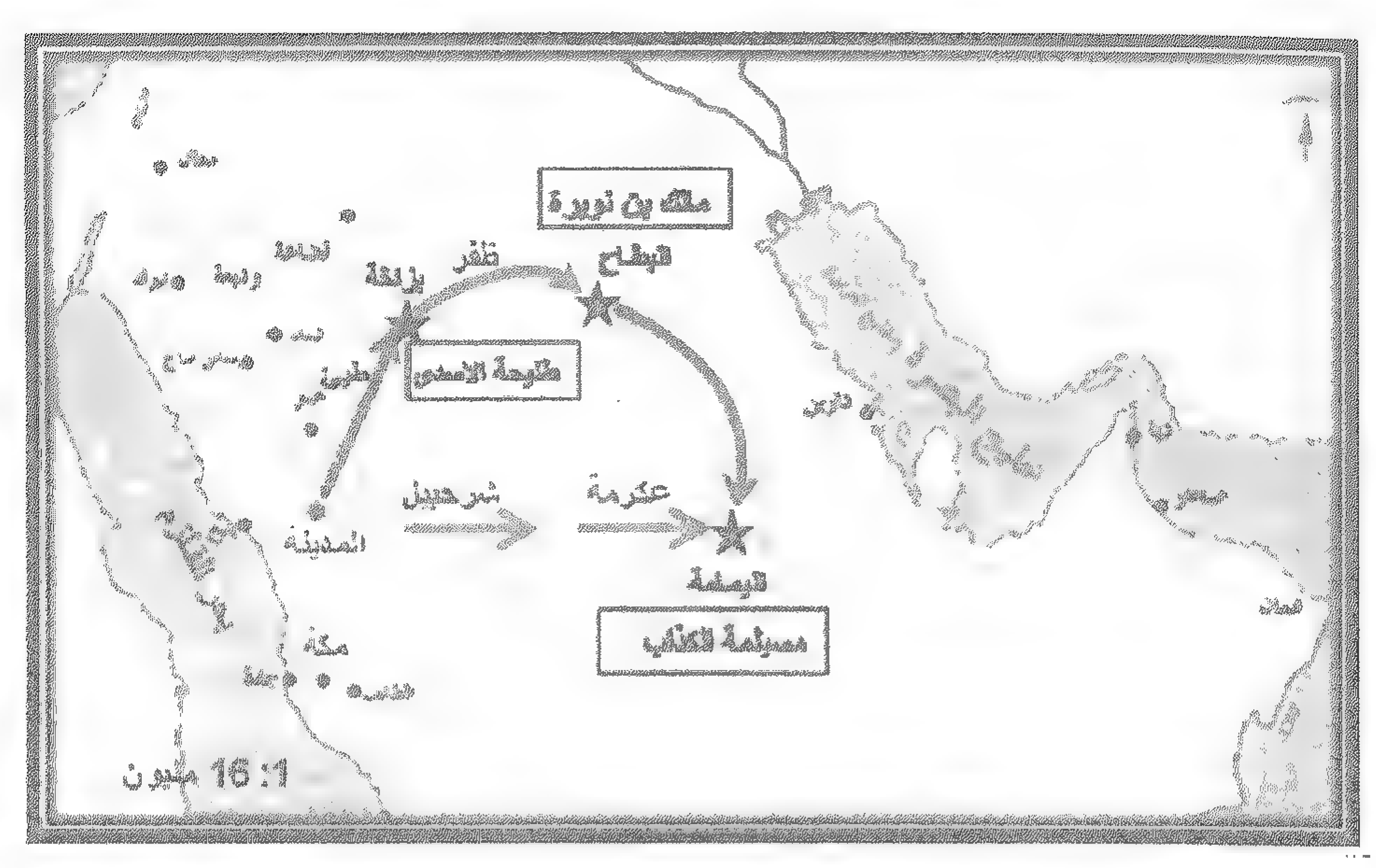
وكان وحشى يقول بعدها ، قتلت بحربتى هذه خير الناس وشـر الناس . وقُتل خارج الحديقة فى الميدان ألوف وقيل عشرة آلاف ، واستشهد من المسلمين حوالى ألف ، كان منهم نخبة من فخر الصحابة أفقهة الفقهاء حافظى القرآن ، فأمر الخليفة بجمع القرآن فى مصحف ، وكان هذا دافعاً للخلفاء الراشدين على تجميع القرآن حتى لا يفنى حافظيه .

خالد ومصالحة بنى حُنيفة :

بعث خالد السرايا حول اليمامة ، تلتقط الغنائم والسبايا وتقتل الهاربين ، وعزم على غزو حصونها جميعاً أو التسليم ، فأقترح عليه مجاعة بن مرارة الذى كان لايزال فى الأسر ، أن يتركه ليذهب داخل الحصـــون ويقنع أهله فيســـلموا بدلاً من القتال ، فوافق خالد على ذلك ، ودخل مجاعة الحصن وكان فيه النساء والصبية والشيوخ ، وأمرهم أن يلبسوا الحديد (لبس القتال فى الميدان) ويظهروا من قمة الحصون ، فنظر خالد فوجد الشرفات ممتلئة بالفرسان فى زى الميدان فوافق على المصالحة ، رفقاً بجنوده من كثرة القتال ووافق أن يكون للمسلمين ربع السبى والغنائم وليس النصف .

ولما اطمأن المعتصمون فى الحصون ، من بنى حُنيفة للمصالحة مع خالد على الربع ، فتحوا أبوابها فلم يرى خـــالد إلا امرأة أو صبى أو شيخ أو رجلاً لايقوى على قتال . وقد يتوقع البعض أن تكتمل القصة ببطش خالد بمجاعة بن مرارة ، لكن روح الفروسية فى نفس خالد ، استوعبت وقدرت ما فعله مرارة لنصرة قومه والــغيرة على عشيرته ، وأن هذا العمل ينم عن شجاعة ودهاء ، فنظر إليه خالد نظرة قاسية وصرخ به : " ويحك خدعتنى" فلم يجبن مرارة وقال : " إنهم قومى" ، فأعجب خالد الفارس من فعلة مجاعة الشُجاعة ، وطلب منه أن يصاهره ، ويوثق الصلة به فخطب إبنته .

وصلت الخليفة أخبار الانتصارات والمصالحة مع بنى حنيفة والزواج من إبنة زعيمهم ، وبقدر سعادة الخليفة من هذا الانتصار ، إلا أن المصالحة والزواج بلغت به مُنتهاه ، حيث أن العرب لا يميلون للزواج وقت الحروب وقتلاهم كثيرون ، فأرسل إلى خالد خطاباً من أعنف ما وجهه إلى قواده أو ولاه ، ويقول فيه كيف تنكح النساء وبفناء بيتك دماء ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجف بعد . ورد عليه خالد بخطاب يعتذر فيه ويبرر فعله ، بقوله إنه لم يصالحهم إلا بعد قتل كل من أراد قتله ، وبعد أن أنهك القتال رجاله .



معارك خالد ضد المرتدين   خريطة رقم (٢)

معارك خالد ضد المرتدين

م	المعركة	التاريخ	المكان	المسافة المقطوعة	العدو
١	بزاخة	١١ هـ	قبيلة أسد	٥٥ كم من المدينة	طليحة الأسدى
٢	ظفر	١١ هـ	على أطراف بزاخة	٥ كم من بزاخة	سلمى أم زمل
٣	عقرباء	١١ هـ	اليمامة	٤٥ كم من ظفر	مسيلمة الكذاب

١٠٥ كم   جدول رقم (٢)

***

تحليل معارك الردة :

على الرغم من ضرر حروب الردة على الإسلام ، إلا أن رب ضارة نافعة ، فلولا تلك الحروب لربما اشتد الخلاف بين المهاجرين والأنصار ، وكانت الظروف مهيئة لذلك بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ فالأنصار كانوا على وشك الإنقسام فيما بينهم إلى طائفتين كبيرتين ، وكذلك المهاجرون من سائر بطون قريش ، كُلاً كان يحاول أن يجد له دوراً فاعلاً وقد يكون مختلفاً عن الآخرين ، وبالطبع كان سيؤدى فى النهاية إلى تصادم ، ولو حدث سيكون التصدع من الداخل وليس الخارج ، فلما تحفزت البادية للوثوب على المدينة ، أحس المسلمون بالخطر الذى يتهددهم جميعاً فاتحدوا .

وقام خالد بن الوليد بدور فعال فى قمع فتنة المرتدين ، واخضاعهم للدولة الفتية ، فقضى على خطر فتنة بنى أسد وحلفائهم ، وفرّ سيدهم طليحة الأسدى مدعى النبوة إلى الشام بدون رجعة ، كما قمع فتنة بنى حُنيفة وقتل قائدهم مسيلمة الكذاب مدعى النبوة ، وقد أنجز خالد كل مهامه التى كُلف بها بنجـــاح ، ولم يلوث تاريخه إلا وقعة قتله لمالك بن نويرة وزواجه من امرأته والثانية سرعة زواجه فى الميدان من إبنة مجاعة بن مرارة .

ورغم ذلك لن تقلل تلك الفعلتين ، من مفاخر خـــالد العسكرية وانجازاته التى حمت الإسلام من التصدع والانشقاق وخاصة بعد وفاة النبى ﷺ. وانجازات خالد بن الوليد إنما تؤكد – بلا شك – مصداقية قول الرسول الكريم ﷺ حين قال إنه سيفاً من **سيوف الله** .

ومن الملاحظ فى معارك الردة ، إعتياد المسلمون الدخول فى المعارك والفوز بها وهم قلة عن عدوهم فى العدد والعده ، فالتفوق دائماً كان للعدو ، وكان ما يعادل كفة التفوق للمسلمين ، شجاعتهم واستبسالهم فى القتال ، وإيمانهم بحتمية

النصر، وسعيهم الدؤوب نحو الشهادة فى سبيل الله ، وكلها مقومات إيمانية قوية لتحقيق النصر فى المعركة .

وكانت الجولة الأولى فى معركتى خالد بن الوليد ضد طليحة الأسدى ومسيلمة الحُنيفى – مُدعيا النبوة – لصالحهما ، ويعود ذلك إلى تفوق جيشهما العددى والشـــحن المعنوى الزائد لجنودهما ، والحقد والغيرة اللذان يملأن قلوبهما ، إلا أنه سرعان ما يمتص المسلمون ، هجماتهم على يد صناديد المجاهدين . ثم تأتى اللحظة الحاسمة فى المعركه ، عندما يتدخل خالد مُترجلاً أو مُندفعاً بين جنوده مُقاتلاً ، رافعاً شعاره " إحرص على الموت توهب لك الحياة " ، فيندفع جنوده خلفه حُباً وثقة فيه ، فيقلب موازين المعركة لصالحه .

فدور خـــالد فى المعارك ، كان دائماً مؤثراً وحاسماً ، كما فعل فى معركة أحد . وهذه هى موهبة خالد بن الوليد العسكرية ، وأكبر دليل على ذلك هزيمة عِكرمة بن أبى جهل وشرحبيل بن حسنة ومعهما نفس نوعية الجنود المجاهدين .

وكان الخليفة أبوبكر الصديق – رضى الله عنه– على حق ، كل الحق ، فى الإبقاء على خالد بن الوليد ، فلقد حقق خالد انتصاراته ، رغم تلك الهفوات التى حدثت ، ونُقلت للخليفة أسرع مما نُقلت إليه أخبار الانتصارات .

والواضح أن للخليفة أو لغيره من الصحابة الأقربين ، عيوناً تنقل عن خالد سقطاته قبل انتصاراته ، ولو كان خالد يضع فى حساباته تلك العوارض ، لفعل ما شاء فى الخفاء ، وما أكثر مايفعله غيره فى الخفاء . فتلك العثرات برغم من حاولوا تضخيمها ، لم تؤثرعلى وضع خالد ولا على انتصارات المسلمين ، ورغم ذلك ستبقى لخالد انجازاته وانتصاراته وما حققه للإسلام .

الدروس المستفادة من معارك الردة :

أولاً : دور القائد مؤثر فى حسم المعركة :

كان لخالد بن الوليد دوراً مؤثراً فى حسم معاركه ضد المرتدين فى البُذاخة واليمامة ، فلولا تدخله واندفاعه بجرأة بين الصفوف مشاركاً جنوده قتال الأعداء ، ما تحقق النصر له . وكان هذا درساً من خالد بأن القائد عليه أن يتابع المعركة جيداً ، ويتدخل فى المكان والوقت المناسبين ليحسم المعركة لصالحه .

ثانياً : العقيدة الإسلامية تصنع النصر:

رغم تفوق المرتدين فى المعركتين عدداً وعده ، وانتصارهما فى الجولة الأولى ، استطاع المسلمون المجاهدون إيقاف المرتدين بشجاعتهم واستبسالهم فى القتال ، وبإيمانهم القوى بالجهاد فى سبيل الله ، وبعقيدتهم الإسلامية الراسخة فى وجدانهم ، واستطاعوا بتلك المقومات الإيمانية تحقيق النصر فى المعركتين .

ثالثاً : أهمية إستثارة القائد حماس وحمية مقاتليه فى المعركة :

فى اللحظات الحرجة من المعركتين ، والتى كان المرتدون على وشك تحقيق نصر على المسلمين ، كان لخالد دوراً مؤثراً فى قلب ميزان المعركة بإستثارة حماس وحمية مقاتليه ، بمناداتهم بما يثير فى النفوس البطولة والتضحية والفــداء فناداهم مرة بأنصار الله ، ومرة أخرى .. وامحمداه ، فكان لهما فعل السحر فى النفوس ، فاندفع المسلمون يقاتلون بإستماتة لأجل الحبيب المصطفى ﷺ فكان لهم النصر، وهذا درساً تعلمه خالد من الرسول الكــريم(ص) فى معركة حُنين .

رابعاً : ضرورة التنظيم الجيد (التمييز) للقوات قبل المعركة :

لم يفطن خالد بن الوليد إلى أهمية ترتيب وتنظيم قواته ، وتمييزها فى مجموعات طبقاً للإنتماء القبلى والعشائرى ، إلا بعد أن أوشك المسلمون على الهزيمة فى معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب ، ولولا إدراك خالد لأهمية ذلك وقيامه بتعديل الصفوف فى ثلاثة ألوية ، لواء للأعراب ولواء للأنصار ولواء للمهاجرين ما كان النصر للمسلمين ، فكان لإعادة التنظيم أكبر الأثر ، فى أن يستميت المسـلم فى قتاله دفاعاً عن الإسلام ، ودفاعاً عن شرف عشيرته ، فتحولت المعركة لصالح المسلمين .

خامساً : الجُرأة واجبة فى اقتحام الموانع لتسهيل عمل القوات :

ضرب البراء بن مالك رضى الله عنه مثلاً فى الجرأة والشجاعة، وسرعة التفكير فى التغلب على سور حديقة الموت ، كمانع يعوق المسلمين عن اقتحامه . فطلب من المسلمين سرعة رفعه عالياً فوق السور، ليقفز منه على المرتدين خلف الباب فينجح فى قتلهم ، وفتح الباب للمسلمين فيندفعوا كالسيل الجارف يقتلون فى المرتدين ، ولولا هذا التصرف الحكيم والسريع لهرب مسيلمة الكذاب ، واعاد تنظيم صفوفه من جديد .

سادساً : أهمية الخداع وقت التفاوض :

أعطى مجاعة بن مرارة درساً فى المكر والدهاء ، للحصول على مكاسب لقبيلته ، فخدع خالد أثناء التفاوض على المصالحة معهم ، وأقنعه بأن الحصن ملئ بالمحاربين ، وأظهر النساء والصبية وكبار السن على شرفاته ، وهم مرتدين لبس القتال وكأنهم فرساناً حقيقيين ، ولو حاول خالد اقتحامه سيجد مقاومة شديدة ، فوافق خالد على المصالحة بربع الغنائم والسبايا بدلاً من النصف ، ونجحت خدعة مرارة وأنقذ قبيلته .

سابعاً : عدم التسرع فى القتال دون تقدير سليم للموقف :

تسرع كلا من عِكرمة بن أبى جهل وشرحبيل بن حسنة ، فى قتالهما جيش مسيلمة الكذاب منفردين ، على الرغم من تفوقه عليهما فى كل مرة ، وكان الأجدى لهما المناورة بالارتداد ، وتأجيل القتال معه حتى يأتى المدد المناسب ، إلا أنهما تسرعا دون تقدير سليم للموقف ، فكانت الهزيمة لهما .

ثامناً : القوة العسكرية هى السبيل لفرض الإرادة .

ما حققه خالد بن الوليد من انتصارات فى معاركه ضد المرتدين ، وحصوله على الغنائم والسبايا والانتقام لقتلى المسلمين العزل ، لم يتحقق إلا بالقوة العسكرية ، فبالقوة العسكرية وحدها استطاع المسلمون فرض الارادة على المرتدين ، وتحقيق النصر عليهم .

*****

معارك سيف الله فى العراق

بعد الانتهاء من حروب الردة ، تمكن المسلمون من تأمين الإسلام من أعداء الداخل ، وأصبحت الجزيرة العربية – عدا المناطق الشمالية – فى هدوء واستقرار فاتجه فكر الخليفة أبوبكر الصديق رضى الله عنه إلى إســتغلال النجاحات ، التى حققها المسلمون فى تلك الحروب ، والتوجه شمالاً لنشرالإسلام فى بلاد العرب ، وتحريرها من سيطرة الفرس والروم .

واختار الخليفة أن يحارب أولاً دولة الفــرس ويطردها من العراق ، وكان دافعه أن الفرس يدينون بالمجوسية أى يعبدون النار ، فمن لا دين له ولا عقيدة ، لن يثبت فى الميدان ، وهذه حقيقة عرفها المسلمون فى حروبهم ضد المرتدين ، كما كان هناك سبباً أخر جوهرياً دفع الخليفة للتوجه لمحاربة الفرس ، وهو.. أوضاعها الداخلية الغير مستقرة ، والتى لم تكن خافية عن المسلمين .

الأوضاع فى بلاد الفرس :

تولى الحكم فى بلاد الفرس أمراء ضُعفاء بعد أبائهم الأقوياء ، الذين أسسوا امبراطــورية مترامية الأطراف ، وتبوأوا مكانة مرموقة فى ذلك الزمان ، فالأمراء الخلفاء كانوا منشغلين بالنزاعات بينهم ، بدلاً من تقوية بلادهم وزيادة نفوذهم ، فضاعت الدولة بين الفتن والصراعات الداخلية ، ولم يدم أميراً على العرش طويلاً ، فتداعى الأمراء تباعاً ، بين من قتل أو مات فى زمن قصير، ومن بقى عاش حياة لهو وترف ، ولم يهتموا بأوضاع شعوبهم التى وصلت إلى درجة متردية ، تُنذر بعواقب وخيمة .

وتعرضت الدولة الفارسية إلى هزات وضربات على فترات ، ساعدت على نهايتها . فكانت أول هزة عنيفة وجهت إليهم ، هزيمتهم على يد العرب فى معركة ذى قار فى عام ستمائة وتسعه ميلادى – قبل ظهور دعوة الإسلام بعام– وتحت

قيادة القائد القدير هانئ بن مسعود ، الذى جمع حوله قبائل بنى شيبان وبكر بن وائل وعنزة بن عدى لمحاربتهم ، وكان هذا اليوم أول انتصار للعرب على الفرس ، إلا أن الفرس لم يدركوا أبعاد هزيمتهم ، فتلك الهزيمة مهدت الطريق لبدء فتح العراق على يد خالد بن الوليد ، واستكمله سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية . أما الضربة الكبرى التى تلقاها الفرس ، فكانت هزيمتهم من الروم(١) وانتزاع الشام منهم وتقلص حدودهم إلى دجلة والفرات .

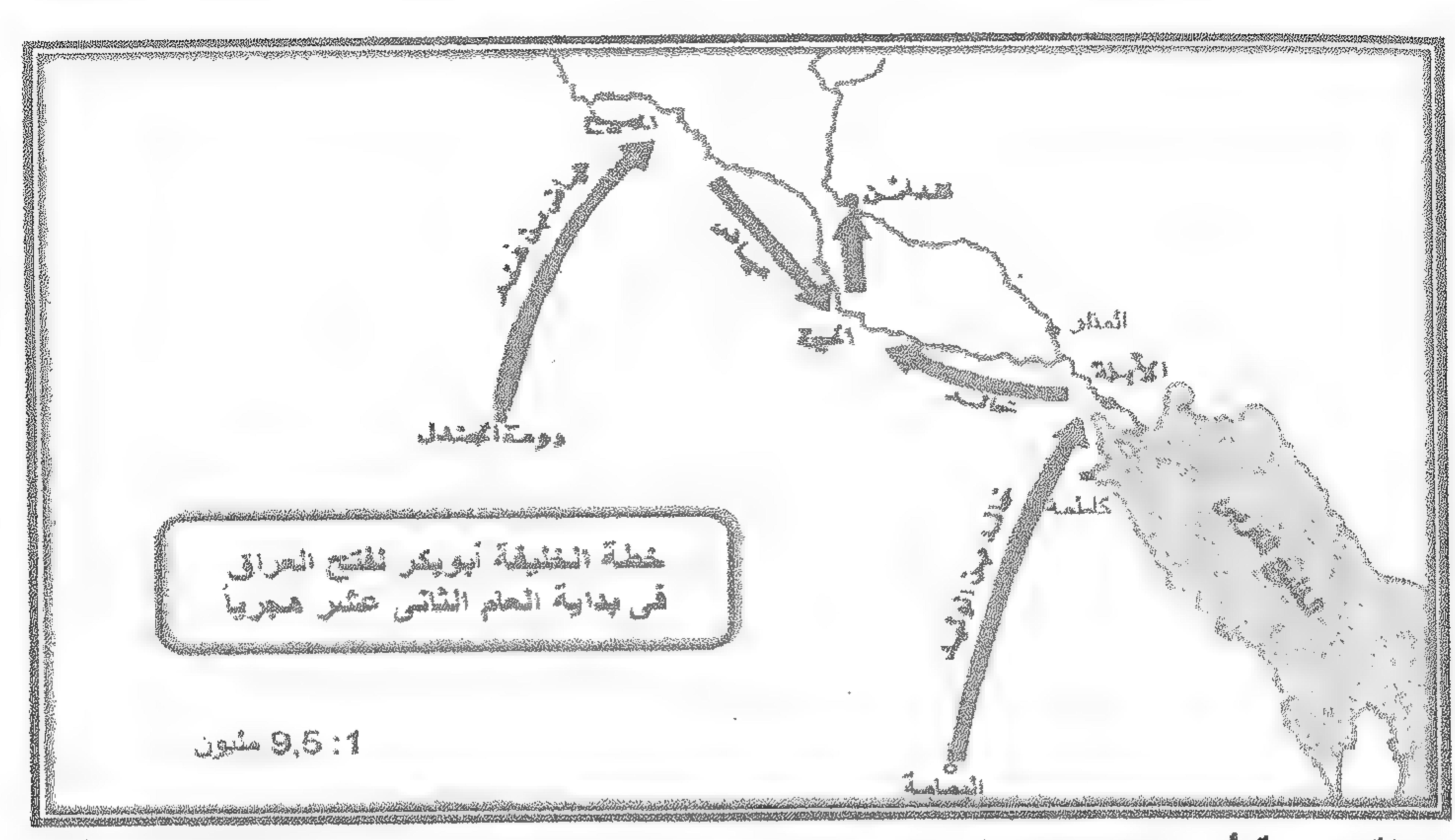
ولم يكن كل ذلك خافياً عن المسلمين وخليفتهم ، فأجتمعت كلمة الصحابة والخليفة على حرب الفرس والروم ، ونشر الإسلام فى تلك البقاع ، وكان سيف الله فى اليمامة بعد إنتهاء معركة عقرباء ، فلم يهنأ بالاً ولا استقراراً ، حتى ندبه الخليفة ومعه عياض بن غنم لفتح العراق . فأمر خالد بالتوجه إلى الأبُلة (٢) فى جنوب العراق ، وأمرعياض بالتوجه إلى المُصيخ شمال العراق ، ومن ينجح فى إنجاز مهمته والوصول إلى الحيرة أولاً ، يكون هو القائد على الجيشين .

إنها خطة محكمة لقائد سياسى حكيم ، ينشد من ورائها تحقيق أكثر من هدف ، فقد ضمن المنافسة بين القائدين على سرعة إنجاز المهمة والوصول إلى الحيرة ، فمن ينجز مهمته أولاً يكون قائداً على الجيشين ، وضمن أيضاً تشتيت جهود الفرس بين الجيشين بالقتال فى إتجاهين منفصلين ، وأخفى بتلك الخطة هدفه الرئيسى عن الفرس ، فلا يمكن لهم معرفة هدف كل جيش أو مقصده ، ومن الناحية الميدانية ضمن أن يكون هناك جيشاً احتياطياً للأخر فى حال نجاح أحدهما . ومن الناحية اللوجستية فإن دفع جيشين فى إتجاه واحد ، يصعُب معه تدبير إحتياجاتهما الإدارية أما الدفع فى إتجاهين مختلفين فيخفف الأعباء .

---

(١) فى عام ٦١٤م احتل الفرس القدس واستولوا على الصليب المقدس ، ثم تقدموا إلى مصر فسقطت الاسكندرية عام ٦١٩م ، وخلال تلك الفترة نزلت الأية الكريمة من سورة الروم الآيات ١-٥ التى تؤكد على انتصار الروم فى بضع سنين وتحقق ذلك تحت قيادة هرقل عام ٦٢٧ م .

(٢) الأبُلة : ميناء حيوى على شط العرب .



خطة الخليفة أبوبكر لفتح العراق . خريطه رقم (٣)

وطلب الخليفة من خالد أن لايضم أحداً مُكرهاً على القتال ، فمن ينضم يجب أن يكون لديه الرغبة الخالصة فى الجهاد فى سبيل الله ، فأنسحب من جيش خالد عدداً كبيراً ، فضلوا الاستقرار ، فأرسل يطلب مدداً ، فما كان من الخليفة إلا أن أرسل له رجلاً واحداً هو القعقاع بن عمرو التميمى(١) ، فسأله أصحابه أخالد يطلب مدداً فترسل له رجلاً واحداً ، فقال الخليفة : " لا يهزم جيشاً به القعقاع " وقد كان .

فبمجرد إنضمامه إلى جيش خالد بن الوليد إنهال المتطوعون على الجيش ، فكيف لاينضمون لجيش به القعقاع التميمى ويقوده خالد بن الوليد ؟ كما كتب الخليفة إلى حرملة بن مُريطة وسُلمة بن القين ومعذور بن عدى والمثنى بن حارثة (أول قائد رفع لواء الجهاد فى العراق) للانضمام بجيوشهم على جيش خالد بالأبُلة فوصل جيش المسلمين إلى ثمانية عشر ألف مقاتل ، سار بهم خالد فى أوائل السنة الثانية عشر للهجرة ليبدأ معاركه فى العراق ، وهناك التقى بجيوش الفــرس على أرض الرافدين .

---

(١) القعقاع : يعنى الحمى النافض التى تقعقع بها الأضرس ، وهو فارس المهام الصعبه شارك فى حروب الردة وفتح العراق وفى القادسية واليرموك وإبلى بلاءاً حسناً .

الطبيعة الجغرافية لمسرح العمليات :

تعتبر أرض الرافدين موقعاً استراتيجياً هاماً ، فهى التى تربط عرب الجزيرة بآسيا شرقاً ، وبأوروبا شمالاً فلا تجارة أو ثقافة إلا من خلالها ، وهى إحدى المحطات التى تصل المحيط الهندى بالبحر الأبيض المتوسط ، وبذلك تلعب دوراً هاماً على مستوى العرب والعـــالم . وتتميز بتعدد طبيعتها الطبوغرافية ، فالجنوب سهل رسوبى منخفض يجرى فيه نهرى دجلة والفرات ، اللذان ينبعان من جنوب شرق الهضبة التركية ويجريان جنوباً نحوالشرق ، ويلتقيان قبل أن يصبا معاً فى الخليج العربى ، وبأقصى الشمال توجد بعض الأراضى الجبلية حيث جبال سنجار وبخير وكردستان ، وأما الغرب فأرض صحراوية مفتوحة جزء من بادية الشام حيث صـــحراء السماوة .

وتؤثر طبيعة الأرض المتنوعة على التحركات وأعمال القتال ، ففى الجنوب يصلح لسير القوات عدا المناطق التى يكثر فيها الزراعات و النخيل وخاصة فى المنطقة بين النهرين ، فتؤثرعلى تقدم القوات وخاصة وقت سقوط الأمطار، فتصبح الأرض أشبه بالبرك والمستنقعات ، كما يمثل النهرين مانعاً طبيعياً ، يستلزم توفر سفن أو مراكب لعبوره . وتعتبر المنطقة الصحراوية التى تحيط بنهر الفرات من الجنوب والغرب أنسب المناطق لتحرك القوات ، أما المنطقة غرباً وحتى الشام فلا تأثير على تحرك القوات ، عدا تأثير الطقس وارتفاع درجات الحرارة وخاصة وقت الصيف .

***

معركة ذات السلاسل

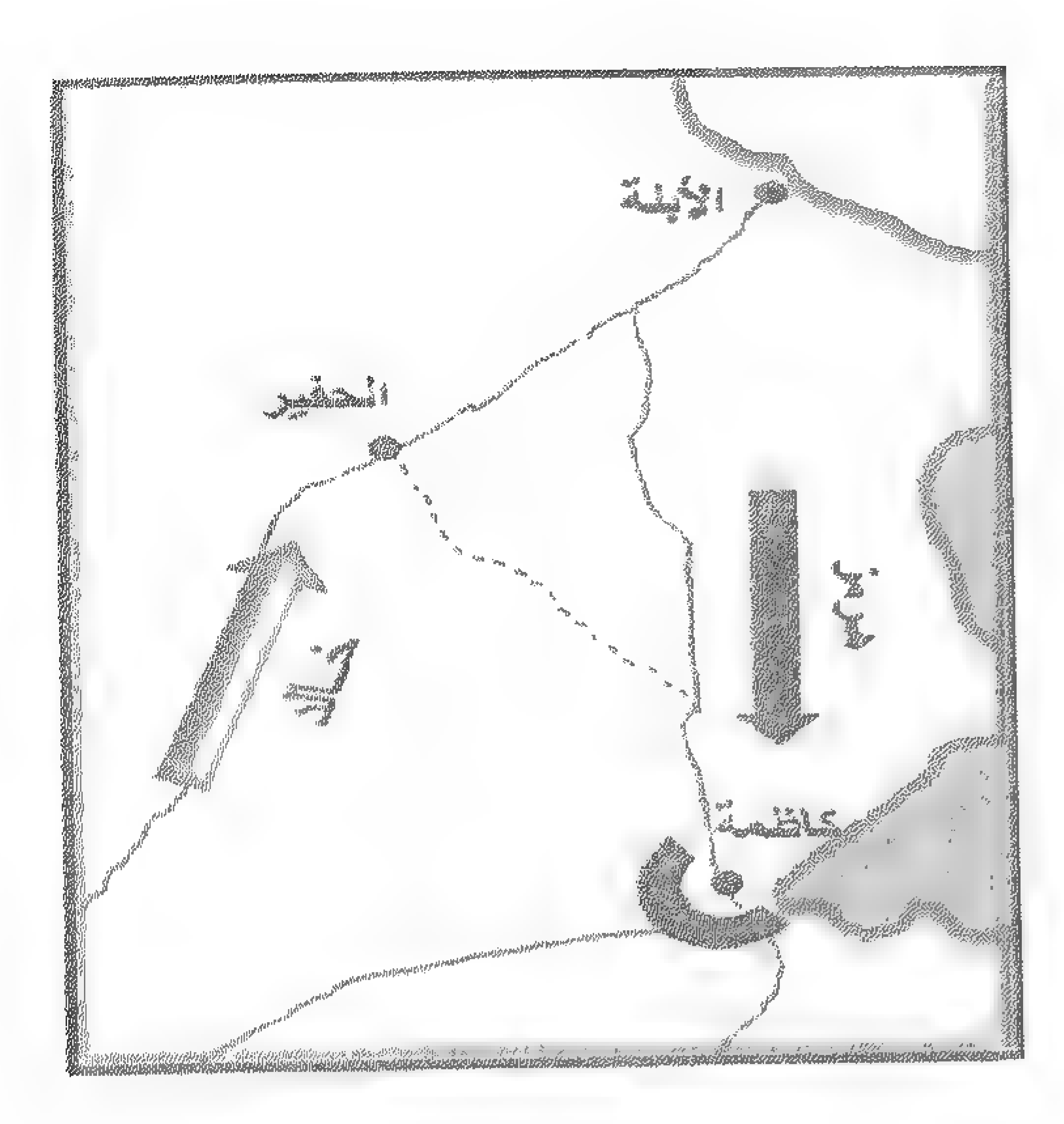
(محرم ١٢ هـ / مارس ٦٣٣ م)

قبل أن يتحرك خالد بن الوليد بجيشه لتنفيذ مهمته ، أرسل خطاباً إلى هرمز القائد الفارسى وأمير منطقة الأبُلة ، وطلب فى خطابه من الفرس الدخول فى الإسلام أو الجزية أوالقتال وقال : " أما بعد فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة ، وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياه " . فأرسل هرمز الخطاب إلى " شيرويه " ملك الفرس ، يطلب منه الإذن لقتال المسلمين ومدداً من الرجال ، فأرسل له جيوشاً جرارة تقدر بحوالى أربعين إلى سبعين ألف مقاتل ، ويعادل ذلك حوالى ثلاثة إلى أربعة أضعاف جيش المسلمين ، مع تفوق الفرس فى معدات ووسائل القتال الحديثه .

درس خالد الموقف جيداً ، وعرف أن الفرس سينتظرونه على الطريق المباشر من اليمامة إلى الأبُلة عن طريق كاظمة ، ولذا فضل ألا يسير فى هذا الطريق المكشوف من جهة الجنوب ، وقرر أن يتقدم إلى الأبُلة من جهة الجنوب الغربى فى عمق الصحراء ، وتحرك بجيشه بعد أن قسمه إلى ثلاثة فرق ، دفعهم من طرق مختلفة ولم يدفعهم على طريق واحد ، وكانت كل فرقة تتحرك وهى على أهبة الاستعداد للقتال ، فدفع المثنى على رأس فرقة قبله بيومين ، ثم لحق به عدى الطائى على رأس فرقة أخرى فى اليوم التالى ، و فى اليوم الثالث تحرك خالد بباقى قوة الجيش على أن يلتقوا بالقرب من منطقة الحفير.

وأراد خالد أن يكون أمامه بعد الوصول إلى منطقة الحفير محورين للمناوره ، المحور الأول كاظمة والثانى محـور الحفير ، وبذلك يخلق لقوات الفـرس مشكلة فى التحرك والمناوره ، فإلى أى محـور يتحركون لمواجهة جيش خالد ، وخاصة أن كثرة تجهيزاتهم ومعداتهم تسبب لهم بطءاً فى الحركه .

وبعد ان تقدم خـــالد من اليمامة [1] إلى النباج ومنها إلى الحفير، وصل هرمز فى نفس الوقت إلى منطقة كاظمة[2] ، وقام بتنظيم دفاعاته واستعد لملاقاة جيش خالد مواجهاً الجنوب الغربى وأمر بأن يربط جنوده بالسلاسل الحديديه ، حتى لايهربوا من أمام عدوهم ، ولذلك سميت تلك المعركة ذات السلاسل ، وظل ينتظر قدوم خالد وجيش المسلمين .



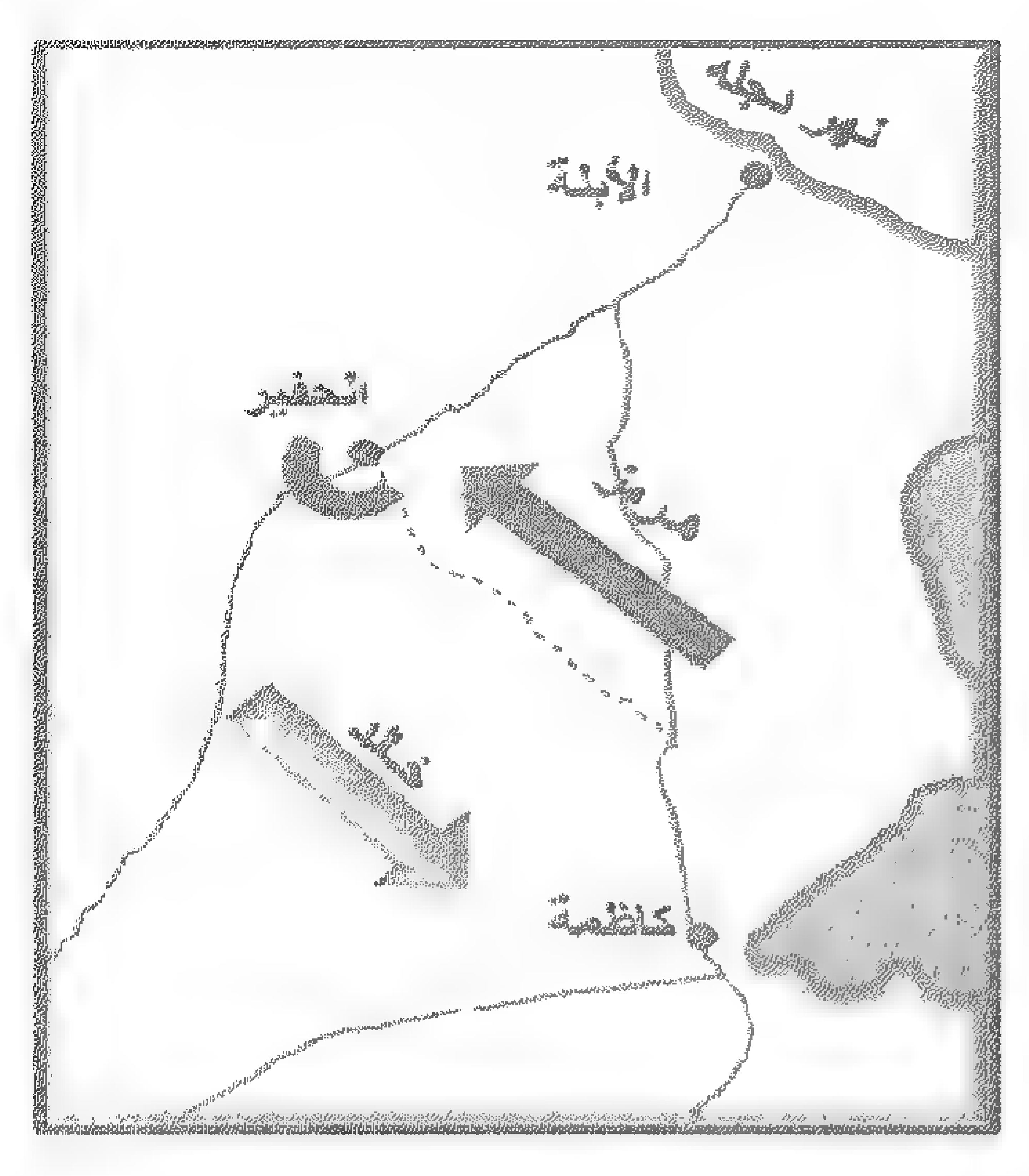
تحرك هرمز إلى كاظمة
بينما تحرك خالد إلى الحفير

كروكى رقم (٧)

وفى اليوم التالى وصلت هرمز أنباءاً من عيونه المنتشره وكشافيه (عناصر الإستطلاع) بأن خالد لم يتحرك فى اتجاه كاظمة ، بل تحرك فى اتجاه الحفير، فأدرك هرمز خطورة الموقف وأن قاعدته بالأبُلة أصبحت مهددة ، فأمر بالتحرك فوراً إلى الحفير التى تبعد حوالى سبعين كيلو مترعن الكاظمة ، وبدأ التحرك شمالاً فى مســيرة يومين وجيشه مثقل بتجهيزاته ومعداته ، وعندما وصل

---

(١) بعض المؤرخون يظنون أن خالد تحرك بجيشه من المدينة وليس اليمامة ، ولكن الأوقع أن خالد تحرك بمفرده للمدينة ليتلقى المهمة ثم عاد إلى جنوده . (٢) كاظمة : تقع على ساحل الخليج عند مصب نهر دجلة بالبحر وعلى الطريق من الأبُلة إلى اليمامة .



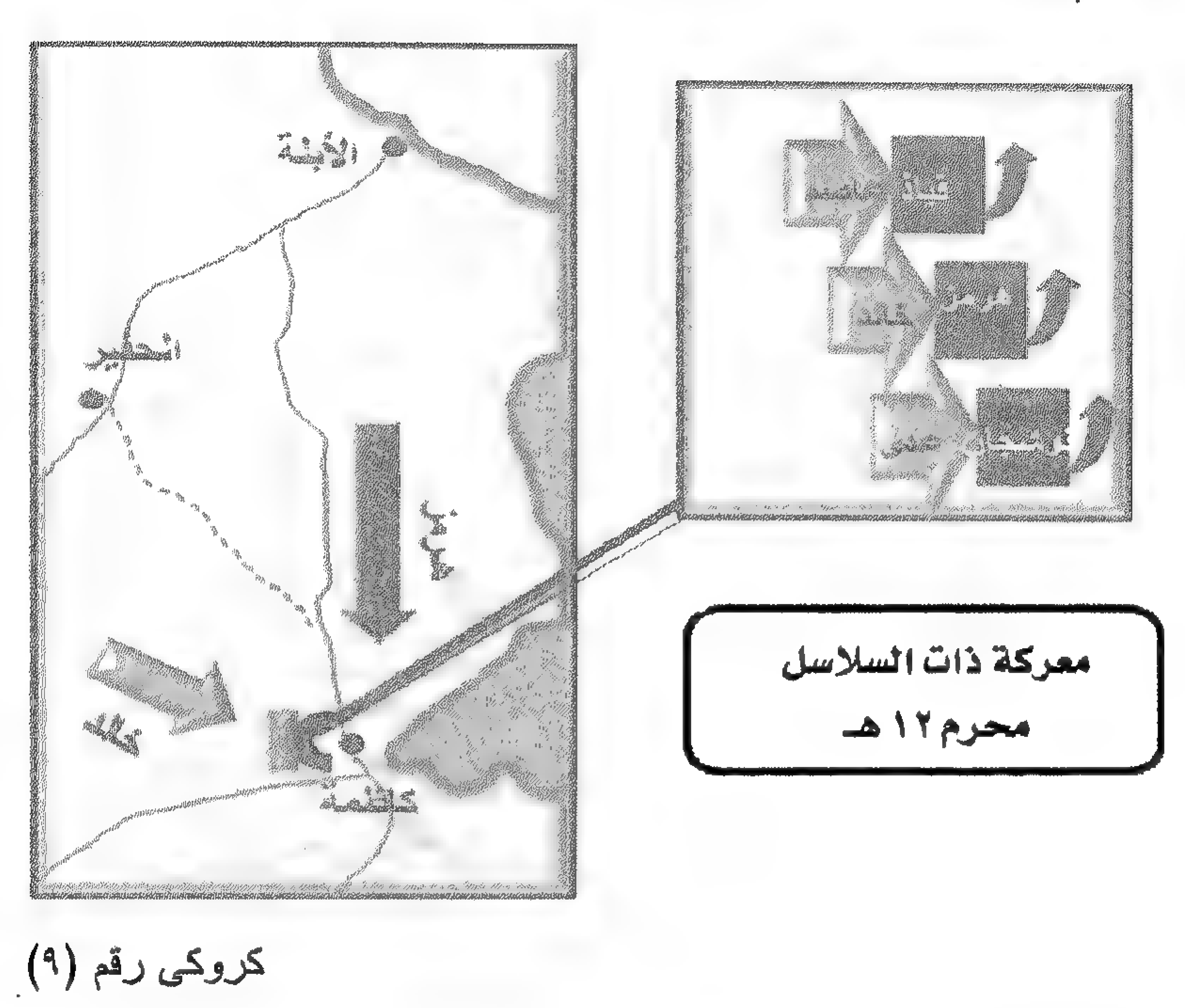
كروكى رقم (٨)

تحرك هرمز إلى الحفير
بينما تحرك خالد إلى كاظمة

الحفير لم يجد أى أثر لجيش المسلمين هناك ، وشرع فى تجهيز دفاعاته فى منطقة الحفير استعداداً لملاقاتهم ، إلا أن عناصر استطلاعه أخبرته بأن خالد وجيش المسلمين تحركوا فى اتجاه كاظمة . فاحتار هرمز هل يتجه إلى كاظمة أو إلى الأبُلة للدفاع عنها ، وفى النهاية قرر أن يعود إلى كاظمة لملاقاة جيش المسلمين هناك ، حتى لايسمح لهم بالاقتراب من منطقة الأبُلة ذات الأراضى الخصبة ، والتى تعتبر بوابة الامبراطورية الفارسية إلى العالم الخارجى ، وعندما وصل كان جيشه فى حالة من الإجهاد البدنى والإنهيار المعنوى ، ورغم ذلك اضطروا - تحت الضغط مُجبرين - لسرعة تنظيم الدفاع عن كاظمة انتظاراً لجيش المسلمين .

وتقدم خالد بجيشه مهاجماً من الصحراء ، ولم يعط جيش الروم قسطاً من الراحة ، وبركة من السماء هطلت الأمطار فشرب جنوده وملأوا قِربهم وأسرعوا للمعركة ، فشكل خالد قواته فى جناحين وقلب ، وعين عدى بن حاتم الطائى وعاصم بن عمرو قائدين للأجنحة وتواجد هو بالقلب ، وبالمثل شكل هرمز قواته فى جناحين بقيادة الأميرين قياذ وأنوشجان .

وقبل ان يلتقى الجيشان برز هرمز فى الفاصل بين الجيشين ونادى على خـــالد بعجرفة ليتبارزا ، فخرج له من بين الصفوف كالأسد الجسور، وهو لا يدرى أن هرمز ضمر ســـوء النية ، ورتب مع بعض جنوده خطة شـــيطانية ، بأن يلحقوا به وينقضوا على خالد ليقتلوه – فى مناورة خسيسة – عندما يشعرون قرب هزيمة قائدهم هرمز.



كروكى رقم (٩)

وتبارز القائدان ، ثم نزلا عن فرسهما وتشابكا يتقاتلان ، فأحتضنه خالد بقوة بيديه ، وهنا شعر جنود هرمز بميل الكفة لقائد المسلمين ، فخرجوا من الصفوف وفى نيتهم الغدر بخالد وقتله ، وفجاءة اندفع القعقاع على فرسه بسرعة الريح – بعد أن أدرك أبعاد المؤامرة – وفى ثوان أطار برؤوس مقاتلى الفرس المحيطين بخالد ، فما كان من خـــالد إلا أن أطبق على هرمز وقتله ، ثم أطلق صيحته مؤذِنًا بالهجوم العام ، فأندفع المسلمون فى حماسة وثقة ومعنوياتهم مرتفعه ، بفضل انتصار قائدهم فى المبارزة ، وفى المقابل أصيب جنود الفرس بصدمة قاسية ، فهاهو قائدهم يُصرع أمامهم .

والتقى الجيشان ورغم كثرة جنود الفرس ، كان النصر حليف المسلمين ، فاستطاعوا الضغط على الفرس المقيدين بالسلاسل من الجانبين ، فى قتال مستميت خبروه من قتال المرتدين . ولما أحس الأميران بقرب الهزيمة لامحال ، أمر جنودهم بالارتداد إلى الأبلة ، فارتد من كان غير مقيداً بالســلاسل ، وأما من كان مقيداً فقتل وكانوا بالآلاف .

واستطاع الأميران الهرب بمن بقى من جيشهم ، ومع ذلك لم يتركهم خالد ، فأراد استغلال انتصاره على الفرس ، وأرسل المثنى بن حارثة على رأس قوة يطارد فلول المرتدين المذعورين إلى الأبلة والخريبة ، فطهــرها منهما وفتحهما ، وكانت بمثابة قاعده أرتكز المسلمون عليها فى هجومهم القادم .

تحليل المعركة :

اكتسب المسلمون من حروب الردة ، خبرة قتالية كبيرة ، مكنتهم من سرعة إنزال الهزيمة بالفرس ، بجانب إعتياد البدوى العربى القتال فى الصحراء ، حيث قلة المياه ، والظروف الجوية الصعبة وخاصة أرتفاع درجة الحرارة . عكس المقاتل الفارسى الذى لم يعتاد القتال فى الصحراء ، وفى تلك الظروف الصحراوية الصعبة ، فكان ثقيل الحركة بما يرتديه من خوذة على رأســه ، ودرع حديدى يغطى معظم جسده ، بخلاف تسليحه الشخصى المكون من سيف ودرع ورمح ونبال وسهام وبلطة ، وجره لعربات تحمل المؤن والاحتياجات الإدارية والطبية ، وكانت روحــهم المعنوية منخفضة من كثرة التحركات ، التى أجروها من الكاظمة إلى الحفير، ثم العودة ثانية لكاظمة ، ثم تقييدهم بالسلاسل أفقدهم الثقة بأنفسهم ، وجاء مصرع قائدهم على يد خالد ليعجل بهزيمتهم ، فكل تلك العوامل أحدثت فرقاً كبيراً بين المقاتل العربى والفارسى .. فكان الانتصار للمسلمين .

وتعتبر معركة ذات السلاسل ، أول معركة بين الأمة الإسلامية والدولة الفارسية ، وكانت معركة فاتحة ، فأما الانتصار للمسلمين واستكمال الفتوحات

أوالهزيمة والعودة بدون فتوحات ، فكان النصر للمسلمين واستكملت بعدها حملة فتح أرض العراق . فالعرب كانوا فى أشد الحاجة إلى مثل هذا الانتصار على الفرس ، فى أولى الجولات ليرفع معنوياتهم ويشد أزرهم ويؤكد لهم ، أنهم قادرون على تحقيق النصر على الفرس المجوس .

وعلى الرغم من أن مقارنة القوات – كماً – كانت فى صالح الفرس بنسبة كبيرة ، حوالى ثلاثة إلى أربعة أضعاف ، إلا أنه كان للمسلمين التفوق – كيفاً – متمثلاً فى نوعية المقاتل العربى ، الصلب القوى الماهر فى القتال ، المؤمن بعقيدة الإسلام وحتمية نصر المسلمين ، الواثق فى قائده وروحه المعنوية مرتفعة من انتصاراته المستمرة . كما كان هناك أيضاً تفوقاً ملحوظاً لجيش المسلمين فى الميدان ، متمثلاً فى خفة الحركة والمرونة ، والقدرة العالية على المناورة . وكل تلك العوامل عادلت كفة تفوق الفرس العددى ، ومكنت المسلمين من تحقيق النصر فى تلك المعركة الفاتحة .

ونلاحظ أن تحركات خالد وجيش المسلمين داخل الصحراء ، كانت مناورات خداعيه ، استهدف منها خالد إجهاد جيش الفرس ، فى البحث عن جيش المسلمين ، فى كاظمة ثم الحفير ثم العودة ثانية إلى كاظمة ، وهو يعلم طبيعة ونوعية المقاتل الفارسى الذى لم يعتاد القتال فى الصحراء ، فخفض روحهم المعنوية وأوصلهم إلى حالة من الإنهيار النفسى والبدنى ، أدت إلى إفقادهم الثقة فى قرارات قائدهم ، كما شتت العدو عن معرفة هدف هجوم المسلمين الرئيسى .

وأراد خالد من تلك المناورات الخداعية ، أن يذهب إلى كاظمة مهاجماً وليس مدافعاً ، فكان يريد لجيش هرمز أن يذهب أولاً ، ثم يثبت بعد عناء كثرة التحركات والارهاق البدنى والنفسى ، فيكون المسلمون البادئون بالهجوم ، والصحراء من خلفهم تؤمنهم ، ولا يمهلوهم فرصة لإلتقاط الأنفاس أو الراحة . وكان خالد فى مناوراته يدرك تماماً صعوبة – بل استحالة – تقدم جيش هرمز إليه فى الصحراء فهاجم فى التوقيت المناسب الذى أختاره ، ولعله رأى أن منطقة كاظمة أفضل موقع

للهجوم ، لإمكان فتح جيشه بسهولة قادماً من عمق الصحراء ، ومحاصرة العدو بينه وبين الخليج ، وأيضاً لبعدها عن الأبُلة فلن يأتى منها مدداً سريعاً ، أما الحفير فقريبة من الأبُلة فيمكن للعدو سرعة دعم وامداد قواته .

واستهدف خالد بن الوليد تقسيم جيشه إلى فرق ، أثناء التقـدم إلى النباج وعلى رأس كل فرقة قائد ، وكانت الفرق تتحرك وهى على أهبة الاستعداد الكامل للقتال ، فكان تحركاً قتالياً وليس مجرد تحرك وانتقال من مكان إلى أخر. وقصد خالد من ذلك تسهيل أعمال القيادة والسيطرة على القوات ، وتوزيع المهام والمسئوليات ، وتأهيل كوادر قيادية جديدة ، قادرة على تحمل المسئولية ، وقد دفعهم بالتتالى كل يوم فرقة ، حتى يؤمن التحرك ويُسهل الأعباء الادارية من سقى ومرعى ، وكذلك التعتيم على جواسيس العدو ، كى لا يدركوا أى جهة تقصدها فرق المسلمين .

واسلوب إجهاد العدو بدنياً ونفسياً – قبل الدخول فى المعركة الرئيسية – طبقه أيضاً صلاح الدين الأيوبى ولكن بأسلوب مختلف . ففى معركة حطين عام١١٨٧ م وعندما أحس صلاح الدين بنفاذ الماء من القوات الصليبية ، وأن جنودهم يعانون من شدة حرارة الطقس ، أمر جنوده بحرق الشجيرات والنباتات الصحراوية ، الموجودة فى الجانب الذى تهب منه الريح فى إتجاه المعسكرالصليبى ، فزادت درجة حرارة الجو من معاناة الصليبيين العطشى ، وعندما أنهكهم العطش ودرجة الحرارة المرتفعة وانهاروا نفسياً ، إجتاحهم فرسان المسلمين فقضوا عليهم ، وسقط منهم الآلاف قتلى وجرحى وتم اسر الكثير منهم ، وكان انتصاراً ساحقاً للمسلمين.

وعندما نراجع ما طبقه خالد فى معركة ذات السلاسل ، مع نظرية الأقتراب الغيرمباشر، التى وضعها ليدل هارت الخبير العسكرى البريطانى(١) بعد الحرب العالمية الأولى ، والتى تتضمن عدم الأقتراب مباشرة فى مجابهة العدو. والعمل

---

(١) The strategy of indirect approach by liddell hart

على إخلال توازنه وإيصاله مرحلة من الانهيار النفسى يكون مهيئاً للهزيمة ، ثم الأقتراب اليه من إتجاهات لا يتوقعها قبل الإجهاز عليه . نجد أن ما فعله خالد هو تطبيقاً لتلك الاستراتيجية . فلقد أوصل هرمز وقواته لحالة من الإنهيار النفسى والأرهاق البدني ، بما لايطاق ، ثم هاجمهم من طريق أقتراب غير متوقع مكنه من هزيمتهم . ومن هنا تبرز عبقرية خالد وفكره السابق لعصره .

الدروس المستفادة من معركة ذات السلاسل :

من جانب جيش المسلمين :

أولاً : لايُعلِمَ القتال إلا القتال :

اكتسب المسلمون خبرة كبيرة من قتال المرتدين ، فكانت حروب الردة تدريباً عملياً على ممارسة فنون القتال ، فاعتادوا المسير أياماً فى ظروف الصحراء ، وركوب الإبل والخيل فى التحركات ، وقاتلوا فى معارك عديدة واكتسبوا خبراتها ، ومارسوا القيادة وتشكيلات القتال ، وأفرزت المعارك صف ثانى من القادة يمكن الاعتماد عليهم ، وتمكنوا من استثمار كل ذلك فى معارك فتح العراق ، فكان النصر حليفهم ، على عكس جنود الفرس الذين كانوا عديمى الخبرة القتالية ، ولا دراية لهم بقتال الصحراء ، وبالتالى لم تتوفر لهم أى فرصة للأنتصار على جيش المسلمين . وهذا يذكرنا بحرب الاستنزاف التى خاضتها القوات المصرية ضد القوات الاسرائيلية ، فكانت خير تدريب للجنود المصريين قبل الأشتراك فى حرب اكتوبر المجيدة .

ثانياً :أهمية التحركات العرضية المؤمنة لخداع العدو عن اتجاه الهجوم :

قام خالد بن الوليد بخداع الفرس عن اتجاه وهدف هجومه الرئيسى ، فتحرك من اليمامة فى عمق الصحراء إلى النباج بدلاً من كاظمة ، ليقنع عيون العدو- استطلاعه – بأن الحفير هدف هجومه ، ثم قام بمناورة أخرى بالتحرك إلى كاظمة ، ليجبر جنود الفرس على سرعة العودة إليها فيهاجمهم وهم

مُنهكون من كثرة التحركات . وقد أخفى خالد بن الوليد بذلك نية هجومه من حيث المكان والزمان ، وأجرى كل تحركاته العرضية مؤمناً قواته بعمق الصحراء .

ثالثاً : خفة الحركة تساعد القوات على تنفيذ المناوره بنجاح :

كان جيش المسلمين يتميز بخفة الحركة ، فلا يرتدى جنوده دروعاً حديدياً ولا سـلاسل تكبلهم ، ويحملوا سيفاً أو رمحاً أو قوساً وسهاماً ، ويستخدموا الإبل والخيل أثناء التحركات ، واسلوب قتالهم يعتمد على ركوب الإبل وسير الخيل وراءهم بدون ركوب ، ثم عندما يحين وقت الهجوم يركب الفرسان الخيل وينطلقون إلى أهدافهم ، وهذا الاسلوب مكنهم من تنفيذ المناورات بسرعة ، على عكس جيش الفرس الذى كان يتميز بالبطء وصعوبة الحركة نظراً لكثرة المعدات التى يحملونها معهم .

رابعاً : أهمية إنهاك العدو بدنياً ونفسياً قبل الدخول فى المعركة :

اتبع خالد اسلوباً جديداً فى القتال ، يعتمد على إنهاك قوات العدو بدنياً ونفسياً قبل الدخول فى المعركة ، بكثرة تحركاته ومناوراته ، فأجبر العدو على التحركات الكثيرة لمواجهته من كاظمة إلى الحفير ثم العودة إلى كاظمة مرة أخرى ، إلى أن وصلت قوات الفرس إلى حالة من الإرهاق البدنى والإنهيار النفسى ، لاتُمكنها من القتال بصورة طبيعية . وعلى الجانب الأخر كان المقاتل العربى يتمتع بجلد ومثابرة ، وقدرة عالية على التحمل فى الظروف المناخية الصعبة ، فتمكنوا من تحقيق النصـر على جنود الفرس .

خامساً : الروح المعنوية العالية لها أثر كبيرعلى سير أعمال القتال :

كانت الروح المعنوية للمسلمين عالية ، قبل الدخول فى معاركهم مع الفرس ، ومرجع ذلك انتصاراتهم فى حروب الردة ، وازدادت بعد قتل خالد

بن الوليد لهرمز قائد قوات الفرس ، والمفاجأه التى أحدثها القعقاع بهجومه السريع على جنوده ، ثم ازدادت أكثر عندما التحم الجيشان وأحس المسلمون بضعف مقاومة جنود الفرس ، وعرفوا أن النصر سيكون حليفهم .

أما جانب الفرس فكانت معنوياتهم منخفضة ، بسبب كثرة التحركات التى أجهدتهم تماماً قبل المعركة ، ثم أحبطهم مصرع قائدهم هرمز ، الذى كان مشهوراً بقوته وبأسه ، ولم يستطع أحداً أن يهزمه فى مبارزة من قبل ، بالإضافة إلى تقييدهم بالسلاسل ، فكانت كلها عوامل معنوية أثرت سلباً على سير أعمال قتالهم وأدت إلى هزيمتهم .

<u>من جانب جيش الفرس</u> :

أولاً : ضرورة اختيار المكان المناسب لتنظيم الدفاع :

لم يختر هرمز قائد الفرس المكان المناسب لتنظيم الدفاع عليه ، وكان الأفضل أن يدافع على أطراف الأبُلة ، وهى نقطة التقاء مع الكاظمة من جهة والحفير من جهة أخرى ، ويقلل من تحركاته ويوفر مجهود جنوده للمعركة ، ومن الأبُلة كان سيتحقق له مراقبة خالد ومعرفة محور تقدمه ، بالإضافة إلى أن خطوط مواصلاته فى هذه الحالة لن تطول ، وسيشعر الجنود أنهم يقاتلون دفاعاً عن معقلهم وليس فى الصحراء ، وفى هذه الحالة لا حاجة لتقييدهم بالسلاسل .

ثانياً : أهمية عناصر الاستطلاع فى الإبلاغ الموقوت عن التحركات :

لعبت عيون الفرس وكشافيهم (عناصرالإستطلاع) دوراً هاماً فى الإبلاغ الموقوت (الوقت المناسب) عن تحركات جيش خالد بن الوليد فى كل تحركاته التى أجراها ، بدءاً من اليمامة فى تحركه الأول ، ثم تحركه فى عمق الصحراء إلى النباج ، ثم عودته مرة أخرى إلى كاظمة . إلا أن هرمز لم يستغل تلك المعلومات من البداية لصالح قواته .

معركة المذار[1]

(أول صفر ١٢ هـ / ١٧ أبريل ٦٣٣ م)

علم الفرس بهزيمة هرمز فى كاظمة وفرار جيشهم ، وأدركوا أنهم مهددون لا محالة فى المدائن عاصمتهم ، فشكلوا بسرعة جيشاً بقيادة " قارن بن قريانس" ووصل الجيش إلى المذار، استعداداً للتقدم إلى الأبلة وهزيمة جيوش المسلمين ، وضم اليه فلول هرمز الهاربة ومنهم الأميران قُياذ وأنوشجان ، وكان جيش قارن يقارب الخمسين ألف مقاتل .

ولما علم المثنى بهذا التجميع القتالى الجديد ، أرسل إلى خالد بن الوليد بالخبر وطلب سرعة الامداد لمواجهة هذا الجيش ، فكان خالد هو الجواب ومعه حوالى ثمانية عشرألف مقاتل ، وتحرك خـــالد بعد أن ترك حاميات فى المناطق التى فتحها مثل الأبُلة والخريبة لتأمينها ، وكانت تلك الحاميات تقوم بأعمال الحراسة وفرض الأمـــن والنظام والإبلاغ عن أى عدائيات ، وبذلك تؤمن ظهر جيش المسلمين . وتحرك خالد من الأبُلة شمالاً متوجهاً إلى المذار، فوجد جيش الفرس خارج المدينة على ضفاف نهـــر الفرات ، وخلفه اسطولاً من السفن . فأدرك خالد بفطنته العسكرية أن تواجد هذه السفن ، دليل على خوفهم من قتال المسلمين واستعدادهم للهرب عند الهزيمة ، فأمر خالد جنوده بالصبر والثبات والإقدام بلا رجوع .

والتقى الجيشان وحاول قارن أن يمحو عار هرمز ، فطلب خالد للمبارزة قبل المعركة ، فتحرك خـــالد إلى الفاصل بين الجيشين وتبعه معقل بن الأعشى– من عامة جيش المسلمين– ليحميه من أى غدر ، ثم تبعه أيضاً حاتم عدى بن

(ا) المذار: تقع شرق نهر دجله وشمال غرب الأبُلة بحوالى ١٠٠ كم . ويقال لهذه الوقعة الثنى (النهر) لقربها من نهر الفرات .

الطائي وعاصم بن عمرو ، يطلبان منازلة الأميران فتبارز الثلاثة فى قتال لم يأخذ وقتاً طويلاً ، فسبق معقل خالد وقتل قارن " قائد الفرس" ، وقتلَ عدى الأمير قبُاذ ، وقتلَ عاصم الأمير أنوشجان .

وبإشارة من خالد أعلن الهجوم العام فاشتبك الجيشان ، جيش دب فيه الذعر والهلع ، يقاتل بلا قائد ولا أميران ، وجيش يقاتل تحت راية قائد مغوار ومعه صحبة شجعان ، فقاتل المسلمون قتال الأبطال وكلهم ثقة فى تحقيق النصر، فهزموهم وانتصروا وفر جيش الفرس نحو النهر ، ونجا من غادر بالسفن وقُتل من بقى ، وقيل أنهم كانوا ثلاثون ألف وارتد جيش الفرس وهم لا يدرون ماذا يفعلون .

أيقن الفرس أنهم غير قادرين على مواجهة العرب المسلمين ، فقرروا الاستعانة بمن مثلهم ، فاستعانوا بعرب القبائل التى تقطن منطقة الرافدين ، واستطاعوا أن يسببوا المضايقة لجيش المسلمين بعد معركة المذار ، وهنا قرر خالد بن الوليد أن يستكمل مسيرته ، ويهاجم الفرس حتى لايعطيهم الفرصة لاستكمال استعدادهم وتجهيز جيوشهم ، فلو إستكان بمكانه ودافع سيزيدوا الهجوم عليه ، فقرر الهجوم واستغلال انتصاراته السابقة ، وسرعة الدخول فى معركة أخرى ، وخاصة أن جنوده روحهم المعنوية مرتفعة ، وتواقين لتحقيق نصر جديد تحت قيادته . وكسابق عهده ترك مجموعة من جنوده تؤمن البلاد التى فتحها ، وتكون قاعده له تحمى ظهر جيش المسلمين ، وتستقبل من سيأتى من مدد الخليفة ، وتحرك خالد وجيشه إلى الولجة[1] .

---

(١) الولجة : تقع على الاطراف الجنوبيه لنهر الفرات وغرب الحفير بحوالى ١١٥ كم .

الدروس المستفادة من معركة المذار :

أولاً : أهمية استغلال النجاح والتقدم لتحقق نصر جديد :

عندما أخبر المثنى ، خالد بن الوليد بالتجميع القتالى للفرس فى المذار، أدرك خالد بحسه العسكرى بأن الفرس لن يسكنوا لهزيمتهم ، وسيسعون إلى تحقيق نصرعلى المسلمين ، فأراد أن يستغل ماحققه من نجاح ، وتقدم على رأس جيشه ولم ينتظرهم ، وأراد أن يكسـر شوكتهم بهزيمة أخرى تحبط أمالهم ، ويستمر هو وجيشه من نصر إلى نصر .

ثانياً : النصر لا يأتى بالكثرة العددية :

على الرغم من التفوق العددى لقوات الفرس ، ومقارنة القوات فى صالحهم حيث بلغت خمسة أضعاف جيش المسلمين ، إلا أن خالد بن الوليد أثبت فى معاركه بأن الانتصار ، لا يأتى بالكثرة العددية ، بل يأتى بالتخطيط الجيد والدراسة المتأنية للموقف ، مع سرعة اتخاذ القرار المناسب ، ومباغتة العدو وعدم انتظارهم ، والقيادة الماهرة للقوات فى أرض المعركة ، وقائدهم معهم يشـاركهم القتال ويبث الحمية والحماس فى نفوسهم ، ولذلك كان النصر دائماً لخالد بن الوليد **سيف الله** .

ثالثاً : ترك حاميات عسكرية تؤمن ظهر جيش المسلمين :

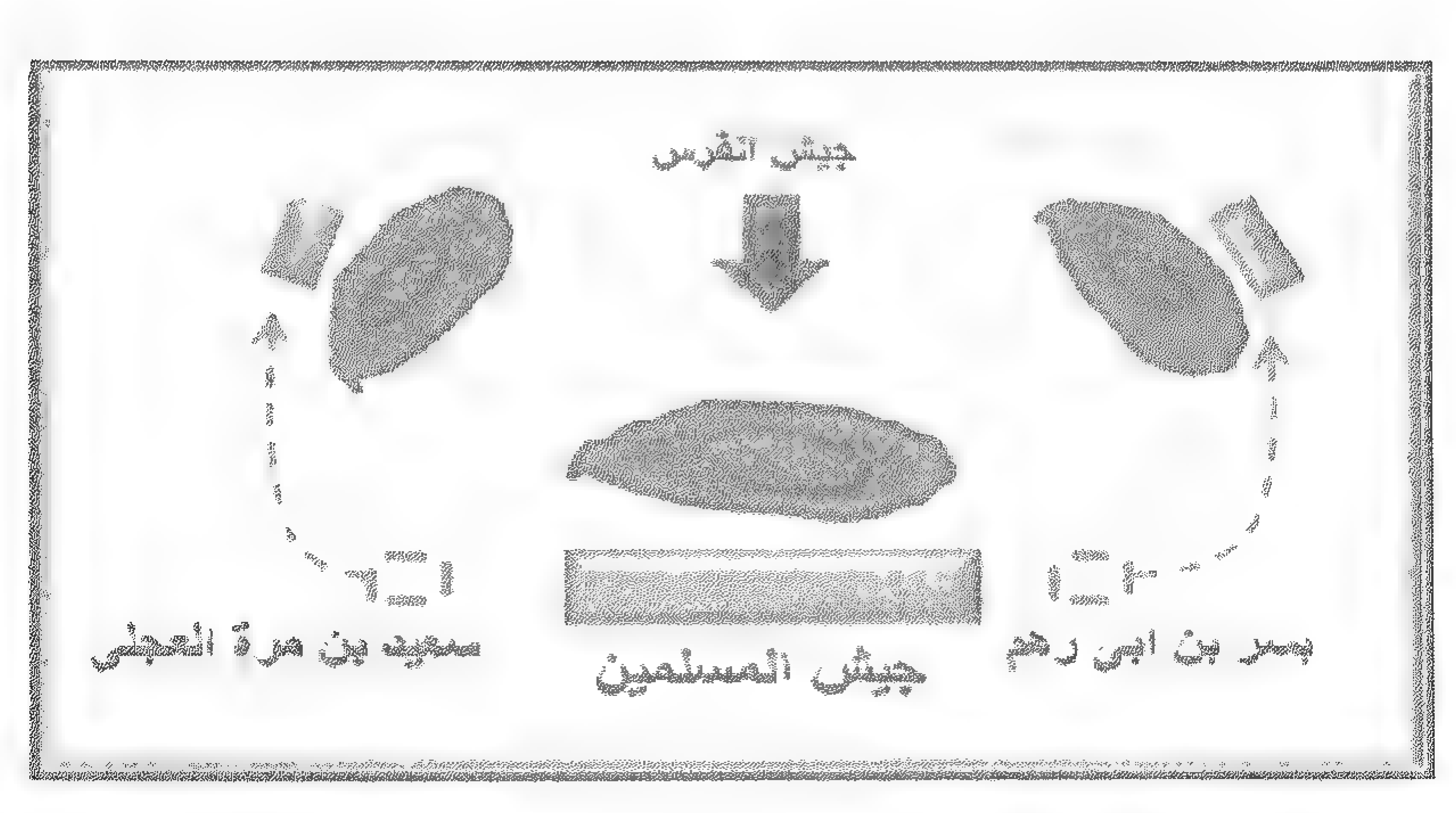
أدرك خالد بن الولـيد ضرورة ترك حاميات عسكرية ، لتأمين ظهر جيش المسـلمين عند التحرك لمعـركة جديدة ، وهذا مايعرف فى الجيوش العصرية بالمؤخرة ، التى يترك فيها مجمـوعة من الجنود لأعمال التأمين والحراسة ، واستقبال أى امدادات جديدة ، ورفع كفاءة الاسلحة ، وعلاج المصابين من المعارك السابقة .

معركة الولجة

(٢٢ صفر ١٢ هــ / ٨ مايو ٦٣٣ م)

أراد خالد بن الوليد أن تكون معركته القادمة فى الولجة ، خطوة نحو تحقيق هدف الخليفة بالاستيلاء على الحيرة ، فتحرك من المذار جنوباً إلى الأبُلة ، ليطمئن على حاميته بها ، ثم تقدم إلى الحفير بمحاذاة الشاطئ الغربى لنهر الفرات ، واختار الطريق الأطول – الآمن – للوصول إلى الولجة ، حيث أنه لا يملك سفناً يعبر بها نهر دجلة أو الفــرات ، وحرصــاً على تأمين قواته لم يرغب التحــرك فى وسط الســواد (المنطقة بين النهرين) ، حتى لا يقع فى كمائن على طريق تحركه أو يسهل اكتشافه ومراقبته .

وكان خالد بن الوليد فى جميع تحركاته على استعداد دائم ، فتحركه قتالياً وفى تعبئة كاملة ، ولتأمين تحركه دفع أمامه مجموعتين من جيشه ، ثم أمرهم بأن يكمنوا على مقربة من الولجة فى مكان خلف موقع المعركة المنتظره – وهو استيعاب خالد لدرس الكمين فى معركة حُنين – وفى التوقيت الحرج يهاجموا ظهر جيش الفرس ، وكان قائد مجموعة اليمين بسر بن أبى رهم ، وقائد مجموعة اليسار سعيد بن مرة العجلى .

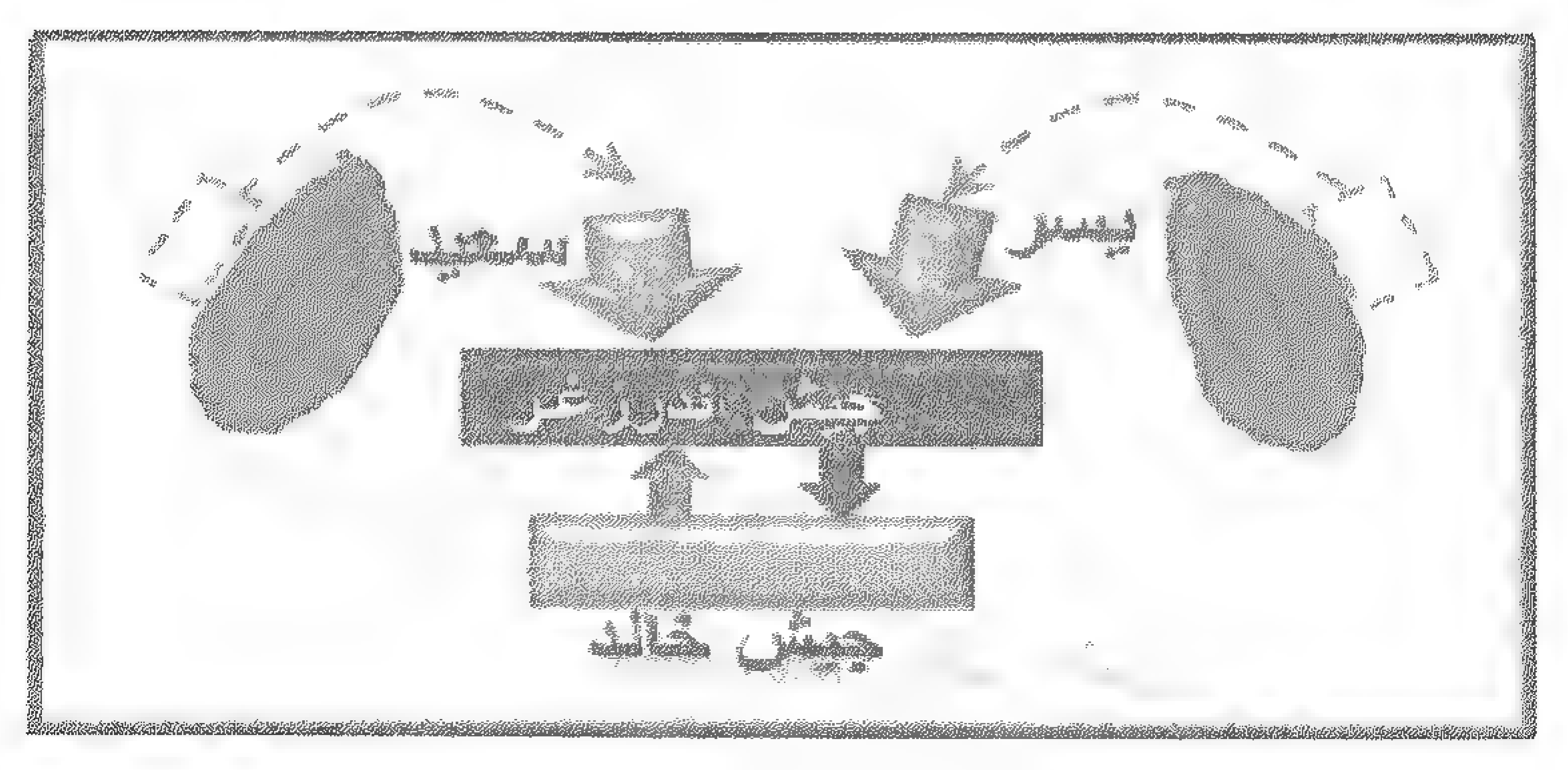


دفع مجموعتين لعمل كمائن على أجناب العدو　　　　كروكى رقم (١٠)

وكان أردشير بعد هزيمة الفرس فى معركة المذار، قد أرسل جيشاً بقيادة " الأندرزغر" ، سار من المدائن حتى الولجة وعسكر بها غرب نهر الفرات فى منطقة صحراوية ، بها بعض الهيئات على أجنابها ، سمحت لمجموعتى المسلمين بأن يكمنوا بها دون أن يكتشفهما الفرس .

وعندما وصل جيش خالد ، كان جيش الفرس على أهبة الاستعداد ، وجنوده كلهم اصرار على إنزال الهزيمة بجيش المسلمين هذه المرة ، ولم يكن هناك مجالاً للمبارزة بين الأمـــراء ، فالجيشان يتعجلا النزال ، فالتحما واشتد القتال ، وصمدت قوات الفرس فى دفاع مستميت على غير العادة ، وطال الأشتباك ، فالفرس يقاتلون ويدافعون عن شرفهم ومجدهم ، ومصرون على تحقيق النصر، ومعهم بعض قبائل الأعراب تساندهم فى الميدان ، فتناقلت راية النصر تارة للمسلمين وتارة إلى الفرس ، حتى ظنوا أنهم على وشك تحقيق النصر على المسلمين .

وهنا استشعر خالد خطورة الموقف ، واحس بفطرته وعبقريته العسكرية ، ضرورة الدفع بقوة جديدة فى الميدان ، تُرجح كفة ميزان المعركة لصالحه ، فأعطى إشارة لقواته المخبأة خلف الهيئات ، وفجأة ظهر أحد الكمينين وهاجم ظهر جيش الفرس ، ففوجئ جنود الفرس من هذا الهجوم الغير متوقع ، وقبل أن يفيقوا من صدمة الكمين الأول ، عاجلهم الكمين الأخر بصدمة أخرى أفقدتهم إتزانهم وعجلت بهزيمتهم .



مهاجمة الكمينين لظهر جيش الفرس   كروكى رقم(١١)

وأصبح جيش الفرس يُهاجم من جميع الجهات ، جيش خالد من الأمام والكمينين من الخلف ، فماذا يفعلوا غير الفرار؟ .. وبالفعل ألقوا بأسلحتهم وعتادهم ويأسوا من إمكان تحقيق نصرعلى المسلمين ، وفروا هاربين فكثر منهم القتلى والأسرى ، كما كثر نصيب المسلمين من الغنائم والأسلاب .

تحليل المعركة :

يملك خالد حساً أمنياً عالياً ، فأتخذ كافة الاجراءات اللازمة لتأمين قواته ، وسار بجيشه فى طريق آمن بمحاذاة نهر الفرات ، وتجنب السير فى منطقة السواد بين النهرين ، حتى لايكون عرضة للوقوع فى مصائد العدو ، وذيادة فى الحرص دفع مفرزتين أمام قواته الرئيسية بفترة زمنية كافية ، وعندما أكتشف خطأ اختيار الفرس ، لموقع المعركة القادمة فى منطقة صحراوية مفتوحة تسمح بالمناورة بالقوات ، لم يتردد فى استغلال الموقف وأمر المفرزتين باحتلال كمينين خلف العدو، وهنا تبرزعبقريته وموهبته العسكرية فى سرعة اتخاذ القرار المناسب والاستغلال الأمثل لطبيعة الارض .

كما تأتى مهارته التكتيكية كقائد ميدانى فى إدارة دفة المعركة واستغلال قواته فى الميدان بكل حنكة واقتدار . فأعطى أوامره بأشتراك الكمينين فى الوقت المناسب ، وانتزع النصر من بين يدى الفرس بعد أن كانوا على وشك هزيمته ، وليؤكد على استمرار تفوقه وتميزه على قادة الفرس .

وبعد هذا الانتصار أصبح الطريق مفتوحاً نحو فتح الحيرة وتحقيق خطة الخليفة أبوبكر للوصول إلى المدائن ، وعليهم أن يمروا فقط على أُليس (٥٠ كم شمال غرب الولجة) .

الدروس المستفادة من معركة الولجة :

أولاً : اختيار طريق التحرك الذى يحقق تأمين القوات :

اختار خالد بن الوليد الطريق الأطول فى تحركه ، الذى يحقق له تأميناً لقواته ، فسلك طريقاً حول ملتقى النهرين ، ثم سار غرب نهر الفرات مخترقاً الصحراء ، فأصبح مؤمناً من جهة اليمين بالنهر ، ومن اليسار بالصحراء ، ولم يسلك الطريق الأسهل ، ويجتاز المنطقة بين النهرين ، وهو معرض فى تلك المنطقة لسرعة الاكتشاف من عيون العدو ، بالإضافة إلى احتمالات وقوعه فى كمائن العدو أثناء التحرك ، وبهذا أمن قواته أثناء تحركها .

ثانياً : اتخاذ التدابير اللازمه لتأمين تحرك القوة الرئيسية لجيش المسلمين :

أدرك خالد بن الوليد بموهبته العسكرية الفطرية ، ضرورة تأمين تحرك جيش المسلمين لمسافة طويلة ، فدفع مجموعة قتال أمام القوة الرئيسية للجيش ، تكتشف طريق التحرك أمامه وتؤمنه ، وتمنع العدو من تنفيذ هجوم مفاجئ ضده ، أو تنظيم كمائن على طريق تحركه وهذا ما يعرف فى الجيوش العصرية بمفارز تأمين التحرك ، وهو بذلك سبق عصره بإتخاذه الإجراءات اللازمة لتأمين التحركات .

ثالثاً : حصر العدو ومهاجمته من جميع الجهات فى وقت واحد :

اتبع خالد بن الوليد فى هذه المعركة ، اسلوب قتال العدو من جميع الجهات ، ولم يتبع الاسلوب التقليدى فى القتال ، وهو مهاجمة العدو من الأمام فقط ، فدفع مجموعتين قتال كمنوا خلف العدو ، وفى اللحظات الحرجة من القتال ، اندفعوا بالتتالى ليهاجموا العدو من الخلف ، فأحدثوا ذعراً بين صفوفه ، واستطاع خالد أن يحصر العدو بين قواته من جميع الجهات ، فلم يستطيعوا الصمود ولاذوا بالفرار ، وقد اتبع خالد بن الوليد من قبل نفس الاسلوب القتالى فى أحد– عندما كان مشركاً– حين هاجم ظهر جيش المسلمين وحاصرهم مع قواته الأمامية فكان أول انتصار للمشركين على المسلمين .

معركة أُلَيْس

(٢٥ صفر ١٢ هـ / ٦ مايو ٦٣٣ م)

كانت أليس هى المحطة الفاصلة بين الإسلام والمجوسية ، فلمن تكون الغلبة ؟ وهنا جمع الشاهنشاه أردشير ملك الفرس جيوشه ، ومعه بعض قبائل العرب النصارى الموالين بقيادة عبد بن الأسود العجلى ، وكلهم اصرارعلى إيقاف خالد والقضاء على جيش المسلمين والثأر من هزيمتهم ، واتفقوا على مواجهته فى منطقة متوسطة منهم جميعاً وهى أُليس ، حيث أنها موطن لغالبية العرب النصارى ، الذين شاركوا الفرس قتال المسلمين فى معركة الولجة .

تحركت جحافل الفرس وعلى رأسهم قائد جيوش الفرس وأعظمهم القائد " بهمن جاذويه " ، وبعد أن أنهى اعداد جيوشه أرسل نائبه " جابان " على رأس الجيش ، وأمره بألا يقاتل جيش المسلمين إلا إذا هاجموه ، وعليه أن ينتظره بالمدد الجديد ، واتجه هو إلى المدائن ليناقش كسرى ، فى طلب المزيد من الامداد للقضاء نهائياً على جيش المسلمين ، واستعادة المناطق التى احتلوها ، فوجده مريضاً وعلى وشك الموت ، ففضل أن يبقى ليحمى العرش ، وترك جابان يواجه مصيره مع خالد وحده .

تحرك جابان بالجحافل الفارسية ، والتقى بجموع القبائل العربية فى أُليس ، قبل أن يصلها جيش المسلمين ، ووصلت أعداد قواتهم مجتمعة إلى حوالى مائة وخمسين ألف مقاتل ، فنالوا الثقة وأصابهم الغرور وأظهروا عدم الإكتراث ، فأمروا جنودهم بتجهيز الطعام – بعد تحركهم الطويل – انتظاراً لقدوم جيش المسلمين .

وصل خالد بن الوليد ومعه جيش قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل من المسلمين ، والفرس مقبلون على طعامهم لا يبالون ، وينتظرون قدوم جيش المسلمين ، فضربهم خالد ضربة مفاجئة ، ولم ينل قسطاً من الراحة بعد هذه

الرحلة الطويلة ، وكانت ضربته الأولى فى الجموع العربية ، وأراد خالد أن يكسب جولته الأولى ، بالقضاء على القبائل العربية فطلب زعيمهم للمبارزة ، فجبن وبرز له مـــالك بن قيس أحد امرائهم فقتله خالد فى الحال . واندفع المسلمون منقضين عليهم يقتلون فيهم ، وهب فرسان الفرس لمعاونة حلفائهم العرب حتى يثبتوا ولا يفروا ويتركوا الميدان .

وثبتت القبائل العربية لهذه النجدة الفارسية ، وطال القتال بين الجانبين ، وصمد الفرس فى دفاع مستميت ، وتعثر النصر للمسلمين ، فلجأ خالد بن الوليد إلى ربه ونذر " إن تحقق له النصر أن يسيل النهر بدمائهم " ، وقال داعياً : " اللهم إن لك على ، إن منحتنا أكتافـــهم ، ألا أستبقى منهم أحداً قَدرنا عليه ، حتى أجــرى نهرهم بدمائهم [١] ".

واشتد قتال المسلمين ضد اعدائهم ، واندفعوا لا يبالون بأرواحهم ، وارتفعت صيحاتهم فى الميدان ، فلم يثبت الفرس أمام حماسة المسلمين واندفاعهم الجسور ، فانهارت صفوفهم ومعنوياتهم وفروا مسرعين ، ولاحت بوادر النصر للمسلمين ، فنادى خالد على جنوده : " الأسر.. الأسر.. لاتقتلوا إلا من امتنع " . وبعد إنتهاء المعركة وانتصار المسلمين ، جمع خالد الأسرى وضرب أعناقهم إيفاءاً لنذره ، فسالت دمائهم مع الماء أحمر قانى لمدة ثلاثة أيام ، وسمى هذا النهر لقرون " نهرالدم " وقيل أن قتلى الفرس وصلوا سبعين ألف قتيل .

كانت هذه المعارك تتوالى مع الأيام ، والنصر يتناقل أخباره الرجـــال ، وتلك الضربات لخالد وجيش المســـلمين تفتح الأمال فى سرعة الظفر بالنصر الأكبر وهو سقوط دولة الأكاسره . ولما وصلت هذه الأخبار مع الأنفال[٢] إلى الخليفة قال والبهجة تملأ قلبه : " يامعشر قريش .. عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله[٣] .. **أعقمت النساء أن تلدن مثل خالد** " .

---

(١) الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) ج٢ ص٣١٣ . (٢)الأنفال : الغنائم ، الخمس لله ورسوله .

(٣) خراذيله : قطع اللحم ، والمعنى هزمه على فريسته .

تحليل المعركة :

أصبح المسلمون بعد معركة أُليس ، أقرب للوصول إلى الحيرة وفتحها ، وتحقيق هدف الخليفة رضى الله عنه الذى رسمه لخالد بن الوليد لنشر الإسلام بها ، وتحقق كل هذا النصر على يد خالد البطل الفاتح سيف الله ، وتقديراً من الخليفة لإعماله البارزة وفضله ، منحه وسام شرف على صدره بقوله مديحاً عظيماً فى حقه .. " أعقمت النساء أن تلدن مثل خالد " ، وفى قول أخر أعقمت أن تنشئن مثل خالد ، وهذا يكشف بوضوح تقديرالخليفة لخالد بن الوليد ، وإدراكاً كاملاً بتميزه وتفرده ، فهو قاهرالأعداء فى الميدان ، ومحقق النصر فى كل مكان ، وليس له نظير حقق كل تلك الانتصارات ، فكان ذلك التكريم العظيم إضافة للقب **سيف الله** الذى منحه الرســول الكريم ﷺ لخالد .

وما فعله خالد من ضرب الأعناق ، وسريان النهر بالدماء ، عملاً عنيفاً يقترب من الجاهلية ويبعد عن الإسلام . فظن خالد – على ماضيه – أن هذه الذبائح قرباناً إلى الله ، لو مكنه من اعدائه ونصره عليهم ، وتتمشى تلك الوقعة مع طبيعة خالد الحربية التى يغلب عليها طابع الصرامة والعنف . ولوكان غير خالد فى موقعه ، ممن صاحبوا الرسول الكريم ﷺ لدعوا إلى الله بالنصر، وتوسلوا إليه بغير تلك الوسيلة ، إلا أن هذا العمل الغير مألوف فى الإسلام ، قد ألقى الرعب فى قلوب الفــرس والتابعين لهم ، وزلزل أقدامهم وعجل بإنهيارهم ، ومهد الطريق أمام خالد لمزيد من الفتوحات .

ولكن أغرب ما فى هذه المعركة شيئان متناقضان ، الأول استهتار وغرور الفرس بجيش المسلمين نظراً لكثرة عددهم وعدتهم ، فدفعهم للركون إلى الراحة والسكون وطلب الطعام بعد رحلة طويلة ، بدلاً من الاستعداد لقتال جيش المسلمين فى معركة فاصله ، وكأن المسلمون عندما يصلون سيستأذنون قتالهم . وهم يدركون أكثر من غيرهم قوة المسلمين وحماسهم فى القتال ، فدفعوا ثمن عدم

إكتراثهم وانعدام إنضباطهم فى الميدان هزيمة ساحقة والشئ الثانى المتناقض مع الأول هو ثباتهم فى القتال ، حتى أنهم كانوا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق النصر ، فلجأ خالد فى هذا الموقف العصيب إلى الله ناذراً – مُتأثراً بالجاهلية – وداعياً ، إن تحقق له النصر سيُسيل دمائهم بنهرهم ، وما يؤكد شدة قتالهم فى الميدان ما رواه خالد عن فتوحاته حين قال " مالقيت قوماً قاتلتهم كأهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أُليس" .

الدروس المستفادة من معركة أُليس :

أولاً : عدم الإستهتار بالخصم مهما كانت الأسباب :

أحس الفرس بكثرتهم بعد انضمام العرب النصارى لهم ، بأنهم أصبحوا قوة كبيرة وصلت إلى مائة وخمسين ألف مقاتل ، فأدخل ذلك الثقة فى نفوسهم ، ودفعهم إلى الغرور والاستهتار بجيش المسلمين ، وأظهروا عدم الإكتراث بخالد والتهاون بشأنه ، فأعدوا طعامهم إنتظاراً لجيش المسلمين ، فدفعوا ثمن ذلك هزيمة قاسية فتحت للعرب الطريق إلى الحيرة . وكان المسلمون على العكس يقدرون عدوهم ، ويحسبون حسابهم ، ومستعدون دائماً للقتال فكان النصر حليفهم .

ثانياً : ضرورة تحرك القوات فى تعبئة كاملة واستعداد دائم :

تحرك خالد بجيش المسلمين وهم فى تعبئة كاملة ، فقد اعتادوا التحرك وهم على أهبة الاستعداد لملاقاة العدو ، ولما وجدوهم على حالهم من إقبالهم على طعامهم وعدم إكتراثهم ، أمرهم خالد بالهجوم ، وهو ما لم يكن ينتظره الفرس ويتوقعوه ، فكانوا يعتقدوا بأن خالد سيأخذ قسطاً من الراحة بعد عناء رحلة طويلة ، إلا أن خالد وجيشه انتهزوا الفرصة وهاجموا الفرس وحلفائهم فكان النصر لهم .

ثالثاً : ضرورة استمرار عمل عناصر الاستطلاع :

يبدو أن الفرس أهملوا دور عناصر الاستطلاع ، فلم يكن لها أى وجود أو دور فى تلك المعركة ، ففى البداية لم يكتشفوا قدوم جيش المسلمين ولم يبلغوا عنه ، وكانت قوات الفرس فى أشـــد الحاجة إلى خبر ، عن قرب وصول جيش خالد حتى تستعد لملاقته . وحتى عندما بدأت المعركة وكان النصر قريباً منهم ، لم يكتشفوا موقعى كمينين المسلمين ، اللذين هاجما ظهر جيش الفرس وحولوا دفة المعركة لصالح المسلمين ، وهذا الدور مختلف تماماً عن الدور الذى أدته عناصر الاستطلاع فى معركة ذات السلاسل ، فكان دورهم إيجابياً ، حيث أبلغوا بدقة عن جميع تحركات جيش المسلمين .

***

تدمير أمغيشيا بدون معركة

(٢٨ صفر ١٢ هـ / ١٤ مايو ٦٣٣ م)

بعد أن أنهى خالد معركة أُليس ، تقدم إلى مدينة أمغيشيا دون إبطاء ، فهى لاتبعد كثيراً عن أليس ، فسار بمحاذاة نهر الفرات كعادته حوالى خمسة وعشرون كيلو متر، قطعها جيش خالد فى يوم واحد حتى يصل للمحـــطة الأخيرة فى طريقه للوثوب على الحيرة . ولكن ما أصاب أهل أمغيشيا من مقتل العديد من رجالها فى معركة أُليس ، ألقى الرعب والفزع فى قلوبهم ، ففـــروا من المدينة إلى منطقة السواد ، وتركوها خاوية على عروشها ، قبل أن يصلها جيش المسلمين .

ووصل خالد بجيشه إلى المدينة بسرعة كعادته ، ليفاجئ أهلها فلم يجد بها أحد فقد هجرها ما تبقى من أهلها ، وكان أغلبهم نساءاً وأطفالاً وشيوخاً . فروا خوفاً من مواجهة المسلمين ، تاركين خلفهم أموالهم وممتلكاتهم ، فكانت غنائم للمسلمين دون قتال ، ثم أمر خالد بهدمها وكل ماحولها وكانت مدينة كبيرة كالحيرة . وضمن بذلك عدم عودة أهلها ، لأنهم إن عادوا والغل يملأ نفوسهم من هزيمتهم السابقة ، ستتحول أمغيشيا إلى قاعده للمقاومة ، فأمن بذلك ظهر جيش المسلمين عند تحركه للحيرة .

وذكر الطبرى فى كتابه تاريخ الرسل والملوك عن دخول خالد أمغيشيا فقال .. لما فرغ خالد من وقعة أليس نهض فأتى أمغيشيا وقد أعجلهم عما فيها وقد هرب أهلها وتفرقوا فى السواد ومن يومئذ صارت السكرات فى السواد ، فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكل شئ كان فى حيزها ، وكانت مصراً كالحيرة .

***

معركة فتح الحيرة

(ربيع الأول ١٢ هـ / يونيه ٦٣٣ م)

استخدم خالد بن الوليد السفن التى غنمها من أمغيشيا ، وتحرك بها خلال نهر الفرات فى إتجاه الحـيرة ، فوضع بها جزءاً من جيشه - أغلبهم من المشاه - حتى لايُجهدهم فى التحركات البرية ، كما أستغلها أيضاً فى تحميل المؤن والامدادات والانفال ، أما الجزء الراكب من جيشه (الفرسان) فاستخدموا الإبل والخيل فى تحركهم كعادة العرب ، فكانت خطة تحرك عسكرية عصرية ، تجمع بين التحرك البحرى والبرى .

وعلم الحاكم الفارسى" الأزاذبة " أو كما كان يطلق عليه مرزبان الحيرة بأن خالد وجيشه قادمون إليه براً وبحراً ، وقد أفزعه ما صنعه خالد بأليس وأمغيشيا ، فأتخذ أمران .. الأول التحضير لملاقاة خالد ، فخرج بجيشه وعسكر خارج الحيرة فى الخورنق ، التى تقع غرب الحيرة وعلى مسافة ٦ كم ، والأمر الثانى ارسال إبنه فى محاولة لإيقاف تقدم المسلمين عبرالنهر، وفى سبيل ذلك قام ومعه مجموعة من جنوده بحبس المياه خلف قناطرالفرات ، فقل تدفق المياه تدريجياً حتى انحصر، فوقفت سفن المسلمين عالقة فى مكانها بقاع النهر ، وجنود المسلمين مذهولين بما حدث ، وظن الفرس أن خطتهم نجحت .

إلا أن خالد - بفضل ملاحيه وربُان سفنه الموالين- أدرك الحيلة ، وتحرك بنفسه على رأس مجموعة من فرسانه على طريق الحيرة ، واتجه إلى القناطـر وأباد كل من واجهه من جنود الفـرس فى طريقه ، حتى وصل إلى مكان إبن المرزبان فى القناطر فقتله وفتحها وفر جنوده ، فتدفقت المياه فى مجراها حتى اصطدمت بالسفن ، فتهادت يميناً ويساراً حتى ارتفعت لسطح النهر واستقرت ، ثم سارت من جديد نحو الحيرة والمسلمون مندهشون مما يحدث .

وعلم المرزبان بمقتل إبنه ، وجاءه فى نفس الوقت نبأ موت أزدشير كسرى الفرس فأصابه الهلع ، وأدرك أن مصيره القتل لا محالة ، فخشى مواجهة خالد وجيش المسلمين وفر هارباً دون قتال ، وعبر نهر الفرات متوجهاً إلى المدائن ، وترك أهل الحيرة يواجهون جيش المسلمين وحدهم ، فتحصنوا داخل قصورهم التى كانت حصـــون منيعة ، وفى نفس الوقت وصل خـــالد براً إلى الخـــورنق فعسكر بها ، وعلم من عناصر استطلاعه أن أهل الحيرة تحصنوا فى حصونها الأربعة .

فشكل خالد قواته فى أربعة جيوش ، ووضع على رأس كل جيش قائد من قواده ، وأرسلهم لمهاجمة الحصون وما حولها ، فدفعوا الفرسان تحوم حول الحصون ، لتلقى الرعب فى قلوب المحاصرين ، وطلب القادة الأربعة من أهل الحصون - بناءاً على أوامر خالد - الدخول فى الإسلام أوالجزية أوالحرب ، وأمهلوهم يوماً فرفضوا شروط المسلمين .

ولم يكن أمام القادة الأربعة سوى القتال ، فبدأ الاشتباك وسرعان ما أدرك المسلمون مناعة الحصون وكثرة المتحصنين فيها ، وفضلوا عدم اقتحام الحصون حتى لايفقدوا الكثير من جنودهم ، ففرضوا الحصار عليهم . وفى النهاية أدرك المتحصنون بأن لا طائل من المقاومة ، وأن الحصار سيطول ، فســـلموا ووافقوا على البقاء على دينهم مع دفع الجزية ، فوقعوا مع خالد العهد والصلح ، ومنحهم الأمان وضمان حريتهم فى عقيدتهم وأموالهم وأنفسهم .

وسلمت الحيرة للبطل الفاتح **سيف الله** ، وكان لفتحها صدى كبير وتأثير عظيم بين العرب أجمعين ، فكانت بلداً كبيراً لها مكانتها فى الحياة الاقتصادية والسياسية بين باقى الممالك والدول ، وكان لها عظيم التقدير فى عالم الشعر والبلاغة بين الشعراء ، فكثيراً ما تناولوها فى شعرهم وأدبهم .

وكان التأثير الأكبر فى نفوس الفرس لسقوط الحيرة ، حيث كانت بالنسبة لهم العاصمة الثانية بعد المدائن وخط دفاع عنها ، فهى لاتبعد عنهم كثيراً ، وسقوطها يعنى فتح الطريق للمدائن . ومن أجل ذلك وبرغم إختلاف خلفاء كسرى على من يتولى العرش ، فقد أتفقوا جميعاً على مواجهة خالد والمسلمين مدافعين لا مهاجمين ، بعد أن أدركوا – عملياً – صعوبة هزيمة المسلمين ، الذين انتصروا عليهم فى أربعة معارك طاحنة ، فباتوا ينتظرون هجوماً شاملاً من المسلمين ، فأعدوا عدتهم للدفاع عن المدائن عاصمة ملكهم .

وعلى الرغم من أن خالد وجيشه ، كانوا راغبين فى استغلال انتصاراتهم السابقة ، ومستعدون للتقدم إلى المدائن وفتحها ، وهم إن فعلوا ذلك ، فلن تستطع أى قوات من الفرس ايقافهم أو منعهم من الزحف عليها ، فكل الدلائل تؤكد هزيمة الفرس هزيمة نكراء . فنفسية جنودهم فى الحضيض من هزائمهم المتكررة ، وقادتهم عاجزون عن مواجهة خالد ، وملوكهم مختلفون على من أحق بعرش كسرى . ورغم كل ذلك انتظر خالد أوامر خليفة المسلمين لفتح المدائن ، وكان انتظاره عاماً ، سماه خالد سنة النساء فلا قتال ولا نزال .

واتخذ خالد من هذا العام فرصة لتعضيد مكاسبه ، وتنظيم وترتيب أوضاعه فى مناطق الفتوحات ، فعين عمالاً لجمع الجزية من المدن والأمصار ، ثم ولى أمراء على الثغور ليستتب الأمن والنظام ، وجعل من الحيرة قاعده له . ولما جاءت أوامر الخليفة بنجدة عياض فى دومة الجندل ، واستكمال مهامه فى شمال العراق ، كان أمام خالد لتنفيذ أوامر الخليفة خيارين .

الخيار الأول ، التوجه مباشرة إلى دومة الجندل جنوب غرب الحيرة والتى تبعد عنها حوالى أربعمائة كيلو متر، وتتطلب حوالى أسبوعين مسيراً ، والأوضاع مستقرة بها ، ولا تهديد منها على قاعده جيش المسلمين بالحيرة .

أما الخيار الثانى ، فيشمل التوجه إلى الأنبار[1] التى تبعد حوالى مائة وأربعين كيلومتر عن الحيرة ، أوالتوجه إلى عين التمر[2] التى تبعد حوالى تسعين كيلو عن الحيرة لفتحهما ، وبهما قوات فارسيه وعرب نصارى ، ومن المنتظر تهديدهما للحيرة فى حالة تحرك جيش المسلمين إلى دومة الجندل .

فاختار خالد بن الوليد أن يقضى أولاً ، على التهديد الأخطر على قاعده المسلمين بالحيرة ، فقرر أن يهاجم الأنبار ثم يتجه منها إلى عين التمـــر فبهما جند للفرس ، وبعد أن يؤمنهما ، يتحرك غرباً إلى دومة الجندل لفتحها ونجدة عياض ، ثم يضم قواته إليه ويستخدمها مع جيشه فى باقى الفتوح . وجهز خالد قواته للتحرك ، بعد أن لقن مرؤسيه المهمة الجديدة ، ثم ترك القعقاع فى الحيرة نائباً عنه وتوجه إلى الأنبار لفتحها .

تحليل المعركة :

كان فكراً متقدماً من خالد ، ذلك القائد الأعرابى القادم من عمق الصـــحراء – والذى لايعرف سوى الجمل سفينة الصحراء – أن يستغل السفن المستولى عليها فى تحركه ، فحمل جنوده فى سفن الأعداء ومعهم زادهم وأمتعتهم ، وسار بهم فى النهر وخفف عنهم عناء السير الطويل ، ولما جف الماء والتصقت السفن بالقاع بعد أن أغلق الفرس قناطر المياه ، لم يفاجئ بهذه الحيلة ، فبحث ونقب وعرف من ربّان سفنه الموالين حقيقة الموقف ، فأطلق المياه من القناطر حتى ارتفعت السفن وأكملت ابحارها ، ولو كان غيره فى مكانه من العرب البدو ، لأذهلته الخدعة وعجز عن التصرف حيالها ، وتعطل وأنزل جنوده فى قاع النهر ليعودوا إلى الشاطئ ويكملوا مسيرهم على الأقدام ، ولربما انتهز الفرس الموقف وفتحوا عليهم المياه وهم فى هذا الوضع فيكون مصيرهم الغرق .

---

(١) الأنبار تقع على الضفة الشمالية لنهر الفرات وعلى مسافة ١٤٠ كم شمال الحيرة .

(٢)عين التمر: سميت بذلك لكثرة التمور الموجودة بها وتقع جنوب غرب الأنبار بحوالى٧٠كم .

وفى معركة حصار الحصون الأربعة ، أدرك المسلمون مناعتها ، وما بها من معدات وتجهيزات ، وتوفر أعداد غفيرة من المقاتلين والرماة المهرة ، فكلما حـــاولوا الاقتراب منها واقتحامها ، إنهالت عليهم كافة أنواع القذائف من سهام وقذائف لهب ومزاريق[1] ، ومن الواضح بأنه لم يكن متوفراً لدى جيش المسلمين أسلحة ومعدات قتال حديثة ، للتغلب على الحصون مثل المنجنيق وقذائف اللهب والســـلالم العالية والحبال والأبراج المتحركة ، لذا لم يحاولوا اقتحام الحصون بالقوة ، أو يتسلقوا الأسوار أو يحطموا الأبواب أو يحاولوا حفر أنفاق تحت الأسوار ينفذون منها إلى داخل الحصون ، كما يبدو أنهم لم يريدوا أن يفقدوا العديد من المقاتلين فى هذه المحاولات ، ولهذا فرضوا الحصار عليهم ، مع شن هجمات من وقت لأخر ورميهم بالسهام التى يُجيدها العرب ، فأحكموا الحصـــارعليهم وضيقوه حتى سلموا ، وكان للمسلمين فى النهاية ما أرادوا .

وبعد أن دانت الحيرة وشرقها حتى دجلة للقائد الفاتح **سيف الله** ، ظهر خالد الحاكم العسكرى المستنير، الذى فرض سيطرته على المناطق المحررة ومارس سلطاته المدنية عليها بعد توقيع المعاهدات مع أهلها ، فعين سلطة ادارية لجباية الأموال من الجزية المتفق عليها ، بمعنى ســلطة مسئولة عن النواحى المالية ، ثم عين سلطة عسكرية[2] من الأمراء لفرض الأمن والنظام وإحكام السيطرة على البلاد ، وهذه السلطة أشبه بحكام أو أمراء المناطق العسكرية . وهكذا اســتقر الوضع لخالد ليحــكم المناطــق التى فتحها ، ولم يحدث أن حاولت قوات من الفرس مهاجمة المسلمين ، أو جرأ أحد من العرب النصارى على التمرد أو العصيان على خالد .

---

(١) المزاريق : الحراب القصيرة . (٢) ذكر الطبرى أن خالد عين خمسة لجباية الجزية وسبعة أمراء للثغور(الحاميات العسكرية) ولم يذكر أماكن تلك المناطق .

وبهذه المعارك سيطر خالد على ثلثى العراق ، فى المنطقة بين بغداد شمالاً والبصرة جنوباً خلال ما يقرب من شهر ونصف ، بقوات تسير على أقدامها ، وتستخدم الإبل فى تحركها ، والخيول فى هجومها ، والإيمـــان يملأ قلوبها ، وهزم الفرس هزائم نكراء . بينما نجد أن قوات التحالف التى هاجمت العراق فى عام ٢٠٠٣ م ، للقضاء على نظام صدام حسين ، استغرقت حوالى شهر مستخدمة كل أنواع الاسلحة الحديثة ، من دبابات وطائرات وصواريخ للإستيلاء على نفس مساحة المنطقة تقريباً .

وكان بإمكان خالد استغلال النجاح والانتصارات التى حققها ، ومتابعة الهجوم والاستيلاء على المدائن ، وخاصة أن جنوده مهيئيين للنصر ، وروحهم المعنوية مرتفعة ، والنصر دائماً يأتى بنصر، وعلى الجانب الأخر كانت الظروف مهيئة للهزيمة ، فجنود الفرس معنوياتهم منهارة من كثرة هزائمهم من المسلمين .

إلا أن خالد تغلبت عليه روح الإنضباط العسكرى والإنصياع للأوامر، فالخليفة لم يشأ أن يتخطى جيش خالد منطقة الحيرة ، إلا بعد أن يستكمل فتح جميع المناطق التى بها حصون للفرس ، وبالتالى يبقى ظهر جيش المسلمين مؤمناً عندما يتحركون لفتح المدائن ، ولتحقيق ذلك كان ضرورياً نجدة عياض واستكمال تحقيق مهامه .

وعندما توجه خالد بن الوليد شمالاً لمهاجمة الأنبار وعين التمر، كان له فكراً استراتيجياً ، يهدف منه زيادة رقعة تواجد قواته ونشر الإسلام بها ، وفرض الجزية على من يقطنون تلك المناطق ، كما سيحقق له ذلك عمقاً اســتراتيجياً ، يؤمن تحركاته المستقبلية ، فإن أراد الهجـوم ونجح ، ضم إليه أراضى جديدة ، وإن تعثر وتعرض لأى هزات ، أمكنه أن يرتد إلى عمق يستطيع منه أن يعيد تنظيم نفسه اســتعداداً لهجوم جديد .

الدروس المستفادة من فتح الحيرة :

أولاً : أهمية استغلال المعدات والوسائل المستولى عليها من العدو لصالح أعمال قتال القوات :

تمكن خالد بن الوليد بعد معركة أُليس و تدمير أمغيشيا من الاستيلاء على بعض السفن . وبعد أن ضمن ولاء ربّانها استغلها فى نقل بعض جنوده ومعداتهم عبر النهر إلى الحيرة ، وبذلك استفاد خالد من وسائل العدو الحديثة المستولى عليها – على الرغم من عدم اعتيادهم ركوب البحر– فى سرعة نقل جنوده ، وفى نفس الوقت اعطائهم الراحة الكافية وعدم اجهادهم فى التحرك براً، وهو يقدم بذلك فكراً عسكرياً متطوراً ، فى استغلال وسائل العدو المستولى عليها لصالح أعمال قتال قواته ، وفى نفس الوقت العمل على راحتهم حتى يكونوا مستعدين للمعركة التالية .

ثانياً : سرعة التغلب على موانع العدو التى تعطل تقدم القوات :

لم يفاجئ خالد بموقف إنحصار الماء عن السفن ، وهو القائد الفذ القادر على مواجهة أى طارئ ، فكان عليه سرعة التغلب على هذا المانع الذى يعطل تقدم قواته ، فكما وقف تدفق الماء إلى النهر فتعطلت السفن ، يجب أن تعود المياه لتسير السفن من جديد ، فتوجه على رأس مجموعة من جنوده ، وقضى على كل من اعترض طريقه ، وفتح القناطر لتتدفق المياه من جديد . ولو كان غير خالد من القادة البدويين القادمين من الصحراء ، لانخدعوا بالحيلة ونقلوا جنودهم من السفن إلى البر وتعطل تقدم المسلمين .

ثالثاً : تطبيق اسلوب الحصار لإجبار العدو على التسليم :

عندما وجد خالد بن الوليد صعوبة في اقتحام الحصون الأربعة ، لعدم توفر الاسلحة والمعدات اللازمة لاقتحامها ، بالإضافة إلى عدم رغبته التضحية بعدد كبير من جنوده فى محاولات اقتحام الحصون ، قرر خالد تطبيق

اسـلوب الحصار ، الذى يعتمد على الحد من حركة العدو ، وحصـــرهم فى مكان معين ، وايقاف اتصالهم بأى جهات أخرى ، ومنع وصول الامدادات إليهم وخاصة الماء والطعام والسلاح ، وفى هذه الحالة لن يستطيعوا استخدام إلا كل ما هو مخزون فقط ، وفى تلك الظروف الصعبة سوف ينهاروا معنوياً ويسلموا فى النهاية . وهذا ما حدث فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ م ، عندما حاصرت القوات المصرية – بعد اقتحامها قناة السويس– النقط الحصينة للعدو الإسرائيلى على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وحاولت النقط فى البداية أن تقاوم وتصمد ولكن فى النهاية سلمت ، ووقع جميع الجنود فى الأسر .

رابعاً : البدء بالهجوم على المواقع الأكثر تهديداً :

عندما جاءت خالد الأوامر بنجدة عياض بن غنم ، وتنفيذ باقى مهامه ، اختار خالد بن الوليد بموهبته العسكرية الفطرية – وكأنه دارس فى أرقى المعاهد والكليات العسكرية – أن يهاجم أولاً موقع الأنبار وعين التمر ، الأكثر تهديداً لقاعده المسلمين فى الحيرة عن غيره ، ثم يتوجه بعدها لنجدة عياض فى دومة الجندل الاقل تهديداً ، ويضم قواته تحت قيادته فى الهجوم القادم على حاميات الفرس فى الحصيد والخنافس .

***

معركة الأنبار (ذات العيون)

(٤ رجب ١٢ هـــ / ١٤ سبتمبر٦٣٣ م)

سار خالد بن الوليد بجيشه من الحيرة إلى الأنبار وهى مدينة لها أهمية اقتصادية وتجارية ، تقع على الشاطئ الشرقى لنهر الفرات ، ذات موقع حصين تستند فى دفاعها على مانع مائى . وكان تحركه قتالياً كعادته ، على أهبة الاستعداد وفى تعبئة كاملة ، ولتأمين تحركه جعل نهر الفرات عن يمينه والصحراء عن يساره ، ودفع أمامه مجموعة من المقاتلين لتأمين تحركه بقيادة الأقرع بن حابس ، ولم يتحرك كعادته فى منطقة السواد .

وأكمل مسيرته وعبر النهر من منطقة أمنة ، واتجه صوب الأنبار فوجد المدينة محصنة تحصيناً قوياً ، ومحاطة بخندق عميق ملئ بالماء من جميع الجـــهات ، ويقع فى مرمى رماة السهام ، بحيث يستطيع المدافعين عنه إحباط أية محاولة لإجتيازه باستخدام اقواسهم ، وعندما رأوا المسلمين يقتربون من المدينة ، قاموا بتدمير كل الجسور المقامة فوق الخندق ، حتى لا يعبر المسلمين داخل المدينة .

وبدأ خالد يمر على الخندق من جميع الجهات ، لعله يجد منفذاً يعـــبر منه جنوده ، وأثناء مروره لاحظ أن جنـــود الفرس يراقبونه من فوق الأسوار فى ترقب وحذر وخوف ، ويمطرون المســـلمين بالسهام فور اقترابهم من مسافات بعيدة ، ولا ينتظروا وصولهم إلى مرمى مناسب للإصابة ، فأدرك خالد بحسه وخبرته العسكرية أن هولاء الجنود غير مدربين .

فجمع خالد ألفاً من أمهر رماة السهام ، واحاطوا بالخندق وهم يحملون فى أيديهم أقواسهم دون سهام ، وجنود الفـــرس ينظرون اليهم فى استغراب ، وفجاءة أمر خالد جنوده بالرمى ، وفى الحال أخذوا يرشقون حامية الحصن بالسهام ، ويوجهوها نحو عيونهم فلا يكاد يخطئ منهم أحد ، فهم مدربون ومهرة فى إصابة

الأهداف بدقة ، فأصابوا أهدافهم ، وفقأت حوالى ألف عين من جنود الفرس من هذه الأسهم ، ولذلك سميت تلك الوقعة " ذات العيون " .

وعندما علم الحاكم الفارسى للأنبار" شيرزاذ " ما حل بعيون رجال الحامية ، أدرك مهارة جنود المسلمين فى القتال ، وعرف أن النصر سيكون لهم بلا جدال ، فعرض على خالد أن يسلم الحامية بشروط لم يرتضيها خالد ، وكانت شروط خالد واضحة ، الإسلام أو الجزية أو القتال . واستمرت المعركة واستمر الاشتباك بالنبال ، وأثناء مرور خالد حول الحصن ، لاحظ وجود منطقة ضيقة فى خندق العدو، فقرر أن يعبر منها وأمر بنحر الإبل الضعيفة والنحيلة ، التى لا يحتاجها وألقى بها فى هذه الثغرة ، حتى أصبحت جسراً لجنوده ، استطاعوا أن يعبروا منها واقتربوا من أسوار الحصن .

وشرع المسلمون فى تسلق الأسوار واقتحام الحصن ، واشتبكوا فى قتال ضارى وكلهم عزم على الاستيلاء على الأنبار، وهنا أدرك أميرهم اصرار المسلمين على اقتحام الحصن ، وأنه لا قدرة لديهم لصد المسلمين ، فهو يعلم ما حل بمن قاوم المسلمين فى المعارك السابقة ، فأرسل رسله لخالد موافقاً على شروطه حقناً للدماء ، وخرج " شيرزاذ " أعزل من الحصن ومن معه من الجنود أمنين ، وتركوا جميع ممتلكاتهم غنيمة للمسـلمين ، ولم يكن أمام أهل الأنبار بعد استسلام قائد الحامية الفارسى ، سوى إلقاء السلاح والتسليم بشروط المسلمين، ففتحت أبواب الحصن ودخل خالد بن الوليد الأنبار فاتحاً .

وأوفى المسلمون بعهدهم لمن سلم لهم ، فلم يتعرضوا لأهل الأنبار وأمنوهم على أرواحهم وأموالهم وأهلهم ، وبعد أن استقرت الأوضاع للمسلمين وسيطروا على الأنبار وماحولها ، وضمن خالد عدم وجود تهديد لقاعدة المسلمين بالحيرة ، ترك حامية عسكرية بالأنبار لحفظ الأمن والنظام ، كما فعل فى المناطق التى فتحها سابقاً ، وخلف فيها الزبرقان بن بدر وانطلق متجهاً نحو عين التمر .

تحليل المعركة :

كان خالد يتحرك إلى معاركه فى تحرك قتالى ، ومستعداً للقتال فى أى وقت ، ومتخذاً الإجراءات الكفيلة بتأمين تحركه ، فاختار طريقاً يؤمن أجناب قواته عند التحرك ، وجعل نهر الفرات يمينه والصحراء يساره ، ودفع أمامه مجموعة قتال وهذا ما يسمى فى الجيوش العصرية بمفارز تأمين التحرك ، التى تدفع أمام القوة الرئيسية لتأمينها . ولما كانت أخبار انتصارات جيش المسلمين ، تسبق تحركه دائماً ، لم يستطع أحد أن يقف فى طريقه أو يعترضه ، فالخوف والرهبة تملأ القلوب من جيش خالد ، وتركوه يعبر النهر دون أى مقاومة ، وهربوا وتحصنوا وراء أسوار حصون الأنبار وخلف خندقها الملئ بالماء ، ظنين بأن خالد لن يستطيع أن يجتازه .

وقد واجه خالد خندقاً من قبل عندما كان مشركاً فى موقعة الأحزاب ، وكانت أول مرة له ولمن معه ، رؤية الخندق الذى حفره المسلمون دفاعاً عن المدينة ، ووقتها فكر خالد كثيراً فى كيفية عبور هذا الخندق واجتيازه ، وعلى الرغم من أن المشركين لم يصلوا وقتها لفكرة تقودهم للتغلب عليه ، إلا أن تلك الوقعة أكسبت خالد خبرة مواجهة الخندق كمانع ، والتفكير فى اسلوب عبوره . وعندما واجه خندق حصن الأنبار لم يفاجئ ، فقد واجه من قبل خندقاً أكبر وأعمق ، وفكر سريعاً فى كيفية التغلب عليه ، وبمجرد أن وجد منطقة ضيقة فيه ، قام بذبح الإبل الضعيفة والنحيلة والقى بها لســـد هذه الثغرة ، وأقام جسراً من جثث الجمال وعبر بقواته وهاجم الحصن .

ونجد خالد فى الأنبار غير خالد فى الحيرة ، فحاصر الحصون الأربعة فى الحيرة ولم يفكر فى اقتحامها ، فلكل معركة خطتها ، ففى الأنبار اتخذ قرار اقتحام الحصن حيث لا وقت لديه ، وهناك الكثير من المواقع والمعارك تنتظره ، وهو القائد العسكرى الملتزم بتنفيذ أوامر الخليفة .

ويأخذنا اسلوب خالد الغير تقليدى فى اقتحام الخندق ، إلى ما قام به الجيش المصرى فى حرب اكتوبر ١٩٧٣م ، عندما واجه الساتر الترابى الذى انشأته القوات الإسرائيلية ، على الضفة الشرقية لقناة السويس بأرتفاع أكثر من عشرين متر ، فكيف يجتازوه ؟ .. وقتها استخدم المهندسون العسكريون خراطيم المياه القوية ، التى تستخدم فى إطفاء الحرائق الكبرى ، لإحداث ثغرة فى الساتر الترابى ، ثم أنشأوا كبارى فوق سطح القناه ، عبرت عليها الدبابات والعربات والمدافع للضفة الشرقية للقناة ، فكان عملاً غير تقليدى .

الدروس المستفادة من معركة الأنبار :

أولاً : ضرورة اتخاذ اجراءات تأمين التحرك :

اتخذ خالد بن الوليد كافة الإجراءات ، التى يتخذها ركن العمليات فى أى جيش عصرى عند إجراء التحرك ، فاختار طريق التحرك المأمون ، الذى يحقق الوقاية لقواته من كلا الجانبين ، ثم دفع أمامه بفترة زمنية مفرزة تأمين تحرك (مجموعة قتال كان على رأسها الأقرع بن حابس) ليؤمن له الطريق ، ويكون عيناً له ، وبهذا كان تحركه قتالياً مؤمناً .

ثانياً : البحث عن وسائل غير تقليدية للتغلب على الموانع التى تعوق هجوم القوات :

عندما واجه خالد بن الوليد الخندق الملئ بالماء ، والذى يعوق قواته عن الهجوم على الحصن ، فكر سريعاً فى ايجاد وسيلة للتغلب على هذا المانع واجتيازه ، فكان الحل فى الإبل وذبحها ، وردم الثغرة للعبور عليها كما سبق وذكرنا ، وكان هذا الحل غير تقليدى ، وهذا هو الفكر العسكرى المطلوب للتغلب على موانع العدو .

معركة عين التمر

(١١ رجب ١٢ هـ / ٢١ سبتمبر ٦٣٣ م)

بعد أن فتح خالد بن الوليد الأنبار ، سار وجيش المسلمين إلى عين التمر طبقاً لما خططه ، وكانت حامية فارسية كبيرة ، يقطنها العرب النصارى الموالين للفرس وكان بها قيادتين ، قيادة فارسية وجنود من الفرس على رأسهم القائد الفارسى " مهران بن بهرام" وقيادة عربية قائدها " عقة بن أبى عقة " . وكان مغروراً متعجرفاً ، وعندما علم بزحف خالد وجيشه على الحامية ، تخيل أنه قادراً على هزيمة خالد ، وأراد أن يكون له وحده مجد الانتصار على خالد وجيش المسلمين .

فطلب من القائد الفارسى أن يُخلى له الساحة ، لقتال المسلمين وحده دون مساعده من جنود الفرس ، فهم أدرى كعرب على حد قوله بقتال العرب فوافق مهران . وخرج عقة ومعه جيشه من عين التمر وتوغلوا فى الصحراء ، وكلهم اصرار على قتال جيش المسلمين وهزيمتهم ، فوصلوا إلى منطقة الكرخ واستعدوا للمعركة ، حيث لابد لأى قوات أن تمر بها إن أرادت مهاجمة عين التمر. وانتظرت قوات الفرس نتائج المعركة داخل قلعة عين التمر.

وصل جيش المسلمين منطقة الكرخ ، وقرر خالد تلقين عقة درساً لاينساه ، فخطط لحيلة بارعة وجريئة فى نفس الوقت ، وهى خطف عقة أسيراً من بين جنوده حتى يكون إضحوكة الزمان ، ففى عملية فدائية أشبه بعمليات القوات الخاصة فى العصر الحالى ، انتخب خالد مجموعة من صفوة رجاله واطلعهم على فكرته الجهنمية ، وطلب منهم أن يحموا ظهره عند تنفيذ المهمة .

وعندما اصطف الجيشان استعداداً للقتال ، كانت العادة إجراء مبارزة بين أميرى الجيشين ، وبعدها يبدأ الاشتباك ويتصارع كل جانب لتحقيق النصر، وكان عقة ينوى مبارزة خالد وقتله إعتقاداً منه بأنه الأقوى ، والقادر على

هزيمته وتحقيق نصر على المسلمين ، فتحرك فى سلف وغرور أمام جيشه يصــفه وينظم قــواته ، ويخاطبهم ويثير الحمية والحماس فيهم .

وفجاءة بإشارة من خــالد سيف الله ، اندفعت المجموعة الإنتحارية الصغيرة ومعهم خــالد تسابق الريح ، متجهة إلى حيث عقة على حصانه أمام جيشه ، ولم يلحظ عقة مجموعة خالد الإنتحارية وهى تتقدم نحوه ، حيث كان مشغولاً بتوجيه جنوده ، وفى نفــس الوقت وقفت صفوفه الأولى تشــاهد وهى مندهشة ، ماذا يفعل هؤلاء الفرســان أيهاجمون جيشهم ، أم ماذا يفعلون ؟!

وفى تلك اللحظة ووسط ذهولهم ودهشتهم ، اندفع خالد بن الوليد فى اتجاه عقة منفرداً ، وفى لمح البصر أوقعه من على فرسه ، ثم حمله وأخذه أسيراً بين يديه ، وغادر منسحباً حاملاً عقة معه ووراءه جنوده يؤمنوه ، وفوجئ جنود عقة بما يحدث أمامهم وهم مذهلون ، كأنه حلم وليس حقيقة ، وأفاقوا من دهشتهم عندما بدأ المسلمون فى الهجوم عليهم ، فعرفوا أنهم سيهزمون لا محالة ، فلازوا بالفرار وقتل منهم من بقى يقاوم ، ومن نجح فى الفرارعاد إلى الحصن .

وكانت تلك المعركة أسرع هزيمة فى التاريخ ، وعندما علم القائد الفارسى مهران بما حدث ، انسحب ومعه جنوده تاركين أهل عين التمر لمواجهة مصيرهم مع خالد ، فأغلقوا أبوابهم عليهم وعلى من نجح فى الهرب من المعركة واستعدوا للحصار .

طارد جيش خالد ، جنود عقة الفارين إلى حصن عين التمر ، وبمجرد وصول خالد بدأ فى الاستعداد لاقتحام الحصن ، وفى نفس الوقت استخدم الحرب النفسية كاسلوباً جديداً فى القتال ، فعرض خالد الاسرى ومعهم عقة وهم مقيدون بالسلاسل أمام الحصن ، كى يرى المدافعون حال قائدهم ، وهذا ما سيكون عليه حالهم إن رفضوا الاستسلام لشروط المسلمين .

وفى النهاية قرروا الاستسلام على حكمه دون قيد أو شرط ، معتقدين أن خالد مثله مثل باقى العرب ، إن ظفر الغنائم تركهم وحالهم ، فضرب خالد عنق عقة وترك للمسلمين ضرب أعناق الأسرى ، ثم استلم الحصن وأعطى الأمان لمن بقى من أهله ، وأرسل للخليفة أخبار الفتح ومعها خمس الغنائم ، وخلف خالد فيها عويم بن الكاهل الأسلمى حاكماً عليهم ، ثم اتجه سريعاً إلى دومة الجندل لفتحها ومعه جيشه ، لنجدة عياض بن غنم الذى تعثر هناك .

تحليل المعركة :

كان غروراً واستهتاراً من عقة ، أن يخرج بجيشه من عرب النصارى إلى منطقة الكرخ بالصحراء ، لمقاتلة خالد وجيش المسلمين دون الإستعانة بجيش الفرس وما يملكون من أسلحة متطورة ومعدات قتال ، وكأنه يجهل ما حققه خالد من انتصارات فى معاركه السابقة مع الفرس وحلفائهم ، فدفع الثمن اسره بطريقة مُهينة ، والحاق هزيمة مُذلة بجنوده ، واستيلاء خالد على الحصن دون قيد أو شرط .

بينما نجد ما فعله القائد الفارسى مهران بالموافقة على رأى عقة ، وعياً وإدراكاً كاملاً بشجاعة خالد وقوة جيش المسلمين ، فكان مبيت النية على الانسحاب وترك العرب النصارى وعدم ملاقاة جيش خالد ، وعندما أخطره عقة بنيته قتال خالد منفرداً ، رحب مهران بذلك على أمل أن ينتصر عقة وجيشه ، وهو فى هذا الانتصار إن تحقق ، لم يخسر أحد من جنده . وإن قاتل عقة وانهزم ، فسيواجه جنود الفرس بالحصن جيش المسلمين ، وهم بالطبع سيكونوا منهكون من معركتهم مع عقة . ولذلك عندما علم القائد الفارسى بنتيجة المعركة انسحب مباشرة ، وترك العرب النصارى لمصيرهم مع خالد وجيشه .

ومن المؤكد تاريخياً ما قام به خالد فى خطف عقة ؛ وما حققه من انتصار فى معركة عين التمر ، وهذا ما ذكره المؤرخون ولكن دون تفاصيل ، وهذا يدفعنا إلى

التساؤل كيف تمكن خالد أن ينفذ تلك الاغارة ، وخطف عقة بهذه السهولة من بين جنوده دون إعتراضهم ؟ أغلب الظن أن خالد ومجموعته الإنتحارية ، انطلقوا من أقصر مسافة بينهم وبين جيش العدو ، يسابقون الريح ثم انحرفوا بمحاذاة الجيش فى اتجاه عقة ، فظنت الصفوف الأولى بأن تلك المجموعة منهم ، وفى لمح البصر وفى وسط اهتمام جنود عقة بإعداد أنفسهم للمعركة ، هجم خالد على عقة كالصاعقة ، وضربه فأفقده الوعى وحمله على فرسه ومجموعته معه تؤمنه ، وعادوا وظهورهم للعدو وقبل أن يفيقوا من الصدمة كان هجوم المسلمين عليهم .

وعموماً تظهر عبقرية خالد العسكرية وموهبتة الفطرية فى هذه العملية الخاصة ، كأنه خريجاً فى أرقى مدراس ومعاهد تدريب القوات الخاصة أو الرينجرز أو الصاعقة أو المغاوير، فعملية خطف قائد من بين جنوده ، عملية تستلزم فكراً عالياً ، وتخطيطاً راقياً ، وتنفيذاً رائعاً . وهكذا كان خالد سيف الله البطل المغوار ، الذى نفذ عملية خاصة ، أساس نجاحها فكرتها البسيطة ، التى لايتصور أحد حدوثها ، وكان تنفيذها جريئاً فوق مستوى الخيال ، فكانت العملية فى مجملها .. فكرة بسيطة .. إنطلاقة وشجاعة .. جرأة فى التنفيذ .. مفاجأة العدو .. أسر الهدف .. العودة بنجاح .

وبعد معركة عين التمر ، بات الفرس يدركون تماماً مهارة خالد العسكرية ، وقدرته على تحقيق النصر فى المعركة ، فهاهم للمرة الثانية على التوالى يخشون مواجهته . ففى معركة الأنبار سلم قائدهم شيرزاذ لشروط خالد ، وخرجوا من الحصن عُزل من السلاح ، وقبلوا التسليم وهم عسكريون من أقوى دولة فى عالم ذلك الزمان !! وهاهم فى عين التمر ، يفرون من الحصن بمجرد علمهم هزيمة حلفائهم فى أقصر معركة فى التاريخ ، وخشوا مواجهة خالد وجيش المسلمين .

وهناك عملية خطف شبيهة بفكرة عملية خـــالد ، مع اختلاف الأسباب والاسلوب ، ففى عام ١٩٤٣ م قامت الكوماندوز الألمانية بتنفيذ عملية جريئه وغير متوقعة ، تم فيها خطف الزعيم الإيطالى " موسولينى " من منفاه فى جبل "جران

ساسو" بإيطاليا ، بواسطة مجموعة من المظليين ، والعودة به إلى ميونيخ جواً ، ليعلن من هناك أنه الزعيم الأوحد لإيطاليا وانضمامه لهتلر . ومن هذه العملية نجد أن فكر خالد فى العمليات الخاصة كان سابقاً لعصره ، وخاصة عندما ندرك أن تنفيذه لتلك العملية ، قد ساعد على نجاح معركته وسرعة هزيمة الأعداء .

الدروس المستفادة من معركة عين التمر :

أولاً : عدم الاستهتار بالعدو ، واستغلال الحصون فى الدفاع :

يجب عدم الاستهتار بقوة العدو مهما كانت الأسباب ، فلو لم يكن عقة مغروراً ومستهتراً بقوة المسلمين ، ومعتقداً أنه الأقوى ، وطمع فى تحقيق نصراً منفرداً بدون معاونة الفرس ، لحسب حساب المسلمين وقَدرهم حق قدرِهم ، خاصة بعد نجاحهم وانتصاراتهم السابقة ، وكان الافضل له الاستعانة بجنود الفرس وامكانياتهم الكبيرة فى الدفاع عن عين التمر ، وحشد قواته وحثهم على القتال ، واستغلال الحصن وتنظيم الدفاع عنه ، فلو هزم فى هذه الحالة لن تكون هزيمة مخزية .

ثانياً : نجاح العملية الخاصة (الإغارة) يساعد على نجاح المعركة :

قام خالد بن الوليد بتخطيط إغارة جريئة ، بواسطة مجموعة منتخبة من جنوده ، لا أحد يتخيل وقوعها واستطاع بها خطف عقة قائد العرب النصارى من وسط جنوده وهم مذهولين ، وهذه العمــلية كانت جزء من تخطيط المعركة ، فساعدت بجرأة تنفيذها ونجاحها ، إلحاق هزيمة سريعة بالعدو فى الميدان .

***

معركة دومة الجندل

(٢٤ رجب ١٢ هـــ / ٤ أكتوبر ٦٣٣ م)

كانت دومة الجندل إحدى أهم المراكز التجارية على أطـــراف الجزيرة ، وكانت نقطة إلتقاء هامة للطرق التجارية بين الجزيرة والعراق وسوريا ، وكان يقود الجندل زعيمان كبيران هما جـــودى بن ربيعة وأكيدر بن عبد الملك ، وعندما توجه خالد بن الوليد من اليمامة إلى العراق لفتحها ، أمر الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه عياض بن غنم بالتوجه لفتح دومة الجندل ، وعندما وصل عياض وجدها محصنة تحصيناً قـــوياً ، كما تجمعت عليه القبائل الوثنية والمستنصرة حول الدومة فشكلوا مقاومة كبيرة ضده ، وسببوا له الكثير من المتاعب ، حتى صار جيشه شبه محاصر ، ولم يستطع اقتحام الحصن واستمر على وضعه عاماً ولم يفتح الدومة ، فأرسل للخليفة يطلب مدداً .

وعندما أمر الخليفة أبوبكر رضى الله عنه خالد بن الوليد – بعد انتصارته بالعراق – التوجه بجيشه إلى دومة الجندل ، لنجدة عياض ومعاونته فى فتح الدومة ، غادر خـــالد عين التمر متوجهاً إلى دومة الجندل لفتحها ومعه ستة آلاف مقاتل .

وعلم الأكيدر من عيونه المنتشرة على الطريق ، تحرك جيش المسلمين فى اتجاه الدومة ، وهو مثل غيره من العرب قد سمع بانتصارات خالد فى العراق ، فدعا زعماء القبائل للصلح مع المسلمين ، لأنه أعلم منهم بشجاعة خالد ، فقد كانت له تجربة سابقة معه لا ينساها ، حين هاجمه فى السنة العاشرة للهجرة أثناء غزوة تبوك وتغلب عليه وعلى رجاله ، وقتل أخاه وقاده أسيراً للرسول ﷺ وأعلن وقتها إسلامه مضطراً ، ويعلم أن مصيره الموت لو انتصر خالد وعياض فهو من وجهة نظر المسلمين مرتداً .

ورغم ذلك رفض زعماء القبائل اقتراح الأكيدر بالصلح مع المسلمين ، لانهم ظنوا أنهم بجيوشـــهم وحصنهم قادرون على هزيمة المسلمين ، فغادر الأكيدر الحصن ، واستعد زعماء القبائل وعلى رأسهم جودى بن ربيعة لقتال خالد وجيشه .

وبعد وصول خالد للدومة وضع عياض وجيشه تحت قيادته ، فأصبح جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل فى مواجهة حوالى خمسة عشر ألف مقاتل . وبعد أن استعرض الموقف مع عياض ، فضل خالد استمرار الحصار وتضييقه من الجهات الأربعة ، مع زيادة أعداد القوات المحاصرة ، حتى يمنع عنهم أى امداد أو اتصال خارجى فيخفض معنوياتهم ، ويدفعهم إلى التسليم أو الخروج للقتال ، ووضع قوات عياض جنوب الحصن وانتشر جيش خالد فى باقى الاتجاهات واستمر فرض الحصار .

انتظر جودى بن ربيعة ومن معه من القبائل المتحالفة ، أن يقوم المسلمون بالخطوة الأولى ويهاجموا الحصن ، ولكن خالد أراد أن يتركهم فترة تحت الحصار وانتظر ، فأخذ جودى وجيشه الخطوة الأولى ، بعد أن قرروا عدم الخضوع للحصار، وخرجوا من الحصن فى مجموعتين ليهاجموا المسلمين ، واتجهوا بالقوة الصغرى إلى الجنوب حيث صدهم جيش عياض ، وبالقوة الكبرى فى اتجاه الشـــمال حيث معسكر جيش خالد ، وانتظرهم خالد إلى أن وصلوا إلى مسافة قريبة منهم .

وظن جودى بأن المسلمين غافلون عنهم ، وفجأة أمر خالد جنوده بالهجوم عليهم ، والتحم الجيشان فى قتال عنيف ، كانت الغلبة للمسلمين فأحدثوا خسائر كبيرة بهم ، وأسروا جودى ومعه مئات من رجال قبيلته ، وهرب الباقون بشكل عشوائى فى اتجاه الحصن ، فمنعهم إخوانهم من الدخول خشية دخول المسلمين خلفهم .

واقتاد خالد بن الوليد ، جودى ومن وقع معه فى الأسر مقيدين فى الأغلال أمام الحصن ، كما فعل مع عقة فى حصن عين التمر ، وطلب منهم تسليم الحصن والرضوخ لشروط المسلمين إلا أنهم رفضوا ، فضرب خالد أعناق جودى والأسرى أمام الحصن ، عدا أسرى قبيلة كلب فإن عاصم الطائى والأقرع وبنى تميم قالوا لخالد قد أمناهم فأطلقهم .

واستمر المسلمون فى حصارهم لعدة أيام ، ودافعت الحامية ما استطاعت وأبدت أشد مقاومة ممكنة . وفى النهاية نجح المسلمون فى اقتحام الحصن ودخول الدومة ، وأرسل خالد خبر الفتح وخمس الغنائم للخليفة رضى الله عنه ففرح وسر، لإنه يعلم أهمية موقع الدومة العسكرى لجيوش المسلمين الفاتحة فى العراق والشام .

تحليل المعركة :

تحتل دومة الجندل موقعاً استراتيجياً هاماً فى الجزيرة العربية ، فهى تقع فى ملتقى طرق التجارة بين عرب الجزيرة والشام والعراق ، وبعد أن توجهت جيوش المسلمين إلى الجهاد وفتح العراق والشام ، إزدادت أهمية موقعها وخاصة من الناحية العسكرية ، فهى نقطة التقاء خلف ظهر جيش المسلمين ، يجب الإستيلاء عليها وفتحها ، لتأمين ظهر جيش المسلمين فى البلدين ، فبقاء قوات معادية للإسلام بها يمثل تهديداً كبيراً لجيوش المسلمين .

ومن أجل تحقيق ذلك أرسل الخليفة رضى الله عنه عياض بن غنم بجيشه لفتحها ، وقت أن أرسل خالد فى اتجاه الأبلة بالعراق ، وعندما لم ينجح عياض فى مهمته ، لتكالب قبائل العرب المستنصرة عليه كما ذكرنا سابقاً ، ومضى عليه عاما على وضعه ، حتى أمر الخليفة خالد بالتوجه بجيشه – بعد انتصاراته بالعراق – لنجدة عياض بن غنم وفتح دومة الجندل وقد كان للخليفة ما أراد .

واعتمد خالد بن الوليد فى خطته لفتح الدومة ، على تضييق الحصار الذى فرضه عياض ، مع استغلال قواته التى أحضرها معه فى إحكام الحصارعلى الحصن من جهاته الأربعة ، وهذا الاسلوب يعتمد على قطع الامدادات عن المحاصرين بالحصن ، ومنع إتصالهم بالعالم الخارجى ، ومع مرور الوقت سيتعرضوا لضغط نفسى هائل ، ويشعروا بعدم جدوى المقاومة وفى النهاية لن يكون لديهم سوى التسليم .

وقد نجح هذا الاسلوب فى معارك خالد السابقة ، فحاصر حصون بنى حنيفة باليمامة ، بعد مقتل مسيلمة الكذاب فى حروب الردة ، وحاصر حصون الحيرة الأربعة ، وحاصر حصن عين التمر وكلها استسلمت لشروط خالد ، إلا أن حصن الدومة ضاق سريعاً من الحصار وهان عليهم التسليم ، فخرجوا لقتال المسـلمين وهم يظنون أنهم قادرون على هزيمتهم ، ولكن المسلمون كانوا أفضل منهم خبرة بفنون القتال ، ولهم صولات وجولات مع قائد لم يهزم قط ، فكان النصر حليف المسلمين .

الدروس المستفادة من معركة دومة الجندل :

أولاً : أهمية تضييق الحصار على القوات المحاصرة :

عندما وصل خالد بن الوليد بجيشه لنجدة عياض وجيشه ومعاونتهم فى فتح دومة الجندل ، وجد أن حصار عياض لم يكن مجدياً ، فاتبع اسلوباً إعتاد عليه من قبل ، وهو تضييق الحصار على القوات المدافعة داخل حصونها وعزلها وقطع كل إتصال لها بالمحيط الخارجى ، ومع استمرار الحصار وتضييقه ، تنخفض معنويات المحاصرين ويعجزون عن الصمود ، وفى النهاية يرضخون لشـروطه ويستسلمون ، كما كان يهدف أيضاً إلى عدم سرعة الهجوم والتضحية بالكثير من جنوده ، فى محاولات اقتحام الحصن ، ونجح

خالد فى تضييق الحصار من جميع الجهات لدرجة الخنق ، فدفعهم إلى الخروج لقتال جيش المسلمين وهذا ما تمناه خالد .

ثانياً : النصر فى المعارك لايأتى بالكثرة والحصون وإنما يأتى بعزيمة من يقاتلون :

برغم كثرة أعداد قبائل العرب النصارى عن جيش المسلمين ، ومقارنة القوات فى صالحهم ، حيث كانت قوة جيش المسلمين حوالى عشـرة آلاف مقاتل ، وقوتهم خمسة عشر ألف مقاتل ، واعتمادهم على الحصن فى الدفاع ، إلا أنهم انهزموا فى معركتهم عندما خرجوا من الحصن ، لأنهم لم يتوفر لهم عزيمة المقاتلين وخبرة القتال ، وقد وضح ذلك عندما اشتبكوا مع المسلمين واشتد القتال ، فلم يصمدوا طويلاً واضطروا تحت ضغط جيش خالد وعياض من الفرار إلى الحصن هرباً من سيوف المسلمين ، الذين تابعوا هجومهم واقتحموا الحصن وكان لهم النصر .

***

معركة الحصيد[1]

(١٠ شعبان ١٢ هـ / ٢٠ أكتوبر ٦٣٣م)

عندما تحرك خـالد بن الوليد على رأس جيش كبير لنجدة عياض بدومة الجندل ، ظن الفرس والعرب الموالين لهم ، أن خالد ترك المنطقة ولن يعود من جديد ، فاغتنموا الفرصة واتفقوا فيما بينهم ، على مهاجمة قاعدته فى الحيرة والحاميات الأخرى الصغيرة ، وتحريرها من سيطرة المسلمين ، واسترجاع كافة المناطق التى استولوا عليها ، وطبقاً للإتفاق تحركت قوات الفرس من موقعها فى بغداد شرق الأنبار فى مجموعتين ، الأولى بقيادة " روزبة " والثانية بقيادة " زرمهر" .

وعرف " الزبرقان بن بدر" قائد حامية الأنبار من عيونه المنتشرة فى المنطقة بهذه التحركات الفارسية ، فظن إنها متجهة إليه ، فأبلغ على وجه السرعة القعقاع بن عمرو نائب خالد بالحيرة بهذا الموقف الجديد . إلا أن هذه القوات لم تتجه للأنبار وعبرت نهر الفرات متوجهة غرباً إلى منطقة الحصيد حيث انضمت إليها قوات العرب الموالية .

ودفع القعقاع بن عمرو – فور تلقيه الخبر– بمجموعة من المقاتلين المتواجدين فى حامية الحيرة ، لإكتشاف حجم وطبيعة التحركات الفارسية ، واحتفظ بباقى الجيش متأهباً لأية إحتمالات ولحين وصول خالد بن الوليد . ثم عرف بأن الفرس وحلفائهم قد قسموا أنفسهم جيشين ، الأول تمركز فى الحصيد بقيادة القائد " روزبة " والثانى توجه إلى الخنافس[٢] بقيادة " زرمهر" ، وهنا أدرك القعقاع أن هدف القوات الفارسية وحلفائها ليس الأنبار ، فأرسل فى الحال مجموعتين من المقاتلين (مفرزتين) الأولى بقيادة أعبد بن فدكى إلى الحصيد ، والثانية بقيادة عروة

---

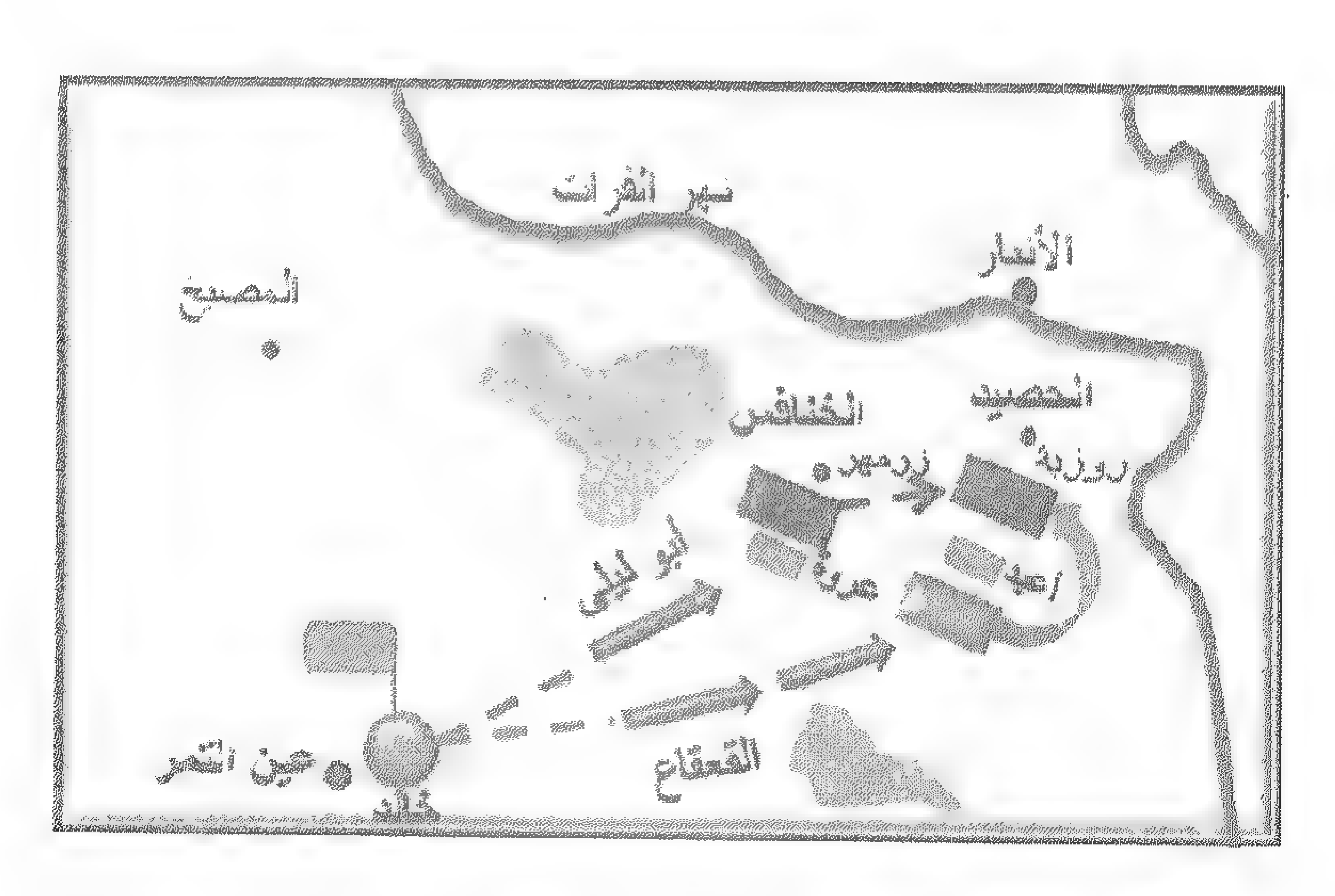
(١) الحصيد : تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات وجنوب مدينة الأنبار بحوالى ١٢ كم .

(٢) الخنافس : تقع على أطراف نهر الفرات وغرب مدينة الحصيد بحوالى ٢٠ كم.

بن الجعد البارقى إلى الخنافس ، وهنا اعتقد الفرس بأنهم سيواجهون فقط هذه القوات ، دون أن يخطر ببالهم أن خالد قد عاد إلى الحيرة ومعه جيشه ، وبمجرد تحرك المجموعتين وصل خالد بن الوليد إلى الحيرة بعد فتح دومة الجندل ومعه جيشه وجيش عياض .

وبعد أن تدارس خالد الموقف مع معاونيه أمر بتشكيل ثلاثة ألوية ، الأول تحت قيادة القعقاع ، لدعم أعمال قتال مجموعة أعبد بن فدكى التى تم دفعها إلى الحصيد ، واللواء الثانى تحت قيادة أبو ليلى بن فدكى ، لدعم أعمال قتال مجموعة عروة البارقى التى تم دفعها إلى الخنافس ، واللواء الثالث يتواجد بعين التمر مع خالد كاحتياط يتدخل به فى المواقف الطارئة .

وتحرك الجيشان الأول والثانى على طريقين منفصلين إلى الحصيد والخنافس ، وخلفهما خالد إلى عين التمر ، بعد أن ترك عياض فى الحيرة . فوصل القعقاع وجيشه إلى الحصيد قبل أن يصل أبو ليلى إلى الخنافس ، وعندما ظهرت قوات القعقاع أصيب الفرس بصدمة كبيرة فلم يتوقعوا وصول قوات جديدة من المسلمين .



مهاجمة الحصيد والخنافس فى نسق واحتياطى كروكى رقم (١٢)

ودارت معركة ضارية بالحصيد ، اشتبك فيها جيش المسلمون بقيادة القعقاع مع جيش "روزبة " ، الذى اعتقد من قوة اندفاع المسلمين فى القتال وكثرة تحركاتهم فى الميدان ، بأن جيش المســـلمون كله يهاجم الحصيد ، فأرسل على إستعجال يستنجد بزرمهر لمواجهة حشد المسلمين فى الحصيد ، فاندفع إليه ومعه مجموعة من جيشه ، وترك باقى قواته بالخنافـــس تحت قيادة نائبه " مهبوذان " .

ووسط اشتداد القتال بين الجانبين ، اندفع القعقاع بحماس فى اتجاه " روزبة " فى مبارزة حامية بين الأميرين ، إنتهت بقتل " روزبة " ثم انقض أحد المقاتلين المسلمين على " زرمهر" القائد الفارسى الثانى فصرعه ، فأصبح الجيش الفارسى بلا قائدان ، وأصبحوا يقاتلون بلا هدف ، وتمكن منهم جيش المسلمين فقتلوا منهم آلاف ، وفر من استطاع إلى الخنافس ، وهُزم جيش الفرس هزيمة نكراء ، وتحقق النصر فى النهاية لجيش المسلمين ، وغنموا من الحصيد غنائم كثيرة .

تحليل المعركة :

عندما تحركت القوات الفارسية من بغداد وعبرت نهر دجلة ، كان الإعتقاد أنها متوجهة إلى الأنبار لتحريرها من حامية المسلمين الصغيرة ، ولهذا أبلغ الزبرقان بن بدر قائد الحامية " القعقاع " فى الحيرة ، ولكن يبدو أن هدف القوات الفارســـية لم يكن مهاجـــمة حامية الأنبار ، بل كان التجمع فى الحصيد والخنافس وإتخاذها قاعده لهم ، ينضم فيها قبائل العرب النصارى ، ثم ينطلقوا منها لمهاجمة حامية عين التمر وتحرير المناطق المحيطة بها ، ثم التقدم إلى قاعده المسلمين فى الحيرة ، واستكمال تحرير باقى المناطق لأنهم كانوا يظنون أن الوقت فى صالحهم وخالد لن يعود مرة ثانية للعراق .

وارتكبت القيادة الفارسية خطأين جسيمين ، الأول عدم مهاجمة حامية الأنبار وتحريرها ، فكان الأجدى لها إرســـال جزء من قواتهم لمهاجمة الحامية ، وتحقيق نصرعلى المسلمين يرفع معنويات جنودهم ، ويهز ثقة المسلمين فى أنفسهم ثم

يتمركزوا فى الحصيد كقاعده لهم . وأغلب الظن بأنهم لم يريدوا تضييع الوقت فى قتال حامية الأنبار ، فهى بحكم موقعها على الشاطئ الشمالى لنهر الفرات معزولة من وجهة نظرهم ، خاصة أنهم كانوا ينوون الهجوم على حامية عين التمر. والخطأ الثانى الذى ارتكبته القيادة الفارسية كان عدم مهاجمة حامية عين التمر بسرعة ، وتحريرها ومنع المسلمين من إتخاذها قاعده للهجوم عليهم فى الحصيد والخنافس .

ومن تحليل المعركة نجد أن الفرس قد دمروا أنفسهم بأنفسهم فى معركة الحصيد ، فماذا فعلوا ؟ لم يهاجموا حامية الأنبار وتركوها ، ولم يسارعوا فى مهاجمة حامية عين التمر ويحرروها ، وتمركزوا فى الحصيد والخنافس ينتظرون، واتاحوا بذلك الفرصة للمسلمين لمهاجمتهم واخذ زمام المبادأة منهم .

وفى المقابل كان تصرف القعقاع بن عمرو نائب خـالد بن الوليد بالحيرة حكيماً ، فأسرع بإرسال القوات لمواجهة تحركات الفرس ، وعندما علم بعدم هجوم الفرس على حامية المسلمين بالأنبار ، أدرك أنهم يهدفون الهجوم على حامية عين التمر ، ثم من بعدها الحيرة أو الهجوم عليهما معاً فى وقت واحد ، لذا أرسل على وجه السرعة مجموعة استطلاعية ، تستكشف مواقعهم وتبلغ المسلمين عن أوضاع قوات الفرس . وعندما علم بتقسيم جيش الفرس قسمين ، أرسل مجموعتين قتال كمـفارز قتالية - بلغة جيوش العصر - إلى الحصيد والخنافس ، الأولى بقيادة أعبد ، والثانية بقيادة عروة بمهمة الاتصال بالقوات الفارسية وتأمين وصول باقى قوة جيش المسلمين .

وأبرزت هذه المعركة ما فى خالد بن الوليد من قدرة عسكرية فذة فى مجال التخطيط ، كأنه دارساً فى كلية الحرب العليا بأرقى الأكاديميات العسكرية ، فهو حين يكتشف أن للعدو تجميعين فى منطقتين مختلفتين ، يدرس موقفه جيداً ثم يتخذ القرار السـليم بتشكيل لواءين لقتال العدو فى الحصيد والخنافس فى وقت واحد ، إنها خطة بارعة لقائد عسكرى موهوب ، يستهدف منها مفاجأه العدو ومهاجمته وهذان اللـواءان يطلق عليهما - فى التكتيك العسكرى - النسـق الأول ، ثم

يشكل لواء كاحتياطى يتمركز فى عين التمر تحت قيادته ، فيكون خالد قد شكل قواته للمعركة فى نسق واحتياطى ، وهذه الخطة التى وضعها خالد تماثل الخطط العسكرية التى وضعها القادة العسكريون فى معارك الحرب العالمية الأولى والثانية وما بعدهما .

الدروس المستفادة من معركة الحصيد :

أولاً : دور القائد مؤثر فى تحقيق النصر :

لعب خالد دوراً مؤثراً فى انتصار المسلمين فى معركة الحصيد والخنافس ، فكان قراره صائباً حين دفع لواءين على وجه السرعة لدعم أعمال قتال المجموعتين السابقتين (الكتيبتين) اللتين أرسلهما القعقاع إلى الحصيد والخنافس ، فأحدث مفاجأه وصدمة للعدو كان لها أكبر الأثر فى تحقيق انتصار المسلمين فى المعركة . وفى المقابل لم يحسن القائد الفارسى تقدير الموقف ، فلم يدرى أين قوة المسلمين الرئيسية التى سيواجهها ، وبالتالى لم يتخذ القرار المناسب لمواجهة المسلمين فكانت هزيمة منكرة للفرس فى المعركة .

ثانياً : أهمية التقدير السليم للموقف وسرعة اتخاذ القرار :

قام خالد بن الوليد فورعودته من دومة الجندل ، بتقدير سريع للموقف ، عرف منه حجم وأوضاع كلا الطرفين ، وبناء على ذلك وضع خطة محكمة للقضاء على العدو ، تعتمد على تشكيل لواءين فى النسق الأول يهاجمان العدو فى وقت واحد فى الحصيد والخنافس ، مع الاحتفاظ بلواء إحتياط تحت قيادته فى عين التمر، يتدخل به فى حالات الطوارئ ، وقد نجحت خطة خالد وتمكن المسلمون من هزيمة الفرس فى الحصيد وإنسحابهم من الخنافس .

ثالثاً : ضرورة تحقيق المفاجأه بسرعة مهاجمة العدو ونقل المعركة إلى أرضه :

حقق خالد بن الوليد المفاجأه كمبدأ من مبادئ الحرب بصورة لم يتوقعها العدو ، فوصلت قوات القعقاع إلى الحصيد بسرعة وهاجمتهم ، ونقل بذلك المعركة فى أرضهم ، ولم يعط خالد الفرصة للفـــرس لمهاجمته فى عين التمر أو الحيرة فكان النصر للمسلمين فى الحصيد ثم فى الخنافس .

رابعاً : ضرورة الاحتفاظ بقوات احتياطية فى تشكيل المعركة :

أدرك خالد بن الوليد بفطرته العسكرية ، أهمية تشكيل قوة إحتياطية تكون على أهبة الإستعداد ، وفى موقع قريب من أرض المعركة ، لسرعة المناورة والدفع بها فى الوقت المناسب ، لدعم أعمال قتال قوات النسق الأول، فحرص على تشكيل هذه القوة على الرغم من عدم تدخلها فى المعركة ، ولكن خالد القائد الحريص ، لايترك نفسه للمفاجأت ، فلو حدث أى موقف طارئ ، فهناك قوة إحتياطية لمواجهته .

وفى الحروب الحديثة وبدءاً من الحرب العالمية الأولى ، لم تدخل قوات غربية كانت أو شرقية معركة ، إلا وشكلت قوة احتياطية خلف النسق الأول ، للتدخل فى أى موقف طارئ ، فكان خالد بحق سابقاً لعصره .

***

معركة بلا قتال فى الخنافس

(١١ شعبان ١٢ هـ / ٢١ اكتوبر ٦٣٣ م)

استقبلت القوات الفارسية فى الخنافس الجنود الفارين من الحصيد ، فكان لذلك أثر سئ على نفسية جنود الفرس وحلفائهم العرب ، فقصوا عليهم هزيمتهم وكيف كان قتال المسلمين ، واندفاعهم بحماس فى الميدان ، وسعيهم الدؤوب للإستشهاد ، لإيمانهم الراسخ بأن من يقتل فى سبيل الله مثواه الجنة ، فكيف يواجهون نوعية مثل هؤلاء الجنود ؟! .. وأدرك من كان فى معسكر الخنافس ، بأن النصر على المسلمين صعب محال ، ومع تلك الروايات تملكهم الخوف والفزع من مواجهة المسلمين .

وهم على هذا الحال ، جاءتهم الأخبار بإقتراب جيش المسلمين من اتجاه الجنوب – جيش أبو ليلى بن فدكى – وليس من اتجاه الشرق ، فأدركوا أنها قوات جديدة غير التى حاربت فى الحصيد ، ولم يساورهم الشك فى إنضمام القوات التى انتصرت فى الحصيد عليها أيضاً ، وهنا سيواجهوا جيشان ، جيش جديد لم يقاتل بعد ، وجيش قاتل وانتصر فى الحصيد ، فكيف يواجههما ؟ ففروا تاركين معسكرهم إلى المُصيخ[1] خوفاً من مواجهة جيوش المسلمين ، وكان أول الهاربين قائدهم " مهبوذان " .

وعندما وصل قائد جيش المسلمين أبو ليلى بن فدكى إلى الخنافس وجدها خالية من العدو ودخلها دون قتال ، فأرسل لخـــالد بن الوليد فى عين التمر يخبره بالموقف ، فأدرك خالد ضرورة التحرك إلى المُصيخ ، بعد أن علم بأن الهذيل بن عمران قد عسكر بها ، ونزل ربيعة بن بجير بالثنى ومعهما جند كثيرة ويضمران الانتقام من خالد وجيش المسلمين لمقتل عقة .

---

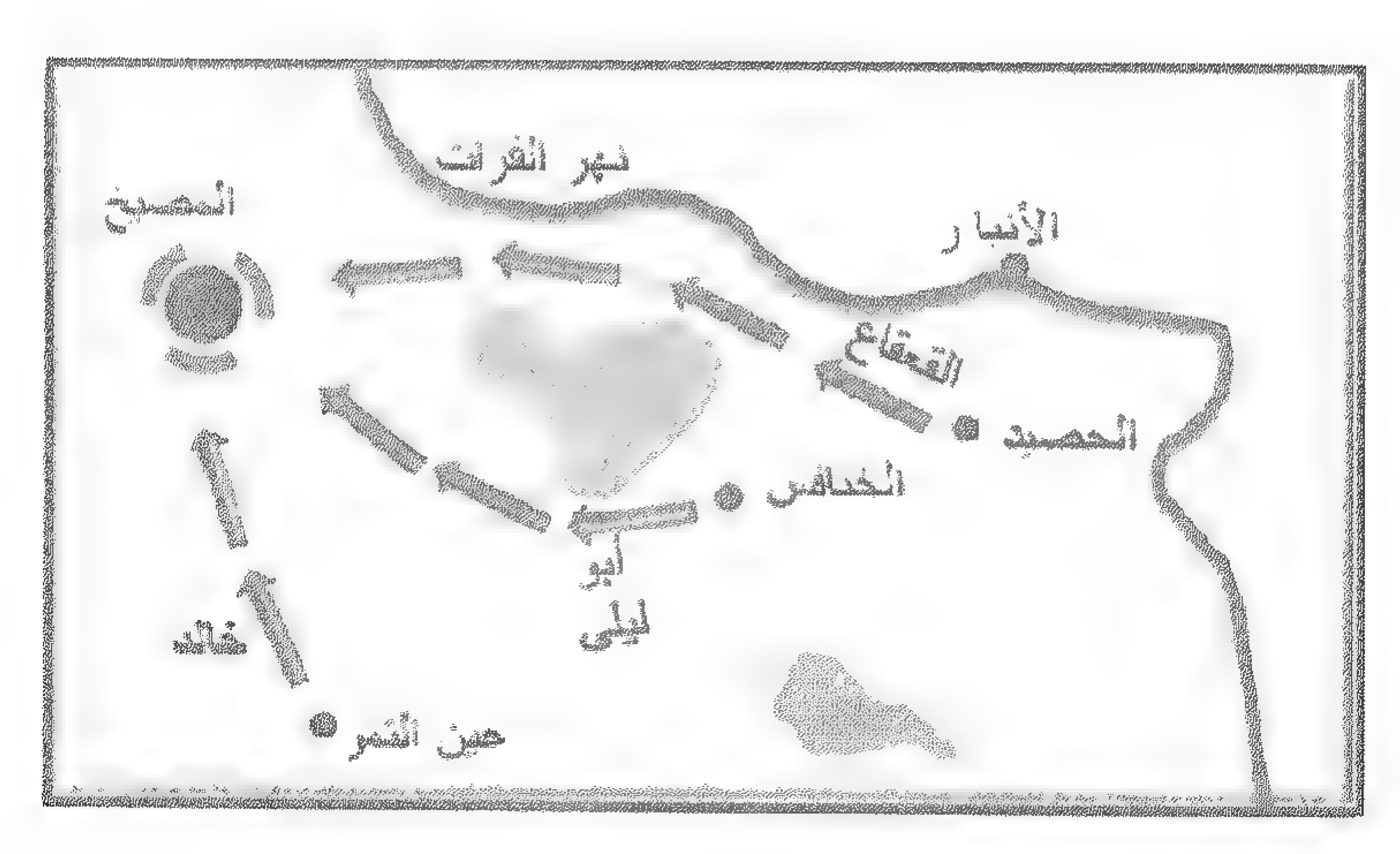
(١) المصيخ : تقع جنوب نهر الفرات وغرب الخنافس بحوالى ٤٠ كم .

معركة المُصيخ

(١٩ شعبان ١٢ هـ / ٢٩ أكتوبر ٦٣٣ م)

فرت قوات الفرس وحلفائها مذعورة بعد الهزيمة المخزية بالحصيد إلى منطقة المُصيخ ، ويبدو أن الفرس انسحبوا واتجهوا شمالاً وعبروا نهرالفرات عائدين إلى قواعدهم ، وتركوا حلفائهم من القبائل العربية الموالية لمصيرهم مع المسلمين . وكان خالد أثناء ذلك متواجداً بعين التمر، وجزء من قواته بالحصيد بقيادة القعقاع بن عمرو ، والباقي بالخنافس بقيادة أبو ليلى بن فدكى، فقرر توجيه ضاربة حاسمة وغير متوقعة لحلفاء الفرس بالمُصيخ .

تحرك خالد بن الوليد بالقوة الإحتياطية الموجودة معه بعين التمر، وأمر قواده بالتوجه إلى المُصيخ ، وعندما وصلت قوات المسلمين ليلاً ، قرر خالد استغلال ضوء القمر والقيام بهجوم ليلى مفاجئ . ولم ينتظر طلوع الفجر أو اعطاء قواته قسطاً من الراحه .



مهاجمة المصيخ فى ثلاثة مجموعات كروكى رقم (١٣)

فشكل خالد قواته فى ثلاث مجموعات غالبيتها من الفرسان ، واغاروا على الهذيل بن عمران وجنده بالمصيخ من جميع الجهات وهم

نائمون ، فلم يتوقعوا هجوم المسلمين عليهم فى منتصف الليل ، وشرع من كان متيقظاً منهم بالقتال ، يحاول الدفاع عن نفسه وإيقاظ باقى الرجال ، ولكن إنقض عليهم المسلمين وقتلوا كل من استيقظ منهم ، ولم يمهلوهم فرصة للدفاع وامتلأت الطرقات بقتلاهم .

وفى المقابل لم تحدث خسائر بالمسلمين ، وصارت خيولهم تجرى فى كل مكان ، تطارد من يحاول الفرار من الميدان ، وأفلت منهم الهذيل بن عمران ومعه نفر قليل هربوا إلى الثنى والزميل ، وهما منطقتان شمال المُصيخ ، وهنا قرر خالد استغلال النجاح والتقدم بسرعة لمطاردة الفارين ، فأصدر أوامره إلى القعقاع وأبو ليلى بالتقدم إلى الثنى والزُميل .

***

معركة الثنى والزُميل

(٢٣ شعبان ١٢ هـ / ٢ نوفمبر ٦٣٣ م)

تحركت جيوش المسلمين إلى الثنى بنفس اسلوب التحرك الذى نفذوه فى معركة المُصيخ ، فتقدم القعقاع وأبوليلى على رأس مجموعتين ، وخلفهما خالد بمجموعته ، ووصل جيش المسلمين منطقة الثنى ليلاً ، وهنا قرر خالد أن ينفذ نفس اسلوب الهجوم الليلى الذى تم من قبل فى المُصيخ ، فهاجمت ثلاث مجموعات من الفرسان أهل الثنى ليلاً وهم نائمون .

وأراد خالد عدم إعطائهم أى فرصة للهرب ، فأطلق المسلمون سيوفهم فى الرجال ، فأبادوا منهم الكثير، إلا النساء والأطفال فأُخذوا سبايا ، ولم يتمكن أحد من الهرب إلى الزميل ، عدا الهذيل وبعض من رجاله ، ومع ذلك لم يتمكنوا من اخطار أهلها بما حدث لهم ، أو ينذروهم بالاستعداد لملاقاة جيش المسلمين . فقد تحركت قوات خالد فى نفس اليوم وبسرعة إلى الزميل ، فهى لا تبعد كثيراً عن الثنى .

وبنفس اسلوب التحرك وتشكيل مجموعات القتال ، الذى تم به تنفيذ معركة الثنى ، تم تنفيذ الإغارة الليلية على أهل الزميل ، فهاجمت مجموعات المسلمين الثلاث من جميع الاتجاهات ، وفى وقت واحد وأهل البلدة نيام . وعندما استيقظوا على صوت الخيول والسيوف لم يستطعوا الصمود ، وقُتلوا جميعاً من كان نائماً ومن كان يقاتل ، وأُخذت نسائهم وأطفالهم سبايا . ثم تقدم خالد بجيشه إلى الرضاب بالقرب من الزُميل ، وعندما علموا بقدوم جيش المسلمين ، هرب كبارها وأمرائها وتركوا بلدتهم ، فأعلن من بقى إستسلامهم لخالد ، وهم الوحيدون فى المنطقة الذين نجوا من سيوف المسلمين . وبذلك لم تبق بالمنطقة إلا الفراض ، تلك النقطة الحدودية التى تفصل بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، وبذلك يكون خالد قد أكمل فتح الجزء الجنوبى الغربى من العراق .

تحليل المعركة :

نجح خــالد بن الوليد فى معركة الحصيد من قطع دابر قوات الفرس من المنطقة ، ففروا بعد أن ادركوا عدم جدوى قتال خالد وجيش المسلمين وهزيمتهم ، فالنصر كان دائماً لهم ، وتركوا القبائل العربية الحليفة تواجه مصيرها وحدها ، وأراد خــالد أن يستغل الموقف ويمد نفوذه إلى الجزء الغربى من العراق ، فالظروف مهيئة له بعد انتصاره فى الحصيد على الفرس وحلفائهم من العرب النصارى ، فكان قراره استمرار التقدم والهجوم للقضاء على العرب حلفاء الفرس فى المُصيخ والثنى والزُميل .

ولما كان خالد دائماً جريئاً فى عملياته ومتنوعاً فى خططه القتالية ، فقد أقدم فى معاركه الثلاثة فى المُصيخ والثنى والزُميل على الهجوم الليلى كاسلوب جديد فى القتال ، وفيه تتقدم القوات فى سكون ، وفى ثلاث مجموعات فرسان ، لسهولة السيطرة على القوات أثناء التحرك الليلى ، وحتى لاتعرف عيون الأعداء اتجاه وهدف كل مجموعة ، ثم تحتل أماكنها المحددة فى صمت تام ، وبإشارة يبدأ الهجوم فى ضوء القمر .

انها خطة محكمة واسلوب جديد فى القتال ، يعتمد على الفرسان أساساً فى تكوين المجموعات ، حتى يكون لهم حرية الحركة والمناورة أثناء الهــجوم ، وكانوا يهاجمون من كافة الجهات فى شكل هجوم دائرى لقطع الطريق على العدو من الهروب من أى جهة .

وأرسى خالد فى تلك المعارك الثلاثه اسلوب القتال الليلى ، وهو اسلوباً ليس بالسهل ، بل أصعب صور القتال فى فنون الحرب ، فكثيراً من الجيوش التى خاضت معارك لم تنفذ هجوماً ليلياً ، فالقتال الليلى صعب و كله مخاطر، ويتطلب دقة فى تحديد الاتجاهات أثناء التقدم للوصول إلى الهدف ، فأى خطأ ولو بسيط يعنى الإنحراف وعدم الوصول للهدف بدقة .

ويحتاج الهجوم الليلى أيضاً ، لخطة دقيقة فى تفاصيلها ، تحدد فيها قطاعات المسئولية لكل مجموعة أثناء القتال ، وإلا إختلط الحابل بالنابل . كما يتطلب تنظيم التعاون قبل المعركة بين القادة على اسلوب تنفيذ المهام ، والتعاون فيما بينهم على إنجاز المهمة بنجاح ، ولم تعرف الجيوش حديثاً اسلوب القتال الليلى ، إلا بعد تزويدها بأجهزة لاسلكية للتخاطب والسيطرة على القوات أثناء تنفيذ المهام ، وبوصلات مغناطيسية لتحديد الاتجاهات .

ولعل خير مثال على ذلك معركة التل الكبير فى عام ١٨٨٢م ، التى خاضتها القوات الانجليزية تحت قيادة الجنرال "جارنت ولسلى" ضد القوات المصرية بالتل الكبير بالشرقية تحت قيادة " احمد عرابى" . فلم يقرر ولسلى تنفيذ الهجوم الليلى إلا بعد أن قام جيشه بتحضيرات ملاحية كثيرة للمحافظة على إتجاه الهجوم ، والاستعانة بأدلاء يستخدمون البوصلات المغناطيسية والنجوم للمحافظة على خط السير، بالإضافة لترتيبات خاصه بتأمين القوات أثناء الهجوم الليلى .

وزاد فى العصر الحديث استخدام القوات العسكرية فى العمليات الليلية ، بعد أن ثبت نجاحها فى تحقيق المفاجأة ، وتقليل الخسائر البشرية . وساعد على ذلك تزويد الجيوش بالأجهزة الحديثة ، لتحديد الأماكن والإتجاهات ليلاً GPS (Global Positioning Systems) التى تعتمد على الاقمار الصناعية ، وكذلك أجهزة الرؤية الليلية NVS (Night Vision Systems) .

وتأتى عبقرية خالد العسكرية من أنه سبق عصره ، واختار اسلوباً قتالياً جديداً فى ذلك الوقت ، وهو الهجوم بمجموعات كبيرة من الفرسان ليلاً ، وينجح فيه وكأنه ينفذ هجوماً نهارياً ، وكان السائد فى ذلك الزمان هو الإغارة الليلية بعدد قليل من المقاتلين ثم الإنسحاب بسرعة .

الدروس المستفادة من معارك المصيخ – الثنى – الزُميل :

أولاً : تقسيم القوات إلى مجموعات أثناء تنفيذ المهام القتالية :

قام خالد فى معاركه الثلاثة بتقسيم قواته إلى ثلاث مجموعات قتال – وهذا ما يطلق عليه الغرب TASK FORCE – وهاجم العدو من جميع الإتجاهات فى وقت واحد وبشكل دائرى ، وبهذا لم يعطيهم أى فرصة للهرب. كما استخدم الخيل والفرسان فى هجومه الليلى ، لما تحققه من خفة الحركة والمرونة وسرعة تنفيذ المهمة ، وقد نجح خالد فى معاركه الثلاثة ، ولم ينجو أحد من سيوف المسلمين .

ثانياً : أهمية تنفيذ هجوم ليلى لتحقيق المفاجأه :

استطاع خالد بن الوليد من تنفيذ اسلوب جديد فى القتال لم يكن مألوفاً فى زمانه وهو الهجوم الليلى بمجموعات الفرسان ، وقد نفذه فى معاركه الثلاثة بالمُصيخ والثنى والزُميل ، وتمكن من تحقيق المفاجأه للعدو، الذى نام وسكن ولم يتوقع هجوماً ليلياً ، حتى من كان متيقظاً منهم لم يستطع الصمود أمام جيش المسلمين ، وحقق خالد بذلك نصراً واسلوباً يضاف إلى فخاره العسكرى .

***

معركة الفراض

(١٥ ذى القعده ١٢ هــ / ٢١ يناير ٦٣٤ م)

بعد انتصارات خالد بن الوليد المتتالية بالمنطقة ، وهجومه الليلى المباغت على المُصيخ والثنى والزميل ثم استسلام الرضاب دون قتال ، ضم خالد الجزء الغربى من العراق كاملاً ، وأصبحت قوات المسلمين على حدود الشام من جهة الغرب ، وباتت تشكل تهديداً للدولة الرومانية ، فاجتمع الفــرس والروم أعداء الأمس ، ليكونوا تحالفاً مشتركاً للوقوف فى وجه خالد ومحاولة إيقافه ، وقد إنضم اليهم بعض العرب الموالين بالمنطقة ، وكون هذا التحالف جيشاً كبيراً قوامه مائة وخمسون ألف مقاتل على أمل إيقاف هذا المد الإسلامى .

وبعد حوالى ثلاثة أسابيع من ضم الرضاب ، تحركت جيوش التحالف الثلاثى إلى الفراض وعسكرت على الشاطئ الشمالى لنهر الفرات ، وعسكر خالد بقواته جنوب النهر ، وبعد أن اكملت قوات التحالف استعدادها ، خيروا خالد بين أن يعبر لهم أو يعبروا له ، فقال لهم خالد إعبروا لنا ، فعبروا وتشكلوا فى ثلاثة جيوش كل جيش تحت لوائه ، الفرس والروم وحلفائهم العرب ، وزحفوا على الفراض وجعلوا ظهورهم للنهر ، فليس أمامهم إلا الانتصار أو الغرق فى النهر .

فاشتبك الجيشان فى قتال شديد ، التحالف الثلاثى بقوتهم الكبيرة يواجهون جيش المسلمين بقوة أقل ، حيث كانوا فى حدود عشرين ألف مقاتل ولكن إيمانهم أقوى ، وخبرتهم القتالية أكثر . ووضح ذلك عند بدء القتال ، فسرعان ما رجحت كفة المسلمين ، بعد أن اقتتلوا قتالاً شديداً ، واستغل المسلمون الثغرات بين الجيوش الثلاثة واندفعوا فى حماس بينهم ، ونجحوا فى عزلهم فى مجموعات ، وقال لهم خالد : " ألحوا عليهم ولا ترفهوا " ، فانقضى عليهم الفرسان بالرماح وقتلوا منهم الكثير، ولم يجدوا مكان يهربوا إليه ، فمات منهم أكثر من مائة ألف كما ذكر المؤرخون ، وانتصر المسلمون وعمت الهزيمة جيوش التحالف .

وبعد المعركة ارتاح جيش المسلمين بالفراض حوالى عشرة أيام ، ثم كانت رحلة العودة إلى الحيرة فى اليوم الخامس والعشرين من ذى القعده ، ووضع خالد على رأس جيشه عاصم بن عمرو ليقود تحرك جيش المسلمين ، وعلى مؤخرة الجيش شجرة بن الأعز ، وكان خالد ظاهراً فى مؤخرة قواته ، ثم انسحب عنهم وانطلق سراً ، ومعه بعض من رجاله إلى مكة ليؤدى مناسك الحج دون أن يعلم به أحد . وكان ينوى أن يصل الحيرة من مكة مع وصول جيشه من الفراض للحيرة ، وقد تحقق له ذلك ولم يلحظ أحد غيابه . وعلى الرغم من أن الخليفة أبوبكر الصديق قد حج هذا العام مع المسـلمين ، إلا أن خالد لم يقابله فقد أرادها حجة سرية ، ولكنه لم ينجح فى ذلك ، فعلم الخليفة من معاونيه بحج خالد .

تحليل المعركة :

كانت معركة الفراض آخر اعمال خالد بالعراق ، وفيها اجتمع أعداء الأمس الفرس والروم ، وتناسوا خلافتهم السابقة وتوحدوا معاً ومعهم القبائل العربية المجاورة ، ضد خالد وجيش المسلمين على أمل إيقافه ودحره ، وجمعوا فى سبيل ذلك مائة وخمسون ألف مقاتل ، كما ذكر المؤرخون وكان جيش المسلمين لايتجاوز العشرين ألف مقاتل ، لكن خالد تمكن من هزيمتهم بعد أن طلبوا منه عبور النهر للقتال ، فرفض حتى لا يزج جيشه فى منطقة ليس بها عمق دفاعى ، وطالبهم بالعبور حتى يكون النهر خلفهم وجيش المسلمين أمامهم ولا مكان للرجوع أو الفرار.

وكان هناك – لاشك – تفوق لقوات التحالف ، ولكن ما ذكره المؤرخون نراه مبالغاً فنسبة المقارنة ستكون (١ : ٧,٥) بمعنى كل مقاتل من المسلمين يواجه سبعة مقاتلين على الأقل من القوات المتحالفة ، فكيف يجمعون هذا العدد الضخم ويسيرونه إلى هذا النقطة الحدودية على تخوم العراق والشام . ونجد المقبول أن يكون فى أقصاه ثلاثة أو أربعة أضعاف جيش المسـلمين ، فيصل عددهم إلى

ثمانين ألف على أقصى تقدير، ويعوض ذلك التفوق العددى ، قوة إيمان المسلمين وعزيمتهم وخبرتهم القتالية ، التى اكتسبوها من معاركهم السابقة ، وثقتهم بقائدهم وبنصر الله ، فتمكنوا من الانتصار على القوات المتحالفة[1] .

وعندما نتناول حج خالد ، وما قيل فيه من تجاوز وعدم إنضباط من قائد فى الميدان ، نجد أن خالد قد رأى أن حجة هذا العام فرصة قد لاتسنح له مرة ثانية ، إنها فرصة لتقديم الشكرلله ، الذى منحه انتصاراته على القوات المتحالفة ، وما المانع ، وقواته فى طريقها للحيرة آمنة ، فلا ينتظر أى عدائيات أو تهديدات لها ، كما يقودها رجالاً يثق فيهم وفى قدرتهم على مواجهة المواقف الطارئة ، فلهم خبرة القتال ودراية بنفوس الرجـــال ، ويجب إعطائهم فرصة قيادة الجيش والعـــودة به سالماً ، وهذا هو القائد الناجح الذى يدرب كوادر قيادية جديدة ، لتمارس القيادة واعمال السيطرة على التحركات .

وكما قدر خالد مواقفه فى كل معاركه السابقة ، وحسب تحركاته وتوقيتاته ومسافات الوصول إلى أهدافه ، درس خالد رحلة حجه بنفس العقلية العسكرية ، فخطط أن يذهب للحج ويعود من مكة للحيرة ، فى نفس التوقيت الذى يعود فيه جنوده من الفراض للحيرة ، وقد كان له ذلك بفضـــل إختياره طرقاً صحراوية صعبة ولكنها قصيرة للوصول إلى مكة ، ونجح فى ذلك فهو فارس الصحراء . وكان مبرره ودافعه للحج ، إنه لم يؤدى الفريضة بعد إسلامه حيث دخل الإسلام فى العام الثامن للهجرة ، وفرض الحج على المسلمين فى العام التاسع للهجرة . وهو بعد انتصاره فى أشد الحاجة إلى راحة نفسية وجو إيمانى . وهل هناك أفضل من الحج ؟

---

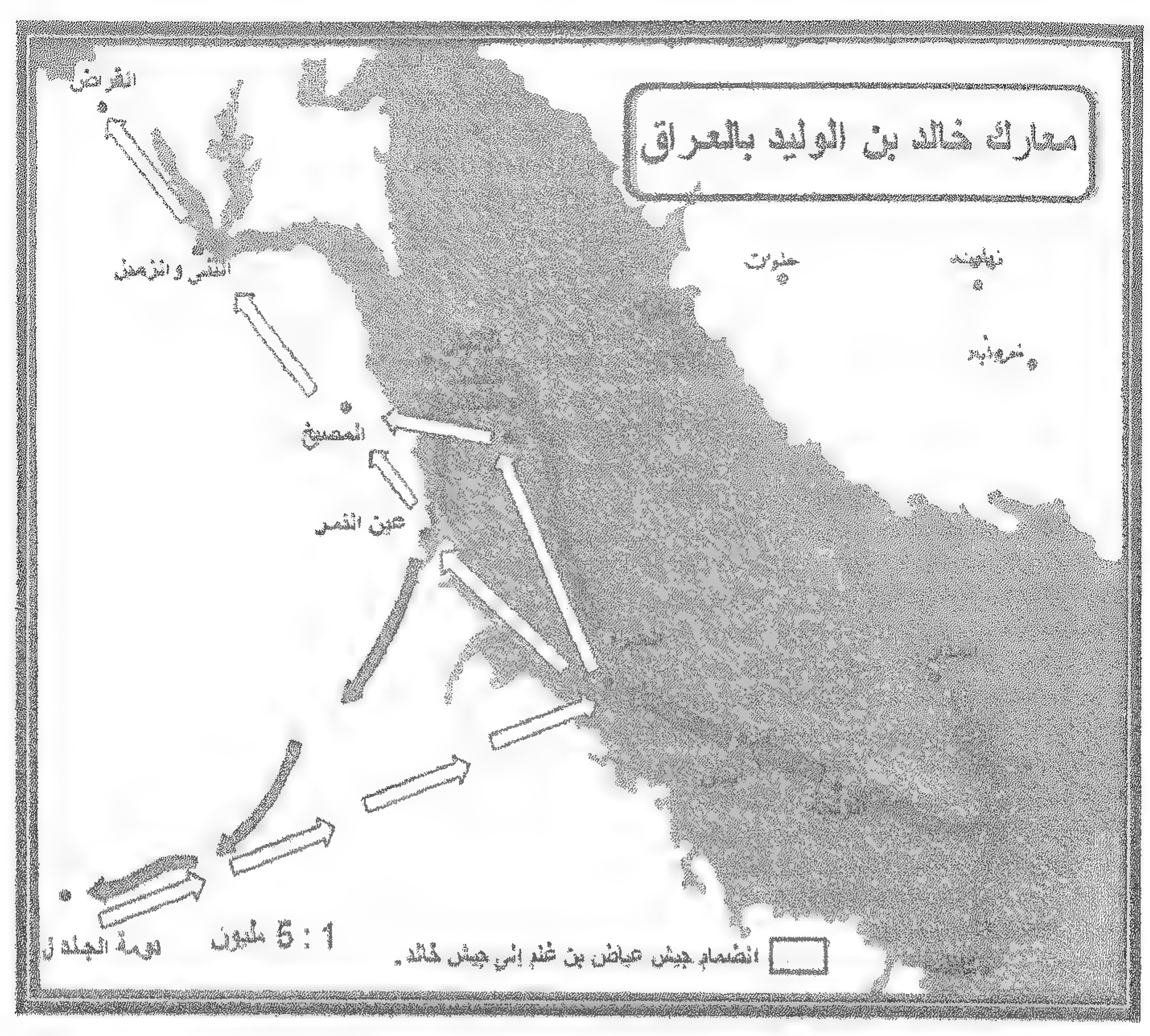
(1) عبرالقعقاع بشعره عن معركة الفراض فقال .. لقينا بالفراض جموع روم .. وفرس غمها طول السلام .. أبدنا جمعهم لما التقينا .. وبيتنا بجمع بنى رزام .. فما فتئت جنود السلم حتى .. رأينا القوم كالغنم السوام .

الدروس المستفادة من معركة الفراض :

عدم الزج بالقوات فى مناطق قتال ليس بها عمق دفاعى خلفها :

عندما طلب الفرس من خالد بن الوليد ، العبور بجيش المسلمين نهر الفرات أو يعبروا له ، طلب منهم العبور إلى الضفة الجنوبية ، وهنا كان فكر خالد عدم الزج بجيش المسلمين فى منطقة قتال ، ليس بها أى عمق دفاعى لقواته ، خاصة إذا اضطر للارتداد تحت ضغط العدو ، وبالتالى لن يكون تحت رحمتهم ، وعندما عبروا النهر لمواجهته ، إنحصروا بين النهر وبين قواته ، فلم يدع لهم فرصة للرجوع أوالهروب ، فلم يكن خلفهم مكان يهربون اليه ، فتمكن من عزلهم والاندفاع بين فواصلهم والقضاء عليهم .

***



خريطة رقم (٤) **معارك خالد فى العراق .**

معارك خالد بن الوليد فى العراق

م	اسم المعركة	التاريخ	خط السير	مسافة التحرك	قادة المسلمين	قادة الفرس – العرب النصارى
١	ذات السلاسل	محرم ١٢ هـ مارس ٦٣٣ م	اليمامة - كاظمه	٤٧٥ كم	خالد – عاصم بن عمرو - عدى الطائى	هرمز - قادن - انوشجان
٢	المذار	اول صفر ١٢ هـ ١٧ ابريل ٦٣٣ م	كاظمه - الأبله - المذار	٢٢٥ كم	خالد – عاصم بن عمرو - عدى الطائى	قارن بن قريانس قادن- انوشجان
٣	الولجة	٢٢ صفر ١٢ هـ ٨ مايو ٦٣٣ م	المذار- الأبلة - الحفير- الولجة	٢٥٠ كم	خالد – بسر بن ابى رهم - سعيد العجلى	اندرزغر
٤	أليس	٢٥ صفر ١٢ هـ ١١مايو ٦٣٣ م	الولجة - أليس	١٠٠ كم	خالد بن الوليد - القعقاع - المثنى	جابان
٥	أمغيشيا	٢٨ صفر ١٢ هـ ١٤ مايو ٦٣٣ م	أليس - أمغيشيا	٢٥ كم	خالد بن الوليد - القعقاع - المثنى	تم تدمير المدينة بلا معركة
٦	الحيرة	ربيع الأول ١٢ هـ مايو ٦٣٣ م	أمغيشيا - الحيرة	٨٥ كم	أربع أمراء منهم ضرار - المثنى	حصار الحصون الأربعة
٧	الأنبا ر	٤ رجب ١٢ هـ ١٤ سبتمبر ٦٣٣ م	الحيرة - الأنبا ر	١٤٠ كم	خالد - الاقرع بن حابس	شيرزاد
٨	ذات العيون	١١ رجب ١٢ هـ ٢١ سبتمبر ٦٣٣ م	الأنبار - الحصيد - عين التمر	٧٠ كم	خالد بن الوليد	مهران بن بهرام عقة بن أبى عقة
٩	دومة الجندل	٢٤ رجب ١٢ هـ ٤ اكتوبر ٦٣٣ م	عين التمر - دومة الجندل	٤٠٠ كم	خالد - عياض بن غنم	جودى بن ربيعة

١٠	الحصيد	١٠ شعبان ١٢ هـ ٢٠ اكتوبر ٦٣٣ م	دومة الجندل - الحيرة - عين التمر/ الحصيد	٦٥٠ كم	القعقاع - اعبد بن فدكى	روزبة - زرمهر
١١	الخنافس	١١ شعبان ١٢ هـ ٢١ اكتوبر ٦٣٣ م	الحصيد -الخنافس	٢٠ كم	عروة – ابو ليلى بن فدكى	مهبوزان (انسحاب)
١٢	المصيخ	١٩ شعبان ١٢ هـ ٢٩ اكتوبر ٦٣٣ م	الخنافس -المصيخ	٤٠ كم	خالد - القعقاع – ابو ليلى	الهذيل بن عمران
١٣	الثنى	٢٣ شعبان ١٢ هـ ٢ نوفمبر ٦٣٣ م	المصيخ - الثنى	١٢٠ كم	خالد - القعقاع – ابو ليلى	ربيعة بن بجير
١٤	الزميل	٢٣ شعبان ١٢ هـ ٢ نوفمبر ٦٣٣ م	الثنى - الزميل	٢ كم	خالد - القعقاع – ابو ليلى	أهل الزميل
١٥	الفراض	١٥ ذى القعدة ١٢ هـ ٢١ يناير ٦٣٤ م	الزميل - الفراض	٢٥٠ كم	خالد – القعقاع - المثنى	تحالف الفرس والروم وقبائل العرب النصارى
	الأجمالى			٢٨٥٢ كم		

جدول رقم (٣)

تحليل :

١- قطع جيش خالد فى عشرة أشهر ونصف (٣١٥ يوم) حوالى ٢٨٥٢ كم ، بسرعة متوسطة ٩ كم / يوم .

٢- فى معركة دومة الجندل قطع مسافة ٤٠٠ كم فى ١٠ يوم مسير بمعدل ٤٠ كم فى اليوم .

٣ - وفى معركة الحصيد قطع مسافة ٦٥٠ كم فى ١٦ يوم مسير بمعدل ٤٠ كم فى اليوم وهو أقصى معدل تقدم لخالد فى معاركه بالعراق .

٤ - وفى معركة الولجة قطع مسافة ١٩٠ كم فى ٢٠ يوم مسير بمعدل ٩,٥ كم فى اليوم ، وهو أقل معدل تقدم لخالد فى معاركه بالعراق .

لماذا انتصر خالد على الفرس ؟

كانت معارك خالد بن الوليد وحملته فى العراق ، هى الأولى فى التاريخ العربى . فلم تسبقه حملات من قبل ، سواء من ممالك أو إمارات قديمة أو من قبائل عربية من بدو الصحراء ، حيث كانوا يفتقروا الامكانيات والطموح والعقيدة التى تدفعهم للتوسع شمالاً ، أو حتى توجيه تهديداً للفرس . وما وقع فى معركة ذى قار بين بعض قبائل العرب والفرس قبل الإسلام ، كان دفاعاً عن الشرف والعشيرة وما يؤكد ذلك إنه رغم الانتصار الذى حققه العــرب فى تلك المعركة ، فلم يكن له أى تأثير فى المنطقة ، ولم يستغلوا هذا النصر لحملة أكبر، أو يمدوا نفوذهم وسيطرتهم على مساحة أوسع ، بل عادوا بعدها لديارهم مكتفين بما حققوه .

وعندما قام خالد بفتوحاته فى العراق وانتصر على الفرس وحلفائها من القبائل العربية ، كان يستحق هذا النصر ، فالنصر لا يأتى إلا لمن يستحقه . وهناك أسباباً عديدة لانتصارات خالد ، ونرى أنها تعود فى جملتها إلى أسباب عامة ، تتعلق بالمقاتل والعقيدة والسلاح والهدف والدافع ، ثم أسباب عسكرية تعود إلى القائد بصفة خاصة .

وإذا تناولنا المقاتل الفاتح ، العنصر الأساسى فى تحقيق النصر ، نجد أنه تسلح بعقيدة قتالية وإسلامية راسخة ، كانت دافعاً قوياً له فى القتال ، بالإضافة إلى شجاعته وإستبساله ، فلا نتصورعقيدة – فقط – بدون كفاءة وخبرة قتالية تحقق نصراً فى الميدان . ومن الملاحظ أن خبرة المسلمين القتالية إزدادت من معركة لأخرى ، فتحول الفاتحون إلى محترفى قتال ، واستطاع خالد استغلال وتوظيف قدراتهم وخبراتهم القتالية لصالح معاركه .

وبالنسبة للسلاح ووسائل القتال المستخدمة فى المعارك ، ودورها فى تحقيق انتصارات خالد ، نجد أن المسلمين انتصروا لأنهم كانوا يملكوا سلاحهم ويصنعوا أغلبه بأنفسهم ، فكان السلاح بسيطاً يستطيع البدوى صنعه من الموارد المحلية مثل

القوس والنبال . وكانت قيمة السلاح تأتى من شجاعة من يستخدمه ، وأثبت المسلمون فى معاركهم أنهم على درجة عالية من الشجاعة والمهارة فى استخدام السلاح .

وأما وسائل القتال المصنوعة من الحديد والفولاذ مثل السيوف والرماح والخناجر ، فاستطاع العرب صناعتها وخاصة السيوف ، السلاح الرئيسى فى ذلك العصر. ولعل خير مثال على ذلك ماذكره خالد فى معركة مؤته ، حين كسرت فى يده تسعة صفائح ولم يصمد فى يده إلا صفيحة يمنية ، وهذا دلالة على متانة صناعة السيوف اليمنية وتقدمها . كما كانت مكة المكرمة من أهم مراكز صناعة السيوف فى شبه الجزيرة .

وكان العرب يستوردون سلاحهم أيضاً ، وخاصة السيوف من جهات عديدة ومنها الهند على سبيل المثال ، وما ورد فى أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام دليل على ذلك ، فتناول شعرعنتر بن شداد وغيره كثيرون ، أبياتاً عن السيف الهندى[1]. وما نصل اليه أن المسلمين استطاعوا أن يصنعوا سلاحهم بأنفسهم ، ويستوردوا ما يحتاجونه دون حظر أو قيود . فملكوا أرادتهم وصنعوا نصرهم ، فمن يملك سلاحه يملك مصيره بيده .

وعندما ننتقل إلى الهدف والدافع لإنتصارالمسلمين مع خالد فى معاركه ، نجد أن وراءه هدفاً سامياً وعظيماً ، وهو نشرالإسلام فى المناطق المجاورة ، والرغبة فى إثبات وجودهم كعرب بين الأمم المختلفة . فلم يكن للعرب قبل الإسلام أى ظهور أو تواجد على العجم ، فكانوا مشتتين بين القبائل والعشيرة لا شئ يجمعهم على هدف واحد ، فوحد الإسلام بينهم وجمعهم تحت راية الجهاد فى سبيل الله :

---

(١) قال عنتر لمحبوبته عبلة : ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى .. وبيض الهند يقطرمن دمى .. فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسمى . وكما قال الشاعر الجاهلى المزرد بن ضرار الغطفانى : من الملمس هندى متى يعمل حده .. ذرى البيض لاتسلم عليه الكواهل .

ولذلك استطاع خالد بجيوش المسلمين الأقل عدداً وعده تحقيق انتصاراته على جيوش الفرس .

وبجانب هذا الهدف السامى ، كان هناك دافعاً لتحقيق تلك الانتصارات على المستوى الشخصى للمقاتلين ، وهو الحافز المادى الذى يتمثل فيما يحصلون عليه من الغنائم والسبايا ، وخاصة أنه كانت هناك نسبة كبيرة من الفاتحين تخوض غمار الجهاد ومعهم عائلاتهم . فمن أين ينفقون ؟ . ودلالة على ذلك ماذكره الطبرى[١] حين قام خالد في الناس خطيباً – بعد معركة الولجة – يرغبهم في بلاد العجم ويزهدهم في بلاد العرب ، وقال : " ألا ترون إلى الطعام كرفغ التراب[٢] ، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل ولم يكن إلا المعاش[٣] ، لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولى الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه[٤] " .

وعندما ننتقل للأسباب العسكرية فى انتصار المسلمين ، نجدها تعود إلى شخص خالد وقيادته الحكيمة لقواته فى ساحات القتال ، حيث أدرك بفطرته العسكرية وموهبته القتالية منذ ذاك الزمان ، مبادئ الحرب وفنون القتال وطبقها فى معاركه ، فكان النصر دائماً حليفه . **ونوجز أهم أسباب انتصارات خالد العسكرية فى الآتى :**

أولاً : تحقيق المفاجأه على المستوى الاستراتيجى فى حملته بالعراق :

والمفاجأه تعنى القيام بأعمال مدروسة ومخططة سلفاً ، فى التوقيت والمكان الغير متوقعين من جانب العدو ، فتشل قدرته ويصبح عاجزاً عن القيام برد فعل مناسب . وعلى المستوى الاستراتيجى كانت المفاجأه فى حملة لم يتوقعها الفـــرس أصلاً . وعلى الرغم من إرسال خالد كتاب مع رسول ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص٣١٢ . (٢) كرفغ التراب : اى كثرته .

(٣) المعاش : العيش . (٤) اثاقل عما أنتم عليه : يقصد من تخلفوا عن الجهاد فى العراق .

يدعوهم للإسلام أو الجزية أو القتال ، فلم يتصوروا إمكان الدولة الإسلامية الفتية من توجيه تلك الحملة ، وإن وجهوها فلن يستطيعوا تحقيق شئ ، وخاصة أن كل الهجمات التى كانت تأتيهم من الجنوب سابقاً ، ماهى إلا إغارات من بعض القبائل المتاخمة لهم ، هدفها النهب والسلب ثم العودة مرة أخرى للصحراء بما نهبوه .

ثانياً : تحقيق المفاجأه التكتيكية فى معاركه :

ثم جاءت بعد ذلك المفاجأه على المستوى التكتيكى التى حققها خالد فى معاركه . فكانت أكبر تأثيراً مما حققه على المستوى الإستراتيجى ، وعندما بدأ خالد هجومه فى كاظمة ، اعتقد الفرس أن الفرصة جاءتهم للقضاء على ذلك الغرور العربى ، وظنوا أن من يفكر فى الهجوم على الامبراطورية الكسراوية العظمى مصيره الفناء لا محال ، إلا أن خالد فاجأهم بصفعات متتالية غير متوقعة بالميدان ، ولم يترك لهم فرصة لمفاجأته ، وحقق المفاجأة فى معركة الولجة بالكمينين ، الذين نصبهما خلف العدو وانتصر عليهم ، ثم كانت المفاجأه مرة أخرى عندما اقتحم خندق الأنبار وذبح الإبل النحيلة والضعيفة ، وألقى بها فى الخندق فأصبحت جسراً عبر عليها مع قواته واقتحم الحصن ، وفى عين التمر كانت أكبر المفاجأت عندما خطف عقة من وسط جنوده ، وألحق بهم أسرع هزيمة ، وفى المُصيخ والثنى والزميل كانت المفاجأه فى الهجوم الليلى ، فلم يتمكنوا من صد خالد أو إيقافه .

ثالثاً : حصول خالد على المبادأة دائماً فى معاركه :

لم يعط خالد الفرس أى فرصة لانتزاع المبادأة من يده ، فكان دائماً البادئ بالهجوم ، والمسيطرعلى أرض المعركة ، والمتحكم فى مجريات القتال ، وتوجيه الضربات المتتالية للعدو ، فاعتنق خالد اسلوب الهجوم المباغت وإفقاد العدو اتزانه ، ومتى نجح تكون المبادأه معه ولا يتنازل عنها

أبداً ، وتصبح له حرية الحركة فى الميدان ، ويفرض إرادته على خصمه ، وتصبح مقاومته مجرد رد فعل ينتهى بهزيمته . وهو ما فعله خالد فى أغلب معاركه .

رابعاً : القدرة العالية على حشد القوات :

الحشد يعنى تجميع كافة القوات والوسائل فى الوقت والمكان المناسبين ، لتحقيق تفوق على العدو ، ثم توجيه ضربة حاسمة فى أضعف مناطق العدو، لإلحاق الهزيمة به وإحراز النصر فى المعركة . فحشد خالد فى كاظمة عشرة آلاف مقاتل ، وتزايدت أعداد المسلمين إلى أن وصلت إلى ثمانى عشر ألف مقاتل ، واستطاع خالد بهذا العدد أن يقود فتوحاته فى العراق وينتصر على الفرس .

وبرغم التفوق الكبير للفرس ، فى جميع معاركهم التى خاضوها ضد خالد ، إلا أنهم لم يستطيعو الاستفادة من تلك الميزة ، بتحريك قواتهم وحشدها لمهاجمة نقاط ضعف المسلمين ، نظراً لبطء حركتهم وانعدام مرونتهم ، كما أن خالد فى مواجهة هذا الحشد المادى الكبير ، استعان بما هو أكبر منه ، وهوالحشد المعنوى ، الذى يرتكزعلى عوامل العقيدة الدينية والعسكرية وشرعية الجهاد فى سبيل الله ، لنشر دين الإسلام ، فكان له تأثيراً كبيراً فى مواجهة التفوق العددى للفرس .

خامساً : تحقيق المرونة وخفة حركة القوات :

على الرغم من أن خالد ، تمكن فى معاركه من حشد قواته - وإن كانت أقل عدداً من خصمه - إلا أنه كان له ميزة المرونة وخفة الحركة ، والقدرة على حشدها وتحريكها بالسرعة المطلوبة ، فليس المهم فقط حشد القوات ، ولكن الأهم هو تحريكها فى الميدان ، والإستفادة بما تحقق ميدانياً ومتابعة التقدم ومفاجأة العدو. وساعد خالد على ذلك مهارة جنوده فى استخدام

الإبل والخيل ، وسرعة تحركهم وخاصة فى المناطق المفتوحة والصحراء ، وكذلك خفة تسليحهم وعدم تحميلهم وسائل قتالية كثيرة تعوق حركتهم فى الميدان .

سادساً : القيام بالأعمال الهجومية واستغلال النجاح :

كان خالد يؤمن بأهمية الهجوم لفرض إرادته على العدو وهزيمته فى الميدان ، فاعتنق العقيدة الهجومية ، ولم يدافع أبداً فى معاركه ، وكان يستغل ما حققه من نجاح فى الميدان ويتابع التقدم من معركة إلى أخرى . وكان النصر الذى يتحقق يرفع معنويات جنوده ، ويُخفضها لدى العدو ، ويضعه دائماً فى موضع المدافع . فالأعمال الهجومية كانت تتيح لخالد فرصة تدمير العدو من كافة النواحى المادية والمعنوية ، وتمكنه من الإستيلاء على كل ما يقع تحت يديه ، مثلما فعل فى معارك كاظمة وأليس وتخريب أمغيشيا ، وفى فتح الحيرة وفى الثنى والمُصيخ ، واستطاع خالد بن الوليد بالأعمال الهجومية وفى أقل من إثنى عشر شهراً - منها معركة فتح دومة الجندل - أن يكتسح ثلثى أرض العراق .

سابعاً : القيادة الناجحه للقوات :

استطاع خالد أن يقود جنوده بنجاح ويحقق النصر فى كل معاركه ، ويرجع ذلك إلى إدراك خالد لإمكانيات جنوده وثقته الكبيرة بهم ، فهو الذى قال عنهم فى رسالته إلى هرمز، جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، وحرص خالد دائماً عليهم ولم يزج بهم فى تهلكة أو فى معركة خاسرة ، وفى المقابل أحبه جنده وأطاعوه وساروا خلفه ولم يخذلوه ، فعرف خالد كيف يقود جنوده ، ويستخلص منهم أقصى طاقة لصالح معاركه .

كما استطاع أن يستغل الامكانيات حوله لصالح جنوده ، مثلما استخدم السفن لنقل جنده فى فتح الحيرة . وفى نفس الوقت عمل خالد على إظهار

قادة جدد ، واعطاءهم الفرصة لتحــمل المسئولية ، أمثال عدى بن حاتم وأبى ليلى وأعبد بن فدكى السعدى ، وبسر بن أبى رهم وسعيد بن مرة العجلى وغيرهم ، فكان لهم دوراً بارزاً فى نجاح معارك خالد ، وساهم بذلك فى خلق صف ثانى من القادة يمكن الإعتماد عليهم ، ولعل خير دليل على ذلك ، عندما تركهم حوالي شهر وتوجه إلى دومة الجندل ثم عندما توجه إلى الحج سراً .

ثامناً : إتخاذ الإجراءات اللازمة لتأمين التحرك :

كانت تحركات خالد بقواته دائماً فى وضعية قتالية وعلى أهبة الاستعداد ، فاتخذ جميع إجراءات التأمين اللازمة ، واختار طرق التحرك المأمونة ، التى تحقق الوقاية لقواته من كلا الجانبين ، ودفع أمامه مفارز تأمين التحرك على المسافات المناسبة ، مثلما فعل ودفع مفرزتين لتأمين تحركه إلى الولجة ، ودفع مفرزة لتأمين تحركه إلى الأنبار. فجنب قواته فى جميع تحركاته تعرضها لأى عدائيات مفاجئة من جانب قوات الفرس أو قبائل العرب الموالية لهم .

تاسعاً : الاختيار الجيد لتشكيل المعركة والتكتيك المناسب :

كان خالد مدركاً لأهمية عناصر الإستطلاع ودورها فى المعركة، فدفع أمامه عيوناً وكشافين لتجميع المعلومات عن العدو ، ومن هذه المعلومات استطاع أن يضع خططه المناسبة لكل معركة ، وأن يؤمن قواته من أى أعمال عدائية . كما كان يستخدم تشكيل القتال والتكتيك المناسب لكل معركة ، فاستخدم تشكيل الأجنحة فى معظم معاركه ، الذى يعتمد على ميمنة وميسرة وقلب وساقة لتأمين المؤخرة من أعمال الالتفاف والتطويق من جانب العدو.

ثم شكل قواته فى نسق واحتياطى ، كما فعل فى معركة الحصيد والخنافس ، ونظم قواته فى ثلاث مجموعات قتالية ، عندما قرر الهجوم الليلى فى معركة المُصيخ والثنى والزميل . واستخدم فى تكتيكاته الهجومية ما يلائم كل معركة ، ولم يتبع اسلوباً واحداً ، فاختار اسلوب التطويق فى معارك الولجة والمُصيخ وفى الثنى والزميل ، واسلوب الحصار فى الحيرة وفى الأنبار ودومة الجندل ، واسلوب العمليات الخاصة فى معركة عين التمر حين خطف قائدهم عقة .

***

خالد يترك العراق

أرسل أبوبكرالصديق أمراً لخالد بن الوليد بترك العراق بعد كل انتصاراته ، والتوجه إلى الشام ومعه نصف جيشه للإنضمام إلى الجيوش المسلمة لحرب الامبراطورية الرومانية ، ليكمل جهاده الذى بدأه فى قتال الامبراطورية الفارسية حيث كان الموقف بالشام متأزماً وفى غير صالح المسلمين ، وقال له : " سر حتى تلقى جموع المسلمين باليرموك[1] فإنهم قد شجوا وأشجوا ، وإياك أن تعود إلى مثل ما فعلت ، فأنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك ، ولن ينزع الشجا من الناس نزعك ، فليهنك ابا سليمان النية والخطوة ، فأتمم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخســر وتخذل ، وإياك أن تدل بعمل فإن الله له المن ولى الجزاء " .

كما كتب إلى عبيدة بن الجراح فى الشام يخطره بقدوم خالد إليه ، ويقول له فى كتابه : " سلام الله عليك . أما بعد ... فقد وليت خالدا قتال العدو فى الشام ، فلا تخالفه واسمع له وأطع ، فإنى لم أبعثه عليك ألا تكون عندى خيراً منه ، ولكننى ظننت أن له فطنة فى الحرب ليست لك. أراد الله بنا وبك خيراً والسلام" .

وأرسل خالد إلى أبى عبيدة رسولاً يبلغه قبل وصوله ، بما جاءه من أمر الخليفة ويقول له : " أتانى كتاب خليفة الله يأمرنى بالسير إلى الشام ، وبالقيام على جندها وبالتولى لأمرها . والله ما طلبت ذلك قط ولا اردته إذ وليته ، فأنت على حالك الذى كنت عليه لا نعصيك ولا نخالفك ، ولا نقطع دونك أمرا ... فأنت سيد المسلمين لاننكر فضلك ولا نستغنى عن رأيك " .

---

(١) اليرموك : يقع على مسافة حوالى ٦٥ كم جنوب غرب مرتفعات الجولان ، وهو واد به نهر ينبع من مرتفعات حوران ويصب فى الأردن جنوبى بحيرة طبرية ، وفى طرفه الشمالى فتحة على شكل نصف دائرة تحيط بسهل متسع ، وضفاف هذا النهر وعرة منحدرة ، وعند مضيق هذه الفتحة عنق يكون مدخل هذه الأرض المنبسطة التى فى الداخل ، وهذه البقعة تسمى الياقوصة (معجم البلدان ج٨ ص٥٠٥) .

وجاء كتاب الخليفة لخالد بعد وقعة الحج مباشرة ، فربط من يظنون السوء بخالد بين هذه الوقعة وتركه العراق ، لانهما متتاليتين فى الأحداث ، فكأنما نقله الخليفة من قتال الفرس إلى قتال الروم ، كجزاء على حجه وتركه لجيشه ، وقد ظن أخرون بأن عمر بن الخطاب وراء ذلك ، حيث استكثر على خالد انتصاراته بالعراق وإنفراده بفتح فارس ، فأوعز للخــليفة عزله على فعلته واعتبرها غروراً واستهتاراً ، وهو الذى سبق وطلب من الخليفة عزله ، فى وقعة مقتل مالك بن نويرة وزواج خالد من زوجته أثناء حروب الردة ، وقيل أن الخليفة أمام هذا الإلحاح من عمــر ، اراد أن يُبعده عن الإنفراد بالســلطة والمكانة فأرسله إلى الشام .

ومن يعرف فكر ورجاحة عقل الخليفة أبوبكرالصديق رضى الله عنه ، منذ أن تولى الخلافة فقاد المسيرة بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ ، وخاض حروب الردة واتجه لحرب الدولة الفارسية والرومانية ، لا نتخيل أن يضحى بخالد بعد انتصاراته فى حروب المرتدين ، ويبعده عن إستكمال فتوحاته فى العراق ، من أجل توقيع جزاء عليه ، ونقله إلى ميدان آخر له فيه شركاء اجلاء . إنما تم نقله لمناصرة جيوش المسلمين هناك ، فهم فى حاجة إلى دور خالد المؤثرالذى لعبه فى العراق ومن قبله فى بزاخة وعقرباء .

ويتضح ذلك من كتاب الخليفة له ، كما يتأكد أيضاً من كتابه إلى أبى عبيدة ، فخالد مرسل لتولى قتال العدو وعلى أبى عبيدة السمع والطاعة . وبالنظر إلى الموقف فى العراق نجد أنه أصبح أكثر هدوءاً واستقراراً فلا حاجة لإستمرار خالد هناك ، والوضع بالشام يستدعى وجوده اكثر فى حرب الروم ، فاختاره الخليفة لتلك المهمة الصعبة وهو الذى قدره فقال : " **لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد** " .

*****

معارك سيف الله فى الشام

بعد ستة أشهر من انتصارات خالد بن الوليد بالعراق[1] ، أدرك الخليفة أن الوقت قد حان لاستغلال تلك النجاحات لنشر راية الإسلام بالشام[2] ، فالظروف مهيئة لفتح جديد . فالدولة الإسلامية الناهضة مليئة بالقادة القادرين على حمل الأمانة ونشر الرسالة ، والمجاهدين على أتم استعداد للجهاد فى سبيل الله ، يملأهم الإيمان بنصر الله ، والثقة الكاملة فى خليفة المؤمنين ، فما الذى يمنع فتح جبهة جديدة بالشام ، خاصة أن ظروف الامبراطورية الرومانية ليست أفضل حالاً من الفارسية .

الأوضاع فى الامبراطورية البيزنطية :

الامبراطورية البيزنطية ، هى الجزء الشرقى من الامبراطورية الرومانية القديمة ، ويطلق عليها أيضاً الامبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها بيزنطة (القسطنطينية) ، وكان العرب يطلقون عليهم الروم ، وكانت امبراطورية الروم إحدى القوتين العظمتين اللتين تسيدا العالم فى ذلك الوقت ، فضمت آسيا الصغرى (تركيا حالياً) والأقطار الواقعة حول حوض بحر القلزم (البحر المتوسط) الشرقى والجنوبى .

ونظام الحكم فى الامبراطورية كان ملكياً ، ولكن نظراً لتعدد أجناس الامبراطورية من البربر والقبط والعرب والروم ، لم يكن هناك تجانس فى الامبراطورية ، وانقسم المجتمع إلى طبقتين ، طبقة الأحرار وهم السادة وكانوا أقلية ، وطبقة العبيد من العمال والمزارعين وكانوا أغلبية ، ورغم ذلك لم يملكوا

---

[1] استولى فيها خالد على كاظمة والمذار والولجة وأُليس وأمغيشيا والحيرة والأنبار وعين التمر ودومة الجندل . [2] الشام : هى المنطقة الممتدة شرق البحر الابيض المتوسط وحتى شرق نهر الفرات وتمتد شمالاً حتى جنوب تركيا وتضم الأسكندرونه وأضنة وديار بكر ، وجنوباً حتى فلسطين وتضم ايضاً الأردن ولبنان .

شئ وارتبط مصيرهم فى أيدى سادتهم ، فانعدم ولائهم وقل حماسهم فى الدفاع والزود عن أرضهم ، فكيف للعبيد أن يكونوا جنوداً يدافعون عن أوطانهم .

كما فرضت الدولة ضرائب باهظة على كل سكانها ، وكان أكثرها على الفقراء دون الأغنياء ، ونتج عن ذلك حدوث كثير من الإضطرابات الداخلية بسبب الصراعات الطبقية . وبرغم أن دين الدولة هو المسيحية ، إلا أنه كان هناك خلافات دينية بين المذاهب المختلفة ، فزادت حدة الصراعات الداخلية . وبهذا لم يختلف الوضع الداخلى المضطرب فى الدولة البيزنطية عن الفارسية. وزاد على ذلك الحروب الخارجية المستمرة مع الدولة الفارسية من جهة الشرق وهجمات القبائل الهمجية والجرمانية من الغرب ، فكان المجال مهيئ لقبول التغيير ، مع ظهور دين جديد يضع حداً لهذه الحالة المتردية من الإضطهاد الداخلى والصراع الخارجى .

الطبيعة الجغرافية لمسرح العمليات :

أثرت طبيعة الأرض الجغرافية التى تتنوع بين السهول والجبال والصحراء ، على سير أعمال القتال فى مسرح عمليات الشام ، فنجد على امتداد الساحل الشرقى للبحر المتوسط سهل يمتد بمحاذاة الساحل مختلف الإتساع ، نظراً لوجود جبال لبنان الغربية التى تمتد من خليج الإسكندرونه شمالاً ، وحتى جبل الشراه وجبل طبيق جنوباً ، ويتخلله بعض الوديان ، ويعتبر هذا الساحل من طرق التقدم الرئيسية للقوات ، أما الوديان فهى منافذ ضيقة يمكن التحرك من خلالها بأعداد صغيرة .

ويوازى هذه الجبال من الشرق حوضاً ضيقاً ، يبدأ من سهل العمق شمالاً حتى سهل البقاع جنوباً ، ويتدرج فى الإنخفاض كلما إتجهنا جنوباً حتى البحـــر الميت فيصل إنخفاضه إلى ألف وثلاثمائة قدم تحت ســطح البحر، ويجرى فى هذا الحوض نهر العاصى شمالاً ونهر الأردن جنوباً ، ويعتبر هذا الحوض طريقاً رئيسياً للتحرك ، ويلى هذا الحوض جبال لبنان الشرقية التى تمتد من جنوب

حمص ، إلى هضبة حوران ومرتفعات الجولان حتى جبل سعير جنوب البحر الميت . وتمثل تلك الجبال مانعاً طبيعياً لحـــركة القوات يمكن تجنبها بالإلتفاف عليها . ثم يلي الجبال شرقاً صحراء السماوة التى يتخللها مجموعة من الجبال المتناثرة ، ولا تؤثر تلك الصحراء على التحركات ولكن تحتاج إلى تدبير المياه فالأبار قليلة ، ثم فى أقصى الشمال الشرقى يوجد نهر الفرات .

خطة فتح الشام قبل وصول خالد :

بمجرد أن أنهى خالد بن سعيد[1] قتال المرتدين بمشارف الشام ، حتى أمره الخليفة بالتوجه إلى تيماء شمال الحجاز ليعسكر بها ، كأول قائد يرسله الخليفة أبوبكر الصديق – رضى الله عنه – لفتح الشام فى منتصف شهر رجب من عام إثنى عشر هجرياً . وأراد الخليفة من إرســـاله تأمين المنطقة من أى اعتداءات ، ويكون مقدمة لجيوش المسلمين التى سيرسلها تباعاً لفتح الشام .

وبنفس الاسلوب الذى اتبعه الخليفة فى فتح العراق ، حين أرسل المثنى بن حارثة لقتال الفرس ثم أرسل خلفه جيشان منفصلان ، الأول بقيادة خالد بن الوليد والثانى بقيادة عياض بن غنم . صار على نفس الدرب فى فتح الشام فبعد أن أرسل خالد بن سعيد إلى تيماء ، دفع خلفه أربعة جيوش واختار لها أكفأ القادة ، وحدد لكل واحد طريقه والجهة التى سيقصدها والولاية التى سيتولاها .

فكان الجيش الأول بقيادة يزيد بن أبى سفيان، وتم دفعه فى ٢٣ رجب ١٢ هـــ وأمره بالتوجه إلى البلقاء وله ولاية دمشق . وواكب ذلك سقوط دومة الجندل فى يد خالد بن الوليد ، فى يوم ٢٤ رجب من نفس العام ، فضمن الخليفة تأمين تحرك جيوش المسلمين لفتح الشام من جهة الشرق ، وتوالى بعد ذلك دفع باقى الجيوش ، فكان الجيش الثانى بقيادة شرحبيل بن حسنة ، وأمره الخليفة بالتوجه إلى منطقة

---

(١) خالد بن سعيد : كان قائداً لإحدى اللواءات الإحدى عشر التى إرسلها الخليفة أبوبكر لقتال المرتدين .

بُصرى وله ولاية الأردن ، والجيش الثالث بقيادة عمرو بن العاص ، وأمره بأن يسلك طريق إيليا (ايلات) والتوجه إلى عَربَة وله ولاية فلسطين ، والجيش الرابع بقيادة أبى عبيدة بن الجــراح وأمره بالتوجه إلى جابية وله ولاية حمص ، وإن إجتمعت الجيوش فى قتال فالقيادة لأبى عبيدة .

وكانت قوة كل جيش فى حدود ستة إلى سبعة آلاف مقاتل ، بإجمــالى أربعة وعشرين ألف مقاتل ، ونجحت جيوش المسلمين الأربعة فى بادئ الأمر وتوغلت فى جنوب الشام ، ووصلت إلى الأماكن التى حددها الخليفة لها ، وهنا أدرك الروم خطورتها وخاصة بعد أن سمعوا عن انتصارات جيوش المسلمين فى العراق على يد خالد بن الوليد ، فأضطر "هرقل" [(١)] امبراطور الدولة البيزنطية ، إلى حشد قوات كبيرة أضعاف كل جيش ، وبدأت فى مهاجمة جيوش المسلمين منفردة بالتعاون مع قبائل العرب النصارى من الغساسنة .

وشعر القادة المسلمون بخطورة الموقف فطلبوا من الخليفة مدداً ، فأرسل إليهم عِكرمة بن أبى جهل ومعه بعض من رجاله فى حدود ألف أوألفين ، كان الخليفة قد إستبقاهم كاحتياطى لديه ، ثم انضم إليهم جيش خــالد بن سعيد فى جابيه . إلا إنهم بعد أن وصلوا الشام لم يغيروا فى الأمــر شئ ، واســتمر الموقف على ما هو عليه هجوماً من الروم ودفاعاً من المسلمين ، ولم تحقق الجيوش الإسلامية ، خلال خمسة أشــهر أمضتها فى الشام ، سوى انتصار لجيش يزيد بن أبى سفيان ، على قوة صغيرة من الروم بقيادة سرجيوس ، على يد أبا أمامة الباهلى فى موقعة عَربة وداثنة . ثم هزيمة لجيش خالد بن سعيد فى مرج الصفر فى يوم ٤ محرم ١٣هــ .

ورأى القادة المسلمون الأربعة التريث وعدم الإندفاع فى القتال ، وكاتبوا الخليفة وعمرو بن العاص فيما يفعلون ، فأرســل إليهم عمرو – بعد أن لاحظ حشوداً كبيرة أمامه – إن الرأى فى الإجتماع ، أى توحيد الجيوش فى جيش واحد

---

(١) هرقل : يكتب فى المراجع الغربية (HERACLIUS) .

فإذا اجتمعنا لن نُغلب من قلة ، وإذا تفرقنا كانت هزيمتنا . وكتب لهم أبوبكر: " إن اجتمعوا فكّونوا عسكراً واحداً ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فإنكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره " . وهذا يعنى موافقة الخليفة على تجميع الجيوش عندما يرى الأمراء ذلك ضرورياً.

شعر الخليفة أبوبكر بتأزم الموقف فى الشام ، وفى نفس الوقت كانت تأتيه أنباء انتصارات من العراق ، فأراد أن يُحرك الموقف فى الشام ، بعد توقف هجوم الجيوش الإسلامية وهزيمة جيش خالد بن سعيد ، ويثبته فى العراق على الانتصارات التى حققها خالد بن الوليد ، وأن يستعين به ويدفعه إلى ميدان قتال الروم ، فقد كان الخليفة يثق فى قدرات خالد العسكرية ثقة كبيرة ، وأطلق كلمته الشهيرة : " والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد " ، وأرسل يطلب من خالد بن الوليد القدوم إلى الشام ويأخذ معه نصف قواته التى كانت بالعراق ، كما كتب إلى عبيدة بن الجراح فى الشام يخطره بقدوم خالد إليه .

وعندما نحلل الموقف العام فى مسرح عمليات جيوش المسلمين – فى بداية عام ثلاثة عشر هجرياً – نجده متفاوتاً بين النجاح والإخفاق ، فالجبهة الشرقية بالعراق ناجحة ويقودها أمير كفء ، لم يهزم فى معركة ويقود جيوش المسلمين من نصر إلى نصر، واستولى على معظم جنوب العراق . أما الجبهة الغربية بالشام فلم تحقق خلال خمسة أشهر انتصارات كبيرة ، ويخشى تطور الموقف للأسوأ ، ولا توجد قوات أخرى بالمدينة يمكن الدفع بها إلى جبهة الشام لتدعيمها . وهنا لم يكن أمام الخليفة إلا أن يُثبت الأوضاع فى جبهة العراق على ماهى عليه ، وأن يرسل خالد بن الوليد ومعه نصف جيشه إلى جبهة الشام ، لقيادة جيش المسلمين وتغيير الموقف هناك ، فكان قراراً ناجحاً سجله التاريخ لخليفة المسلمين .

***

معارك سيف الله فى الطريق إلى الشام

(صفر ١٣ هـ)

خرج خالد بن الوليد من الحيرة بالعراق فى الثامن من شهر صفر عام ثلاثة عشر هجرياً الموافق أربعة عشر من أبريل عام ستمائة وأربعة وثلاثين ميلادياً ، ومعه تسعة آلاف مقاتل هم نصف قواته كما أمر الخليفة وترك للمثنى بن حارثة النصف الآخر ، فسار بهم فى صحراء السماوة قاصداً الشام فى واحدة من أجرأ المغامرات الصحراوية ، وكان أمامه السير فى الطريق العادى ، الذى يسلكه أى مسافر للشام من الحيرة ، فيتوجه إلى دومة الجندل ومنها إلى الكرك غرباً ، ثم يتجه شمالاً إلى بُصرى ومنها إلى جابية حتى دمشق .

وهذا الطريق الطويل يعيبه شيئين رئيسيين ، الأول صعوبة التأمين اللوجستى (الادارى) لجيش قوامه تسعة آلاف مقاتل ، فمن أين الماء والطعام لجنوده وخيوله وإبله ، وكما قال نابليون بونابرت: " الجيوش تزحف على بطونها " ، والشئ الثانى سهولة إكتشافه من جانب العدو واحتمال تعرضه لعدائيات تحول دون تقدمه ، فالروم كانوا يتوقعون وصول امدادات جيوش المسلمين من اتجاه الجنوب .

فاختار خالد بن الوليد أن يسلك طريقاً أقصر، رغم أنه أصعب ، ليصل بسرعة إلى جيوش المسلمين بالقرب من دمشق ، فسلك طريقاً وعراً غير مطروقاً ، يخاف أن يسير فيه الراكب وحده ، ففيه مفازة[1] مهلكة يصعب إجتيازها لعدم توفرالماء بها ، وكما قال له دليله " رافع بن عميرة الطائى" أنه طريقاً مخيفاً ، لا يسلكه إلا مغروراً فى خمسة ليال بالإبل فلا ماء ولا كلأ .

ولكن خالد بن الوليد كان يدرك رغم تلك الصعوبات مزايا هذا الطريق ، فهو أقصر وغير متوقع من جانب الروم ، ويوجد عليه حصون ومدن صغيرة

---

(١) مفازة : صحراء قاحلة .

يمكن استغلالها فى تأمين الجيش ادارياً ، وسيكون بنهايته على مدخل دمشق من جهة الشرق .

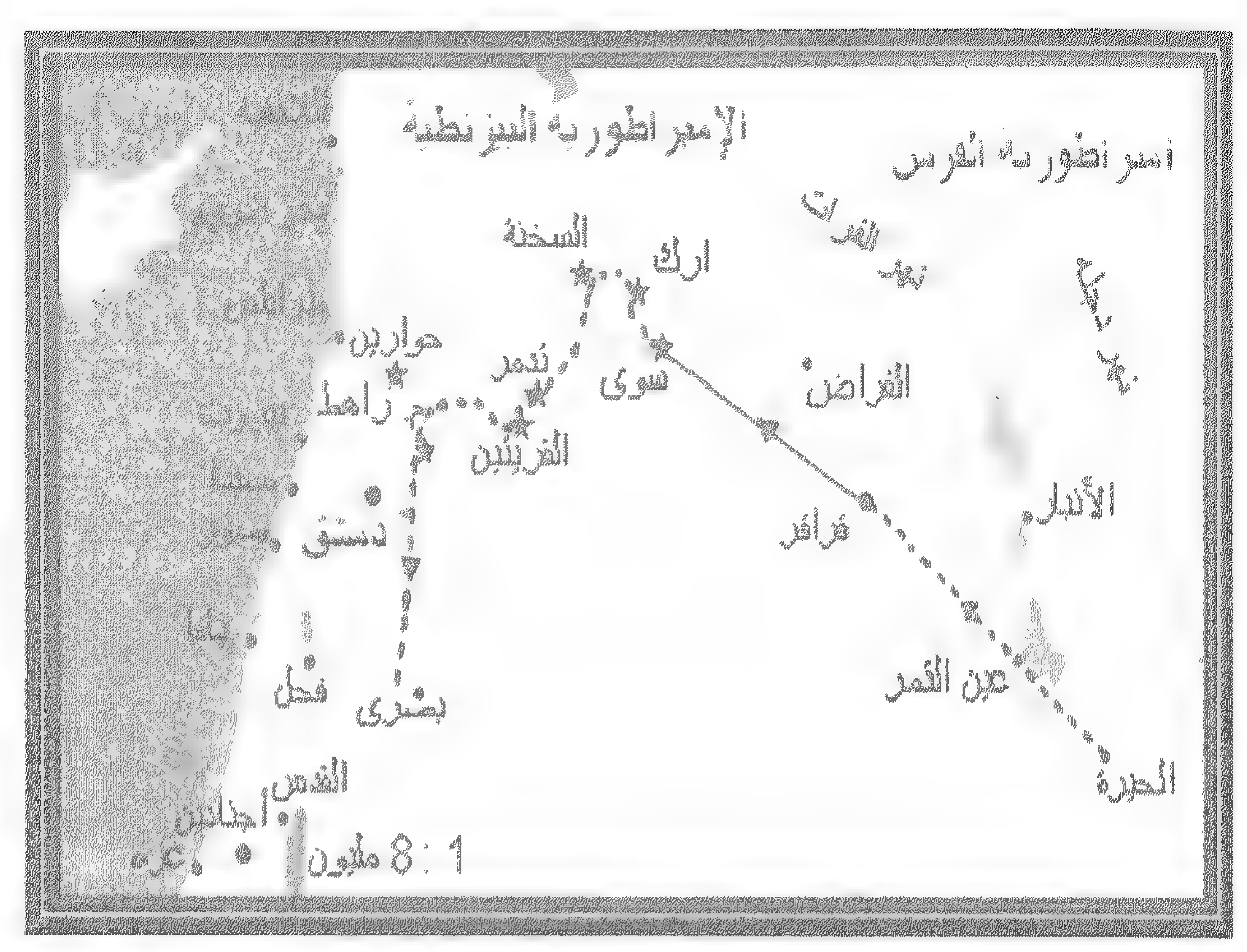
وقبل أن يتحرك خالد عمل على تدبير احتياجات جيشه ، وأمر جنده بحمل كل ما يستطيعون من ماء ، بالإضافة إلى اللجوء إلى تخزين المياه فى كروش ثلاثين من الإبل الظمأة ، التى شربت حتى أمتلات عن أخرها ، فحزموا أفواهها وتحولت إلى خزانات مياه متحركه . وفى كل مكان نزلوا به فى المفازة ، شقوا بطون عشرة من الإبل ، فسقوا الخيل واكلوا لحومها وارتوى الجنود مما حملوا ، وساروا ليلتين بدون مياه ، وشق على المسلمين السير وأحسوا بالهلاك ، فما كان من رافع إلا أن أقبل على شجرة من الأرك ، على جانب الطريق فى أرض منبسطه ، فقال أحفروا هنا فحفر المسلمون ، فإنفجر الماء فشربوا وسقوا إبلهم وخيولهم وأكملوا السير حتى نهاية المفازة .

واستطاع خالد رغم صعوبة الطريق أن يصل سوى[١] ، فهاجم أهلها قبيل الصباح ، وهم لا يظنون أن أحد سوف يأتيهم من تلك المفازة المهلكة وفى مثل هذا الوقت[٢] ، ثم توجه إلى حصن أرك وهو المخرج من العراق إلى الشام ففتحه ، ثم تابع سيره إلى السخنة وفتحها ، ومضى إلى تدمر وقد تحصن أهلها فقاتلهم وفتحها ، ثم أكمل طريقه إلى القريتين وحوارين ففتحهما بعد أن قاتل أهلها وهزمهم ، وواصل تقدمه حتى مرج راهط وهى مدينة كبيرة ، فأغارعليها وهزم قوات الغساسنة حتى صالحوه ، ثم أتى قُصم فصالحه أهلها دون قتال ، وسار حتى عبر مضيق جبلى فنشر راية سوداء كانت لرسول الله ﷺ فسميت ثنية العقاب . وقيل أنه وصل باب دمشق الشرقى فقابل اسقفاً ، أقام لخالد النزل

---

(١) سوى: مدينة صغيرة على نهاية المفازة من قراقر .(٢) قال أحد رجال خالد فى تلك المفازة:
لله عينا رافع إن إهتدى .. فوز من قراقر إلى سوى .. خمساً إذا ماسارها الجيش بكى ..
ماسارها قبلك من أنس ارى . (فوز تعنى صحراء) .

فأعطاه الأمان ، وهذا سبب عدم مهاجمته دمشق وتوجهه إلى بُصرى[1] عاصمة دولة الغساسنة .



معارك خالد فى الطريق إلى الشام خريطة رقم (٥)

---

(٣) بُصرى : مدينة كبيرة تقع جنوب دمشق بحوالى ١٠٠ كم .

معارك خالد فى الطريق إلى الشام

م	اسم المعركة	خط السير	مسافة التحرك	ملاحظات
١	سوى	الحيرة – عين التمر– قراقر – سوى	٣٨٠ كم	قرية صغيرة (المسافة ٢٠٠ كم من قراقر إلى سوى)
٢	ارك	سوى – ارك	١٠٠ كم	حصن تم فتحه
٣	السخنة	ارك – السخنة	١٠ كم	قرية صغيرة
٤	تدمر	السخنة – تدمر	١٢ كم	حصن تم فتحه
٥	القريتين	تدمر – القريتين	٨٠ كم	قرية صغيرة
٦	حوران	القريتين – حوران	١٠ كم	قرية صغيرة
٧	مرج راهط	حوران – مرج راهط	٨٠ كم	مدينة كبيرة

٦٧٢ كم جدول رقم (٤)

تحليل معارك الطريق :

من تحليل خط سير خالد فى طريقه للشام ، نجده سار بجيشه فى الثامن من صفر مخترقاً هذا الطريق الوعر ومسافته حوالى سبعمائة كيلومتر ، وبدأه من الحيرة إلى عين التمر حتى قراقر، ومنها مضى فى صحراء قاحلة مسير خمسة ليال ، لمسافة مائتين كيلو متر حتى سوى ، قطع فيها أربعين كيلو متر فى اليوم الواحد ، وهذا جهد خارق لجيش قوامه تسعة آلاف مقاتل يستخدم الخيل والإبل فى التحرك ، وفى ظروف مناخية صعبة .

وبعد أن شرب جنوده من البئر الذى حفروه واستراح جيشه ، هاجم حصون ومدن صغيرة فى الطريق ، فقتل وغنم وسبى وفرض عليهم الجزية وهذا كسباً

للمسلمين ، ثم وصل بُصرى فقاتلهم وحاصرهم فى حصونهم حتى استسلموا ورضوا بالجزية .

وبهذا استطاع خالد فى حوالى شهر ونصف ، أن يقطع مسافة فى حدود سبعمائة كيلومتر، بدلاً من السير حوالى ألف كيلو متر فى الطريق العادى ، ويؤمن قواته إدارياً معتمداً على نفسه ، ويفتح مدينتين كبيرتين وحصنين وأربعة قرى صغيرة ، وينشر راية الإسلام بهم ، وهذا هو البطل الفاتح خالد بن الوليد ، فكان اختياراً موفقاً من خليفة المسلمين .

وعلى الرغم من أن فكرة تخزين المياه فى كروش الإبل ، قد وردت فى العديد من المراجع وذكرها معظم المؤرخين ، فالشك فى صحتها قائم ، فهل هى اسطورة إرتبطت بخالد أم حقيقية ؟! . وهل يكفى ماء بكروش عشرين أو ثلاثين من الإبل لسقى خيول وإبل جيش قوامه تسعة آلاف ؟ أغلب الظن أن خالد بعبقريته العسكرية وفطرته الصحراوية ، قد دبر أمره ووفر إحتياجه من الماء قبل أن يخوض فى تلك المفازة المهلكة ، فهو القائد الذى تتسم قراراته بروح المغامرة المحسوبة ، فكان مجازفاً ولكنه مقدراً لم سيواجهه .

وما حققه خالد من استخدام طريق اقتراب غير متوقع ، ثم مهاجمة العدو وتدميره على أجزاء باسلوب العمليات المتتالية ، ثم وصوله إلى وضع ملائم يهيئ ظروفاً مناسبة لإنتصارات قادمة ، هى نفس مبادئ استراتيجية الاقتراب الغير مباشر لليدل هارت ، والتى ترتكز على مبدأ اختيار الاتجاه الأقل توقعاً من جانب العدو ، والذى يؤدى إلى اهداف متتالية ، وبالتالى يمكن إلحاق الهزيمة بالعدو . ورغم ذلك التطابق فيما ذكره ليدل هارت مع ما نفذه خالد ، إلا أنه لم يذكره فى كتابه ، فهل الدافع التجاهل أم الجهل ؟

الدروس المستفادة من معارك الطريق إلى الشام :

أولاً : إختيار طريق التحرك الذى يحقق سرعة وصول القوات إلى أهدافها مهما كانت الصعوبات :

كان على خالد أن يختار بين طريقين ، الطريق الطويل السهل العادى والذى يتوقعه العدو، والطريق الأقصر الصعب ، الذى به صحراء مهلكة ولا يتوقعه أحد ، فاختار الصعب الذى لا تتوقعه قوات الروم أو الغساسنه ، وفى نهايته وصل إلى شـــرق دمشق وهاجم مدينة بُصرى وفتحها المسلمون كأول مدينة فى الشام . وأصبح هذا الطريق معروفاً فيما بعد واستخدمته القوات العربية كثيراً .

ثانياً : ضرورة توفير التأمين الإدارى للقوات أثناء التحرك لمسافات طويلة :

عبر خالد الصحراء من العراق إلى الشام فى طريق وعر ، واجتاز المفازة المهلكة التى ليس بها ماء فى خمسة ليال ، وقد دبر الماء فى اسلوب مبتكر فى هذا الزمان ، وهو تخزينه فى جوف الإبل ، بعد أن سقاهم وهم عطشى ثم ربط أفواههم ، وذبحهم فى الوقفات والراحات أثناء خوض المفازة .

وبالقطع فإن خالد بجانب ذلك قد دبر ماءاً إحتياطياً ، لإنه لايمكن الإعتماد على ما فى جوف الإبل فقط و ما يحمله جنوده من ماء ، وبهذا نجح فى عبور المفازة المهلكة ، أما باقى الطريق وحتى شرق دمشق ، فقد اعتمد فيه على المدن الصغيرة ، فقاتلها وغنم منها وبذلك أمن قواته إدارياً ونجح فى سرعة الوصول إلى المسلمين بالشام .

معركة بُصرى

(٢٥ ربيع أول ١٣ هـ /٣٠ مايو ٦٣٤ م)

سار خالد إلى بُصرى ، فوجد أمامه على أطراف المدينة شرحبيل بن حسنة ، ومعه أربعة آلاف فارس فى قتال مع جيش مختلط من الروم والعرب الغساسنة ، وكادوا أن يفتكوا بجيش شرحبيل ، لولا ظهورخالد - فى تلك اللحظات الحرجة - بجيشه واعلامه الإسلامية ترفرف عالياً ، فانضم إلى جيش شرحبيل ، وأصبح الجيشان تحت قيادة خالد ، وقاتلا معاً فدحرا جيش الروم والغساسنة إلى داخل بُصرى ، وحاصروهم فى حصونهم ، ففر جند الروم من بُصرى وتركوا أهلها ، وفى النهاية استسلموا وتصالحوا على الجزية ، فكانت أول مدينة بالشام تُفتح صلحاً على يد خالد وجند العراق . وأرسل للخليفة أنباء انتصاره ، وتحركه إلى دمشق ، وكأنه يقول وصلت الشام ، ستسمع من الآن أنباء فتوح وانتصارات . ثم كتب إلى أبى عبيدة الجراح " أمين الأمة " يبشره بالفتح ، ويقول له .. ياصاحب رسول الله قد إرتحلنا إلى دمشق فالحقنا إليها .

***

معارك حول أسوار دمشق

عندما علم أبوعبيدة بن الجراح بفتح بُصرى على يد خالد ، توجه إلى دمشق، وحول أسوارها إلتقى جيشا خالد وأبوعبيدة فى قتال خارج المدينة ، مع جيش كلاوس أحد فرسان الروم المعروفين بشجاعتهم واقدامهم ، وكان هرقل قد أرسله على رأس جيش قوامه خمسة آلاف فارس ، لمنع جيش المسلمين من الاستيلاء على دمشق . إلا أن خالد استطاع أن يهزم جيشه ويوقعه فى الأسر ، فى أول معركة له حول أسوار دمشق .

وحاول بعدها أهل دمشق ومعهم عزازيز قائد الحامية الرومانية ، إيقاف خالد ومنعه من استكمال زحفه إلى دمشق ، إلا أن خالد وجيش المسلمين قاتلوهم قتالاً شديداً فى معركة أخرى ، واستطاع خالد أن يأسر- أيضاً – عزازيز قائدهم . وأحس أهل دمشق وجند الحامية بأن الهزيمة أتية لا محال ، فولوا الأدبار ودخلوا حصونهم وأغلقوا الأبواب عليهم ، ومن ورائهم جيش المسلمين يطاردهم ، فقتل وأسر الكثير منهم .

اتفقا الأميرين ، على أن يهاجم خالد بجيشه باب دمشق الشرقى ، وأبى عبيدة يهاجم باب الجابية . وعندما بدأ هجوم المسلمين ، دافع أهل دمشق وجند الروم دفاعاً مستميتاً ، وقام خالد بعرض كلاوس وعزازيز مقيدين بالسلاسل على أهل دمشق أمام الحصن ، وطلب منهم التسليم فرفضوا فضرب خالد أعناقهما ، وفرض المسلمون حصاراً استمر حوالى ثلاثة أسابيع . فما كان من أهلها إلا أن أرسلوا إلى هرقل يطلبوا النجدة .

أدرك الامبراطور البيزنطى خطورة الموقف ، بعد هزيمة كلاوس قائد جيشه لنجدة دمشق ، وعزازيز قائد حاميتها وفرض المسلمين حصاراً عليها ، وأيقن ضرورة مواجهة جيش المسلمين وهزيمتهم ، وإلا بات مستقبل الشام فى خطر، ووجد أن هناك تجمعان كبيران للمسلمين يجب القضاء عليهما ، فالأول يحاصر

دمشق ويحاول فتحها ، والأخر بعَربَة بفلسطين جنوباً والنية أن يتجه شمالاً ، فقرر أن يرسل" بوردان" والى حمص ، خلال سهل البقاع إلى أجنادين[1] على رأس إثنى عشر ألف مقاتل ، ويكون هذا الجيش البيزنطى مقدمة لجيش أكبر بقوة تسعين ألف ، سيرسله تباعاً تحت قيادة " تيودورس" شقيق هرقل ، وبذلك يمكن مساعدة الغساسنة لإستعادة بُصرى ، وفك حصار دمشق وتصفية جيش المسلمين فى عَربَة.

وبالفعل بدأ وردان فى التحرك على رأس جيشه خلال سهل البقاع ، ولما علم خالد بن الوليد بتحركات جيش الروم ، أرسل ضرار بن الأزور على رأس جيش قوامه خمسة آلاف فارس ، فى إتجاه زحلة ليستكتشف أمر هذه التحركات ، فرأى جيش الروم ينحدر كالجراد المنتشر، وأخذته الحمية والحماسة فاشتبك ضرار مع جيش الروم ، فى منطقة بالقرب من لهيا ، وكان للكثرة العددية دورها فهاجمه الروم من كل مكان ، ونجحوا فى اصابة ضرار واخذه أسيراً .

ولما وصل الخبر لخالد أندفع على رأس ألف من فرسانه ، وهاجموا مجموعة من جيش الروم ونجحوا فى صدها وإجبارها على الارتداد ، وقد شاركت خولة بنت الأزور أخت ضرار فى القتال مع الفرسان ، وهى ملثمة ولم يكتشفها أحد ، وظنوا أنها من فرسان المسلمين ، فقد أبلت بلاءاً حسناً فى بطولة نسائية لإنقاذ أخيها من الأسر.

وبعد المعركة أرسل خالد مائة فارس بقيادة رافع بن عميرة ، كمنوا للروم ونجحوا فى مهاجمة عناصر مؤخرتهم ، وأطلقوا سراح ضرار والعودة به سالماً . ورجع خالد وجيشه إلى دمشق فرحين بالنصر وإطلاق سراح ضرار من الأسر ،

---

(1) أجنادين : ليست قرية أو مدينة وإنما منطقة إلتقاء طرق بين عمواس شمالاً وبيت جبرين جنوباً والقدس وبيت لحم والخليل شرقاً ويافا وأشدود وغزة غرباً وهى غير مدونة على الخرائط القديمة .

إلا أن خالد لاحظ أثناء العودة تحركات كثيرة للروم فى اتجاه الجنوب ، ولا تتجه إلى دمشق . ثم وصل رسول من شرحبيل يخطرهم بحشد كبير للروم بأجنادين يقدر بحوالى تسعين ألف من الروم ، فكان على خالد مراجعة الموقف .

تدارس خالد مع أبوعبيدة بن الجراح ماذا يفعلون ؟ واتفقا على أن يرحلا بجيشهما لقتال الروم بأجنادين ، فإذا نصرهم الله يعودا لفتح دمشق ، وأن يرسل خـــالد كتاباً إلى أمراء جيوش المسلمين ، يطلب منهم التوجه إلى أجنادين لملاقاة جيش الروم مجتمعين ، فكتب خالد كتاباً يقول فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم .. أما بعد فإن إخوانكم المسلمين قد عولوا على المسير إلى أجنادين ، فإن هناك تسعين ألفاً من الروم يريدون المســـير إلينا " **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**[1] " إذا وصل إليك كتابى هذا فاقدم علينا بمن معك إلى أجنادين تجدنا هناك إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته[2] .

***

---

(١) سورة الصف أية ٨ . (٢) الواقدى .. فتوح الشام ج١ ص٧٥ .

معركة أجنادين

(٢٧ جماد الأول ١٣ هـ / ٢٩ يوليه ٦٣٤ م)

تحرك خالد بن الوليد مع مقدمة جيش المسلمين ووجهته أجنادين ، وترك أبوعبيدة الجراح على الساقة فى ألف من المقاتلين ، فظن أهل دمشق أن المسلمين عائدون من حيث أتوا بعد أن يأسوا من حصارهم ، وخاصة أن هرقل يحشد جيشاً كبيراً لقتالهم ، فطمعوا فى مهاجمتهم وخرجوا من حصونهم فى أثرهم وهاجموا مؤخرة جيش المسلمين .

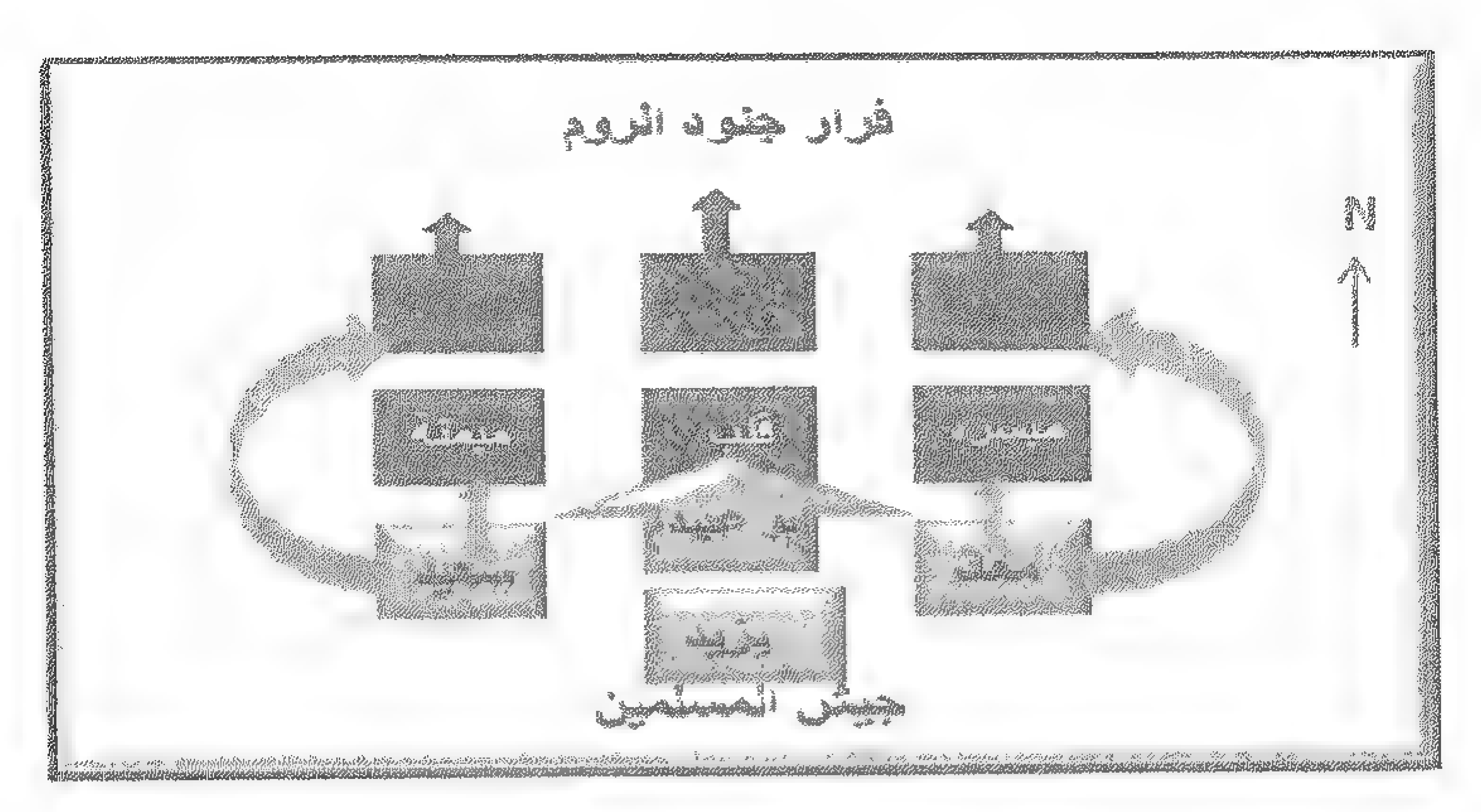
وعلم خالد بالموقف وهو بالمقدمة فعاد يسابق الريح ومعه ألفين من رجاله ، فأنقضوا عليهم وخلصوا المؤخرة منهم وأجبروهم على الفرار ، وطاردهم خالد حتى دخلوا حصونهم ثم عاد لجيش المسلمين ، ولم يخرج أحد خلفه من الدمشقيين ، ثم تابع جيش المسلمين سيره حتى وصل أجنادين .

وبدأت جيوش المسلمين بمجرد وصول كتاب خالد فى التجمع بأجنادين ، ووصل عددهم إلى حوالى ثلاثة وثلاثين ألف مقاتل ، مقابل أعداداً غفيرة من جيش الروم وصلت تسعين ألف وأكثر ، بعد انضمام نصارى العرب من الغساسنة . وكانت تلك المعركة أول مرة يجتمع فيها المسلمين بالشام فى معركة كبرى وتحت قيادة واحدة ، ويقود جيشهم القائد الصنديد خالد بن الوليد.

ونظم خالد جيش المسلمين فى ميمنة وميسرة وقلباً وساقة . وجعل معاذ بن جبل على الميمنة وسعيد بن عامر على الميسرة ، وأبوعبيدة على المشاة بالقلب ومعه على الفرسان سعيد بن زيد ، ويزيد بن أبى سفيان على الساقة .

وجعل نساء المسلمين فى المؤخرة ، حيث كان مع كثير من المجاهدين عائلتهم لطول فترات الجهاد ، وأوصاهن خالد وقال لهن : " إن حملت طائفة من الروم عليكن فقاتلن عن أنفسكن ، وإن رأيتن أحداً من المسلمين قد ولى هارباً فدونكن

وإياه بالأعمدة وارمين بولده وقلن له : أين تولى عن أهـــلك ومالك وولدك وحريمك ، فإنكن ترضين بذلك الله تعالى " .



معركة أجنادين ٢٧ جماد الأول ١٣ هـ   كروكى رقم (١٤)

وطاف خالد بن الوليد على صفوف المسلمين ، يحرضهم على القتال وينادى : " يامعشر المسلمين ، انصروا الله ينصركم ، قاتلوا فى سبيل الله ، واحتسبوا أنفسكم فى سبيل الله ، ولا تحملوا[1] حتى أمركم بالحملة ، ولتكن السهام إذا خرجت من أكباد القسى كأنها من قوس واحدة ، فإذا تلاصقت السهام رشقاً كالجراد لم يخل أن يكون منها سهم صائب ، وأصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، واعلموا أنكم لم تلقوا بعد هذا عدوا مثله . وأن هذه الفئة جملتهم وأبطالهم وملوكهم فجردوا السيوف وأوتروا القسى وفوقوا السهام " .

زحفا الجيشين وجها لوجه فى ساحة القتال بأجنادين ، جيش الروم ملء الأرض من كثرتهم وعددتهم ولكن كانوا عبيداً ، يحملون صلبانهم وأعلامهم ولكن لا ولاء لدولتهم . وجيش المسلمين يرفعون رايات الإسلام عالية ، ويهللون ويكبرون وهم أقل عـــدداً ولكنهم أحراراً ، وقال خـــالد لجـــنوده : " أعـــلموا أنهم

(ا) تحملوا : تهاجموا ، والحملة : تعنى الهجوم .

أضعافكم فطاولوهم إلى وقت العصر، فإنها ساعة نرزق فيها النصر ، وإياكـم أن تولوا الأدبار فيراكـم الله منهزمين . ازحفوا على بركة الله وأقدموا كإقدام الأسد وأنتم أحرار كرام " . وكان خالد على درب الرسول الكريم ﷺ وقت الجهاد ، فكان يجاهد من طلوع الشمس حتى قبيل الظهر أو بعد صلاة الظهر، ويقول تهب نسائم النصر فى هذه الأوقات .

ولم يبدأ خالد القتال وانتظر جيش الروم ، فقاموا تحت ستر سيل من السهام فى رمية واحدة ، بمهاجمة أجناب جيش المسلمين ، إلا أن الميمنة والميسرة دافعا دفاعاً مستميتاً وثبتا ولم يتراجعا ، وخالد فى مقدمة الصفوف يصد ويمنع الناس عن الهجوم ويراقب الميدان ، حتى خشى المسـلمون أن يظن الاعـداء بأنهم خائفون وطالبوه بالهجوم ، وعندما أحس خالد بضعف هجوم جيش الروم على الأجناب ، أعطى إشارة الهجوم العام وقاده بنفسه .

فاندفع الجنود معه كالطوفان على طول المواجهة ، وقاتلوا قتالاً شديداً لم يستطع معه جيش الروم الصمود ، فاخترق المسلمون صفوفهم واندفعت الميمنة والميسرة تهاجم بعد أن كانت تدافعا ، وتحت سترها التفت الأجنحة لتحاصر العدو من الأجناب ، فأدرك جيش الروم بأنهم مطوقون ففروا ولم يصمدوا ، وقتل المسلمون الآلاف منهم وفر من سيوفهم من استطاع النجاه ، واستشهد من المسلمين حوالى أربعمائة وخمسين ، وفى نهاية اليوم وقبل الغروب ، وصل خالد إلى خيمة قائدهم الذى جلس ينتظر الموت ، كربان سفينة غارقة وقال وهو يغطى وجهه بثوب : " ما رأيت يوماً أشد على من هذا " ، وكانت آخر كلماته فبعدها قتله المسلمون .

ثم أرسل خالد أنباء الانتصار ، وخمس الغنائم مع رسـول إلى خليفة المؤمنين ، وقال فى كتابه .. " أما بعد فإنى أخبرك أيها الصديق إنا إلتقينا نحن والمشركين ، وقد جمعوا جموعاً جمة كثيرة بأجنادين ، وقد رفعوا صلبانهم ونشروا

كتبهم وتقاسموا بالله أن لا يفرون حتى يفنون أو يخرجونا من بلادهم ، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله ، فطعناهم بالرماح ، ثم صرنا إلى السيوف ، فقرعناهم فى كل فج ، فأحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنيع لأوليائه .. ونحن راجعون إلى دمشق إن شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر"[1] وعندما قرأ الخليفة أبوبكر الرسالة سجد شكراً لله ، وقرأ الرسالة على المسلمين جهراً ، وشاع الخبر فى المدينة فتسابق المجاهدون للخروج إلى الشام فى سبيل الله .

تحليل المعركة :

عندما علم خالد بحشود الروم بأجنادين – وأغلب الظن أن جزءاً من هذا الجيش قد تم حشده بحراً عن طريق يافا – أدرك بعبقريته العسكرية أن الروم بهذا الحشد الكبير ، إنما يهدفون إلى توجيه ضربة قاسمة لجيوش المسلمين وتصفية الموقف فى الشام ، عن طريق قطع خط عودة المسلمين ، ومنع أى إتصال بين جيوش المسلمين فى الشمال والجنوب ، ثم إرسال جزءاً من هذا الجيش لمهاجمة المسلمين ببُصرى وإستعادتها ، واستغلال النجاح بالتقدم لفك حصار دمشق ، وبمعاونة أهلها يتم وضع جيش المسلمين بين فكى كماشة ، جيش الروم من الجنوب وأهل دمشق من الشمال ، وفى نفس الوقت يرسلوا جزء آخر من جيشهم ، لمهاجمة جيش عمرو بن العاص بفلسطين والقضاء عليه ، وبذلك يكونوا قد نجحوا فى القضاء على جيوش المسلمين فى وقت واحد .

وأدرك خالد بخبرته القتالية فى معاركه السابقة ضد المرتدين وفى فتوح العراق ، بالمخاطر التى ستواجه المسلمين لو لم يتحدوا ، وضرورة تجميع جيوش المسلمين بسرعة تحت قيادة موحدة ، حتى يتمكنوا من مواجهة جيش الروم ، ومنعه من تنفيذ مخططه للقضاء على جيوش المسلمين منفردة وهم فى قلة من العدد .

---

(١) الواقدى .. فتوح الشام ج١ ص ٩٧ .

وقد سلم الأمراء لقرار خالد بسرعة التجمع فى أجنادين ، إحساساً منهم بخطورة الموقف ، وإيماناً بقدرة خالد على مواجهة جيش الروم وقيادة المعركة. وكما كانت معركة ذات السلاسل معركة فاتحة فى الانتصارعلى الفرس ، كانت معركة أجنادين معركة فاتحة كسرت القوة العسكرية البيزنطية فى أول مواجهة ، ومهدت الطريق نحو فتح دمشق ومدن فلسطين .

الدرس المستفاد من معركة أجنادين :

أهمية تجميع الجيوش تحت قيادة موحدة لمواجهة التهديدات الخارجية :

كان أبرز درس من معركة أجنادين تشكيل قيادة موحدة ، فعندما أحس خالد بن الوليد بخطر التجميع القتالى لجيش الروم بأجنادين ، وتهديده لجيوش المسلمين الأربعة المنتشرة بالمنطقة ، أمرهم بالتجمع فى أجنادين كجيش واحــد ، فأرسى بذلك مبدأ تشكيل قيادة مــوحدة لمجموعة جيوش ، تواجة خطرعدو مشترك فى مسرح عمليات واحد . وهو بذلك قد سبق تفكير قادة الغرب العسكريين منذ أكثر من ألف ومائتين وثمانين عاماً ، حين أدركوا فى نوفمبر ١٩١٧ م خلال الحرب العالمية الاولى وبعد هلاك العديد من قواتهم ، ضرورة تجميع جيوش الحلفاء تحت قيادة موحدة بقيادة الجنرال الفرنسى " فوش " .

***

معارك تعطيل المسلمين

معركة الياقوصة :

(١٣ جماد الأخر١٣ هـ / ١٥ أغسطس ٦٣٤ م)

بعد معركة أجنادين ، علم توماس[ا] زوج إبنة هرقل وأمير المنطقة الوسطى بتحرك خالد وجيش المسلمين فى اتجاه دمشق ، فأرسل إلى هرقل يطلب الدعم اللازم ، وفى نفس الوقت قام بمحاولة تعطيل تقدم جيش المسلمين ، حتى تصل إليه الامدادات اللازمة ، فأمر بتجميع فلول الجيش البيزنطى من الأجنادين ، والتوجه إلى الياقوصة[٢] قرب بحيرة طبرية ، والإستعداد هناك لمعركة أخرى مع جيش المسلمين ، الغرض الرئيسى منها تعطيل تقدم جيش المسلمين نحو دمشق ، إلا أن جيش الشاردين البيزنطى هُزم أيضاً ، وفر جنوده من الميدان فى كل اتجاه بعد معركة لم تدم طويلاً ، عكس ما خطط له توماس .

***

معركة مرج الصُفر

(١٧ جماد الأخر١٣ هـ / ١٩ أغسطس ٦٣٤م)

وفى إطار إستكمال مخطط تعطيل تقدم جيش المسلمين ، كانت المعركة التالية فى مرج الصُفر جنوب دمشق ، حيث تجمع جيش يقدرعدده بحوالى عشرة آلاف مقاتل دفعهم توماس لإيقاف تقدم المسلمين . وبعد أن تأكد خالد بن الوليد من أنباء

(ا) توماس : الأسم المتداول فى المراجع العربية توما ، أما الأجنبية (THOMAS) .

(٢) الياقوصة : تقع شمال نهر اليرموك ، جنوب مدينة فيق وعلى مسافة حوالى ١٠٠ كم من دمشق ، وقد ذكر البلاذرى هذه المعركة ، وذكرها الطبرى وقال أنها كانت فى رجب(ج ٣٤٧/٢) كما ذكرت فى بعض المراجع الأجنبية بدون تفاصيل .

هذا الجيش ، تحرك على رأس جيش المسلمين إلى مرج الصُفر– نفس المكان الذى إنهزم فيه جيش المسلمين بقيادة خالد بن سعيد – ولم يمهل الروم فرصة لتجميع أنفسهم والهجوم على المسلمين .

وبنفس أسلوب معركة كاظمة ، حين هاجم خالد بن الوليد الفرس وهم مُجهدين وغير مُستعدين ، هاجم خالد الروم فى مرج الصُفر وهم يستعدون ويجهزون أنفسهم للقتال ، ففاجأهم بهجوم لم يتوقعوه وألحق الهزيمة بهم وأجبرهم على الفـــرار ، فمنهم من هرب إلى دمشق ومنهم من عاد إلى حمص . وبذلك محى خالد بن الوليد عار الهزيمة الوحيدة للمسلمين فى فتوح الشام ، وهزم الروم فى نفس مكان انتصارهم بمرج الصُفر.

***

حصار دمشق

وصل المسلمون إلى دمشق وكلهم إصرارعلى فتحها ، وأرسل خالد مجموعات من المقاتلين على الطرق المؤدية للمدينة ، لفرض حصار خارجى عليها ومنع وصول أى امدادات لها ، فدفع مجموعة من جنوده ترابط على الطريق بين دمشق وحمص من جهة الشمال ، ومجموعة أخرى جنوباً على الطريق المؤدى إلى فلسطين ، ومجموعات أخرى على طرق الإقتراب المختلفة إلى دمشق لإحكام حصارها والتعجيل بسقوطها . وكانت تلك المجموعات القتالية تشكل طوقاً خارجياً حول دمشق .

وفى نفس الوقت قام بعمل طوقاً أخر حول المدينة ، ووزع الأمراء حول أبواب دمشق ، حتى لايترك لهم منفذاً ، فكلف أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه بحصار بوابة الجابية ، ويزيد بن أبى سفيان وأصحابه على الباب الصغير، وشرحبيل بن حسنة وأصحابه على باب توماس ، وعمرو بن العاص وأصحابه

على باب الفراديس ، ثم وضع قيس بن حبيرة ومعه جنده على باب الفرج ، ونزل خالد وأصـــحابه على الباب الشرقى ، ثم أطلق ضرار بن الأوزرعلى رأس مجموعة من الفرسان تطوف حول أسوار المدينة .

معركة حصار دمشق :

استمر حصار دمشق لمدة ثلاثين يوماً – وقد ذكرت بعض المراجع فى مبالغة أن الحصار استمر أربعة أو ستة أشهر– وتخلله محاولات كثيرة من المسلمين لإجتياز أسوار المدينة ، وفى المقابل كانت هناك مقاومة كبيرة من أهلها ، ومحاولات لفك الحصار ، ومنها محاولة " توماس" صهر الامبراطور هرقل ، عندما خطط لخروج جنود الروم تحت قيادته ، ومعه هربيس قائد الحامية وبعض من أهل دمشق ، لمهاجمة المسلمين خارج اسوار المدينة فى ليلة قمرية ، وأرادوا مفاجأة المسلمين وهزيمتهم .

إلا أن المسلمين كانوا كالعادة مستعدين ، ودارت معركة أمام جميع الأبواب حتى الصباح ، ولم يفلح الهجوم واضطروا للفرار منكسرين خلف الأسوار، واستمر خالد ومعه المسلمين فى تضييق الحصارعليهم ، وكان لديه قناعة من خبراته القتالية السابقة فى حصار الحصون ، بأن المُحَاصر فى النهاية ستضعف همته من شدة الحصار ، وسيعلن إستسلامه وقبول شروط المسلمين ، أو تكون هناك ثغرة يمكن النفاذ منها ومهاجمتهم وفرض الشروط عليهم ، فالمسألة وقت لا أكثر .

***

معركة خالد فى فتح دمشق

(١٨ رجب ١٣هـ / ٢٠ سبتمبر ٦٣٤ م)

فى إحدى الليالى وأثناء حصار دمشق ، علم خالد من عيونه ورصاده المنتشرين حول الباب الشرقى ، إنه لاتوجد – مثل كل الأيام – أفراد حراسة كثيرة على الأسوار ، والسبب إنشغالهم بحفل مولود جديد لبَطريق دمشق " نسطاس بن نسطورس" ، فانتهز خالد الفرصة وتوجه ومعه القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى إلى جانب من السور، بعيداً عن عيون الحراس القليلة ، فرموا خطافاً به حبلاً إلى شرفة فى السور، فلما ثبت فيه طرف الحبل ، تسلق القعقاع ومذعور وثبتا الحبل جيداً ، وتوالى بعض الأفراد فى التسلق والصعود إلى السور، ثم نزلوا إلى الباب من الجهة الأخرى وهاجموا الحراس وقتلوهم ، وفتحوا الباب ثم كبروا فكانت إشارة ليتقدم جنود خالد من الباب الشرقى عنوة ، وقتلوا كل من صادفهم فى طريقهم .

ولما علم بَطريق المدينة باقتحام خالد للباب الشرقى ، وقبلها لم يفلح هجومهم على المسلمين خارج الأسوار ، أرسل رُسله على وجه السرعة ، للتفاوض مع الأمراء على باقى الأبواب ، واعلانه قبول الإستسلام على شروط المسلمين ، فقبل أبو عبيدة ذلك . وقيل أنه جرت مفاوضات التسليم قبل أن ينجح خالد ويفتح الباب الشرقى عنوة ، ولكنهم كانوا يماطلون على أمل وصول نجدة من الروم ، وعندما علموا بدخول خالد من الباب الشرقى أسرعوا بالتسليم .

وعموماً فُتح الباب ودخل الأمراء ومعهم أصحابهم صلحاً ، وعندما ساروا فى المدينة ، إلتقوا بخالد فى وسطها ومعه جنوده عند كنيسة المسقلاط وهو موضع النحاســين اليوم بالقرب من درب الريحان ، فأعلمه أبوعبيدة بإستسلام المدينة صلحاً ، وموافقة أمراء المسلمين على ذلك ، بعد أن ارتضى كبار رجال دمشق وتوماس شروط المسلمين .

وأبدى خالد فى البداية عدم الموافقة على الصلح ، حيث أنه فتح الباب الشـــرقى عنوة ، ويجب استكمال فتح المدينة بالقتال فيكون للمسلمين الغنائم والسبايا ، كما أن أبوعبيدة لم يخطره بالصـــلح وفرضه عليه وهو أمير الجيوش. ولحل هذا الموقف اجتمع الأمـــراء وأقنعوا خالد بالموافقة على الصلح ، لإنهم إن نقضوا صلح أبوعبيدة واســـتكملوا فتح المـــدينة بالقتال ، لن تستسلم أى مدينة بالشام لاحقاً .

وافق خالد على الصـــلح والأمان للكل عدا توماس وهربيس . ولكن أبوعبيدة قال لخالد : " إن هذين أول من دخل صلحى فلا تخفر ذمتى" [1] ، فاتفقا على خروجهما ومعهما أصحابهما وكل جند الروم ، ولكل واحـــد قطعة من السلاح ، إن أخذ فرد سيفاً لا يأخذ رمحاً ، ومدة الأمان ثلاثة أيام ، وإذا صاروا فى أرضهم بعدها ، خرجوا من ذمة المسلمين ، فوافق خالد وهو لايدرى بموت أبوبكر الصـــديق[2] وتولى عمر بن الخطاب الخلافة أميراً للمؤمنين ، وإنه أمر بعزله وتولية أبوعبيدة أميراً على جيوش المســـلمين .

فقد فضل أبوعبيدة إرجاء إخـــطار خالد بالعزل حتى لا يؤثر على معنوياته قبل فتح دمشق . وقال لخالد لاحقاً : " كرهت أن أكسرك وأوهن أمرك وأنت بأجزاء العدو " ، وهذا سبب قبوله الصـــلح دون أن يخطره فهو أمير الجيوش ، طبقاً لكتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ولحفظ مكانة خالد ودوره المؤثر فى فتوح الشام ، كتب أبوعبيدة وثيقة الصـــلح والأمان باسم خـــالد وشهد عليها ومعه عمرو بن العاص .

***

---

(١) لا تخفر ذمتى : لا تنقض عهدى . (٢) توفى أبوبكر الصديق فى مساء يوم ٢١ جماد الآخر ١٣ هجرياً الموافق ٢٢ أغسطس ٦٣٤ م ، عن عمر يناهز ٦٣ عاماً .

معركة مرج الديباج [1]

(٢٥ رجب ١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ٦٣٤ م)

إنطلق توماس وهربيس ومن معهما يجمعون أمتعتهم وأموالهم ، وكثيراً من حمل الديباج والحُلل المذهبة خاصة هرقل . فكان ما أخرجه الرومان شيئاً عظيماً ، كما خرج أيضاً معهم جنود الحامية وكثيراً من أهل دمشق بأولادهم ، كرهوا أن يعيشوا فى جوار المسلمين ، وكان خالد واقفاً يشاهد ما يحملون ويتمنى أن يكون مِلكاً للمسلمين ، فأقبل على جنوده وقال لهم : " قوموا بخيولكم حق القيام ، وأحسنوا عليها ما استطعتم وأنجزوا سلاحكم ، فأنى أنوى السير بكم بعد ثلاثة أيام فى طلب هؤلاء القوم ، وأرجو من الله أن يغنمنا هذه الغنيمة والأموال التى رأيتموها ، وإن نفسى تحدثنى أن القوم ما تركوا فى دمشق متاعاً ولا ثوباً إلا وقد أخذوه معهم " [2] .

وبعد مضى أيام الأمان الثلاثة وفى اليوم الرابع ، جاء لخالد أحد الرومان وكان يعيش فى دمشق وأعلن إسلامه ، وسمى نفسه يونس الدمشقى ، وقال لخالد: " كنت تريد توماس وهربيس فماذا منعك " ، فقال خالد: " المسافة بينهم وبيننا أربعة أيام ، وهم يسيرون مسير الخوف ولا يمكن اللحاق بهم" . فقال له يونس: " إنى أعرف الديار ويمكن أن نسلك طريقاً نلحق بهم ، ولكن إلبسوا زى لحام وجذام من العرب النصارى وخذوا الزاد ونسير " .

فلم يضيع خالد الفرصة وسار ومعه أربعة آلاف من جنوده البواسل ودليلهم يونس الدمشقى ، يقطعون مسافة اليومين فى يوم ، وساروا دروباً غير معروفة ، حتى صاروا بجوار إحدى القرى فسأل يونس عن توماس وأصحابه ، فعلم اتجاههم

---

(١) مرج الديباج : المرج يعنى الأرض الخضراء الواسعة ذات الكلا وترعى فيها الدواب ، والديباج هى ثياب الحرير من نسيج الحرير الأصلى ذات الألوان المختلفة .

(٢) فتوح الشام للواقدى ج ١ ص ١١٨ .

ومضوا فى أثرهم حتى وصــلوا إلى جبل يقال له "الأبرش" ، ويسميه الروم جبل " باردة " جنوب أنطاكيه . ويبعد عن دمشق مسافة حوالى مائة وعشرين كيلومتر ، قطعها خالد وجيشه فى ثلاثة أيام ، فسار أربعين كيلو متر فى اليوم الواحد ليلحقوا بهم ، وعندما وصلوا كان الليل ممطراً ، فانتظروا حتى الصباح وعند طلوع الشمس ، أرسل خالد دليله يونس ومعه أحد جنوده لإستطلاع ما خلف الجبل ، فعادوا يخبروه بأن توماس ورفاقه فى مرج كبير ، واسع الجنبات فيه خضرة عظيمة ، وأن القوم أصابهم المطــر وهذا ما آخرهم ، فقد أخرجوا أمتعتهم والديباج ونشــروها فى طول المرج ، وقد نام أكثرهم من شدة التعب والإرهاق والمطر الذى أصابهم بعد مسير ستة أيام .

فنظم خالد جيشه فى أربع مجموعات ، أمر على المجموعة الأولى ضرار بن الأزور على ألف فارس ، وعلى الألف الثانية رافع بن عميرة الطائى ، وعلى الألف الثالثة عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، وكان خالد على المجمــوعة الرابعة ، وطلب منهم ألا يخرجوا من خلف الجبل دفعة واحدة ، بل يخرج كل أمير وبين صاحبه مسافة ، فتقدم ضــرار بن الأزور والروم مطمئنين ، ومن بعده رافع الطائى ، ثم عبد الرحمن بن أبى بكر ، ثم خالد بن الوليد كان آخرهم حتى وصلوا المرج .

وبادر الروم إلى السلاح وركبوا الخيل بمجرد أن رأوا خالد ومجموعته ، فظنوا فى البداية أن مجموعة خالد ليس ورائها أحد فاعتبروها صيداً سهلاً ، وقسموا أنفسهم قسمين القسم الأول مع توماس والثانى مع هيربيس وعندما بدأوا فى هجومهم ، خرج عليهم ضرار بمجموعته وطلع عليهم رافع الطائى بعده ، ثم طلع لهم عبد الرحمن بن أبى بكر وأحاطوهم من جميع الجهات ، وإنصبت عليهم خيول المسلمين كالسيل الجارف تقتل فيهم ، فلم يتمكن الــروم من الصمود وفروا فى جميع الاتجاهات ، وبحث خالد عن توماس فقتله ، أما هربيس فقد أراد الهــرب ولكن لحق به خالد وضربه فأرداه قتيلاً أيضاً . وبينما هم فى القتال ، استطاع أحد

المسلمين أسر امرأة عليها ثياب من الديباج وعلى رأســها شبكة من اللؤلؤ ، فقال لهم الدليل يونس الدمشقى إنها زوجة توماس وإبنة هرقل ، ولوعلم بأسرها فلابد أن يفديها بالمال أو يخلصها بالقتال .

وغنم المسلمون من هذه المعركة كثيراً من الغنائم والسبايا ، ورجعوا فى طريقهم إلى دمشق فرحين بالسلامة والنصر، وأثناء عودتهم أحسوا بغبرة خلفهم فأستعدوا للقتال فأقبل عليهم من اتجاه الغبرة شيخ ، إقترب من المسلمين فأوقفوه أمام خالد ، وقال له قل ما تشاء ، فقال الشيخ : " أنا رسول الملك هرقل وإنه يطلب منك أن تبيع إبنته أو تهديها له ، فالكرم شيمتكم وطبعكم ، ولا يرحم من لا يرحم وإنى أرجو أن يقع الصلح بيننا " ، فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ : " قل لصاحبك لا رجعت عنه ولا عن أهل ملته وما تحت قدميه كما فى علمك ، وأما إبقاؤك علينا فلو وجدت إلى ذلك من سبيل ماقصرت ، وأما إبنتك فهى لك هدية منا " ، ثم أطلق إبنة الملك هرقل وسلمها للشيخ ولم يأخذ فى فدائها شيئاً .

وسار خالد حتى وصل دمشق ، وكان أبوعبيدة والمسلمون فى قلق بالغ على خالد ورفاقه ، فلما علموا بما جرى فرحوا أشد الفرح ، ولما استقر خالد فى مكانه أعد خمس الغنائم للخليفة والباقى وزعه على المسلمين ، وكتب كتاباً للخليفة ابوبكر الصديق – رضى الله عنه – يخبره بالفتح والبشارة وما غنم من الروم ، وهو لايعلم بأن الخليفة قد توفاه الله ، وأبوعبيدة لم يخبره بأن عمر بن الخطاب أصبح أميرالمؤمنين ، وطوى الكتاب بعد أن ختمه وأرسله مع رجل من العرب ومعه خمس الغنائم . وهذا يؤكد على أن فتح دمشق كان فى السنة الثالثة عشر من الهجرة وليس فى السنة الرابعة عشر ، وأن خالد قد تم عزله بعد فتح دمشق وليس بعد معركة أجنادين .

***

معركة حصن أبى القدس

(١٦ شعبان ١٣ هـ / ١٨ اكتوبر ٦٣٤ م)

بعد استلام أبوعبيدة بن الجراح الإمارة كأميراً للجيوش ، علم من أحد نصارى الشام بوجود حصن يسمى أبى القدس ، بالقرب من زحلة وعلى مسافة حوالى ثلاثين كيلومتر من دمشق ، وبجواره دير به صوامع يقام به إحتفالاً دينياً سنوياً ، يجتمع فيه أجناس كثيرة من كل القرى والأمصار والضياع والأديرة ، وعادة مايقام بجواره سوق كبير يباع فيه الأمتعة والديباج والذهب والفضة ، ويستمر لثلاثة أيام ويطول أحياناً إلى سبعة ، وقد قرب موعد الاحتفال ، ولا يدافع عنه حامية عسكرية ولكن للظروف الحالية قد تتواجد قوات للدفاع عنه ، فأراد أبوعبيدة إرسال سرية للفوز بهذه الغنيمة وتحقيق نصر للمسلمين .

فتطوع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ليقود هذه السرية وتطوع معه خمسائة فارس . ساروا فى منتصف شعبان ومعهم دليل قادهم إلى المكان فوصلوا فى صباح اليوم التالى ، وهناك وجدوا قوات بيزنطية وحامية عربية من الغساسنة تحرس الإحتفال ، ويقدر عددهم بحوالى خمسة آلاف ، فأبوا على قلتهم أن يعودوا دون تنفيذ مهمتهم ، وأخذتهم الحمية ونشوة الانتصارات السابقة فقرزوا الإغارة عليهم ، وقبل أن يندفعوا فى القتال وأثناء نقاشهم ، رجع فارس منهم كالبرق ، وأخبر أبو عبيدة بكثرة جند الروم ومأزق فرسان المسلمين ، فماذا يفعل أبوعبيدة فى ذلك المأزق الذى لم يتوقعه ، وبماذا يخبر أمير المؤمنين ؟ وهى أول مهمة تنفذ فى إمارته ، فلم يجد أمامه غير خالد بن الوليد فارس المواقف الصعبة لنجدة هذه السرية .

اندفع خالد بجنوده فور تلقيهم المهمة ، يطوون الأرض بخيولهم ويسابقون الريح ومعهم دليلهم ، وفى هذه الأثناء كانت السرية قد بدأت فى قتال الروم فى خمسة كراديس ، فى كل كردوس مائة فارس ، فكانوا كشامة بيضاء فى جلد بعير

أسود ، وحاصرهم الروم والغساسنة من جميع الجهات ، فكانوا على وشك الهلاك وقبل أن يتم القضاء عليهم تماماً ، سمعوا تهليلاً وتكبيراً وفرساناً قادمون ، وعلى رأسهم ليث هادر ينادى .. أنا خالد بن الوليد ، فأيقنوا أنها النجدة فتنفسوا الصعداء ، وهجم خالد ومعه أصحابه فى قتال حتى المساء فحاصروهم وقتلوهم وانتصروا عليهم ، وعادوا إلى دمشق ومعهم أطنان من الغنائم والأسلاب ومئات من الأسرى الرومان . فأرسل أبوعبيدة الخمس إلى أمير المؤمنين ومعه كتاب بالنصر.

***

معركة فِحل بيسان [1]

(٢٨ ذى القعده ١٣ هـ الموافق ٢٣ يناير ٦٣٥ م)

بعد معركة أجنادين وفتح دمشق ومعركة الديباج وحصن أبى القدس ، أعطى المسلمون صفعة قوية للقوات البيزنطية ، وأحكموا سيطرتهم على قلب الشام ، ولم يكن أمام الروم إلا أن يقطعوا الإتصال والامداد ، بين قوات المسلمين فى وسط سورية وفى فلسطين . وكان لهم حامية بيزنطية ذات موقع حيوى فى بيسان ، إنضم إليها كثيراً من الجنود الناجين من معركة أجنادين ، ومن هذا المكان استطاع الرومان توجيه ضربات للمسلمين المتواجدين بالمنطقة ، وقطعوا خطوط مواصلاتهم مع الحجاز ، لإجبارهم على الإنسحاب من دمشق ، وخاصة بعد وصول امدادات كثيرة من هرقل .

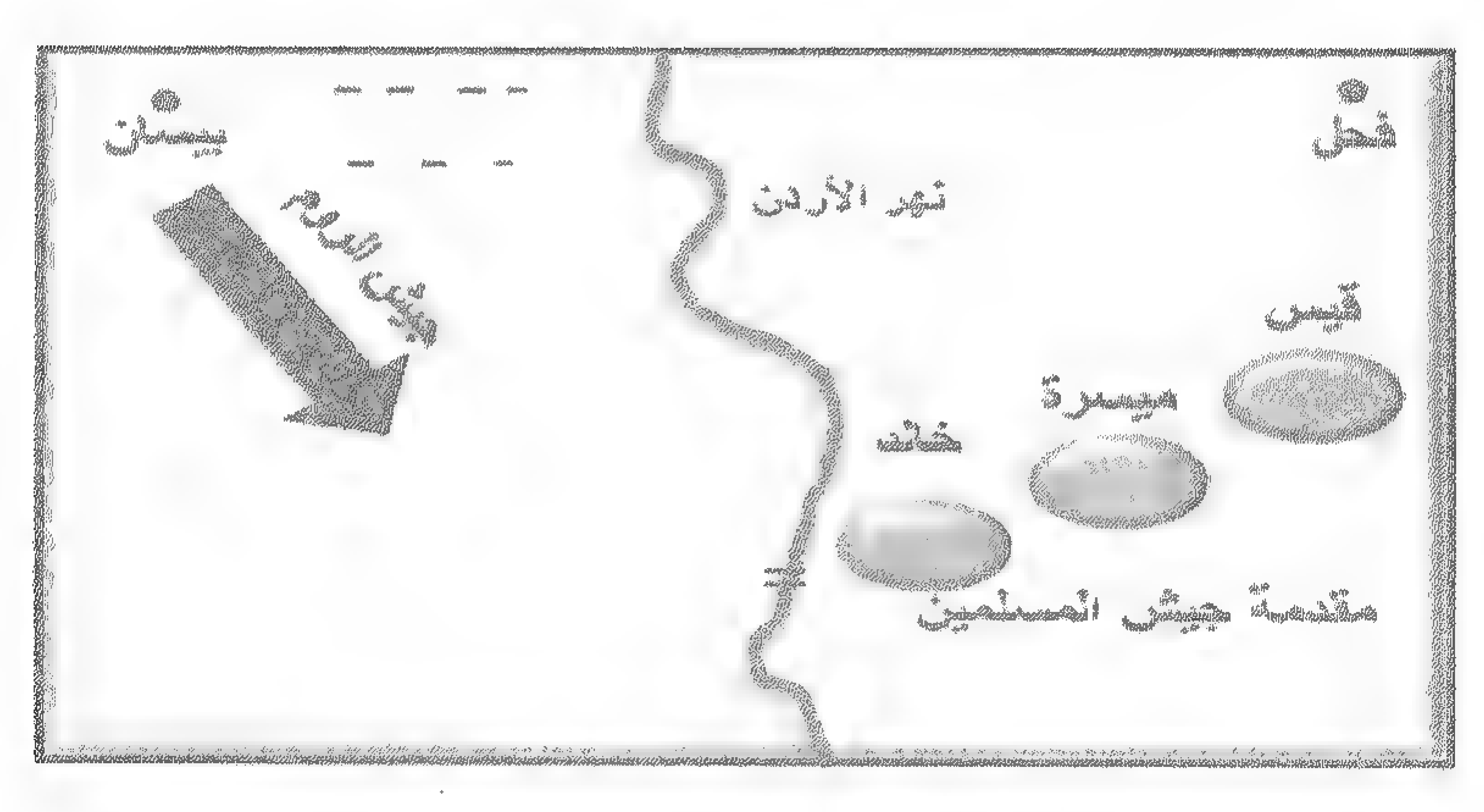
وأدرك خالد بن الوليد أن تواجد مثل هذه الحامية فى الجنوب خلف ظهر المسلمين ، لا يمكن معه تحقيق استقرار للمسلمين فى الشمال ولا فتح لفلسطين ، ولهذا أوعز لأبى عبيدة ضرورة التحرك إلى فِحل (بيللا) للقضاء على القوات البيزنطية فى بيسان ، وفتح طريق امداد المسلمين مع المدينة بالقوة ، وفى نفس الوقت رأى الامبراطور البيزنطى ضرورة إحراز نصر على المسلمين ورفع معنويات جنوده ، فالهزائم تتوالى على جيشه ، ولابد من تحقيق نصر ، فجنود الروم باتوا يعتقدون أن جيش المسلمين لا يُهزم ، فأرسل هرقل جيشاً كبيراً قوامه ثمانون ألف بقيادة سكلاريوس ، ساروا على الساحل وتجمعوا من كل مكان فى بيسان ، على أمل هزيمة قوات المسلمين بفِحل .

---

(١) فحل وبيسان : يقعان جنوب بحيرة طبرية ويفصل بينهم نهر الأردن ، وتقع فحل شرق النهر ، وبيسان فى الغرب. وتسمى فحل (بيللا) .

وسار خالد فى مقدمة الجيش نحو فِحل ، وتركوا يزيد بن أبى سفيان مع حامية دمشق ، وتجمع المسلمون بجيوشهم بفِحل حيث كان شرحبيل وعمرو بجيشهما ، وتجمع الروم فى بيسان وقوتهم على أقل تقدير ثلاثة أضعاف جيش المسلمين ، وفى محاولة لمنع تقدم المسلمين قام جنود الروم بسد نهر الأردن ، فأوحلت الأرض بينهما[1] .

وأراد الروم مفاجأه المسلمين ليلاً ، ظناً إنهم نيام فى معسكرهم بِفحل ، ولم يدركوا أن المسلمين بقيادة خالد قد استعدوا لمعركة ليلية فاصطفوا وتشكلوا ، فكان خالد على المقدمة ومعه الفرسان ، وجعل قيس بن حبيرة على ثلث ، وميسرة بن مسروق العبيسى على ثلث .



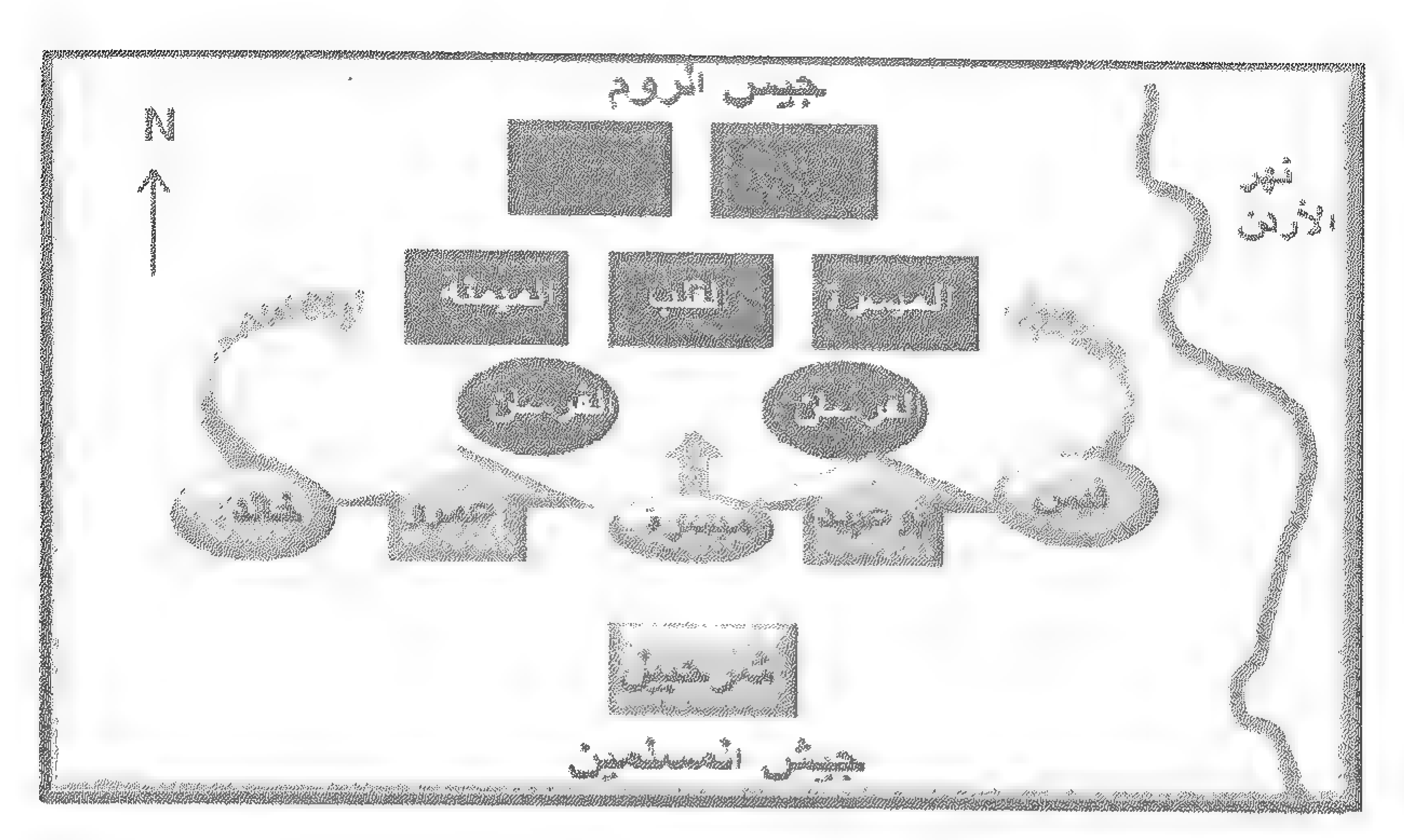
عبور المسلمين نهر الأردن ليلاً .   كروكى رقم (١٥)

وعبرالمسلمون نهر الأردن ليلاً فى صمت تام وخالد فى الطليعة وخلفه فرسانه ، ثم اصطف على الميمنة أبوعبيدة وعلى الميسرة عمرو بن العاص ، وعلى المشاة عياض بن غنم ، وفى القلب شرحبيل بن حسنة أميراً للجيش[2] . ومازال الـــروم يتقدمون وهم يحســـبون أن المســـلمين فى معسكرهم نيام ، حتى

---

(١) تسمى هذه المعركة لذلك ذات الردغة . (٢) تحسب هذه المعركة لشرحبيل بن حسنة فهو أمير المنطقة ، وقد اجتمع عليه جيش المسلمين وهو الذى فتح معظم قطاع الأردن .

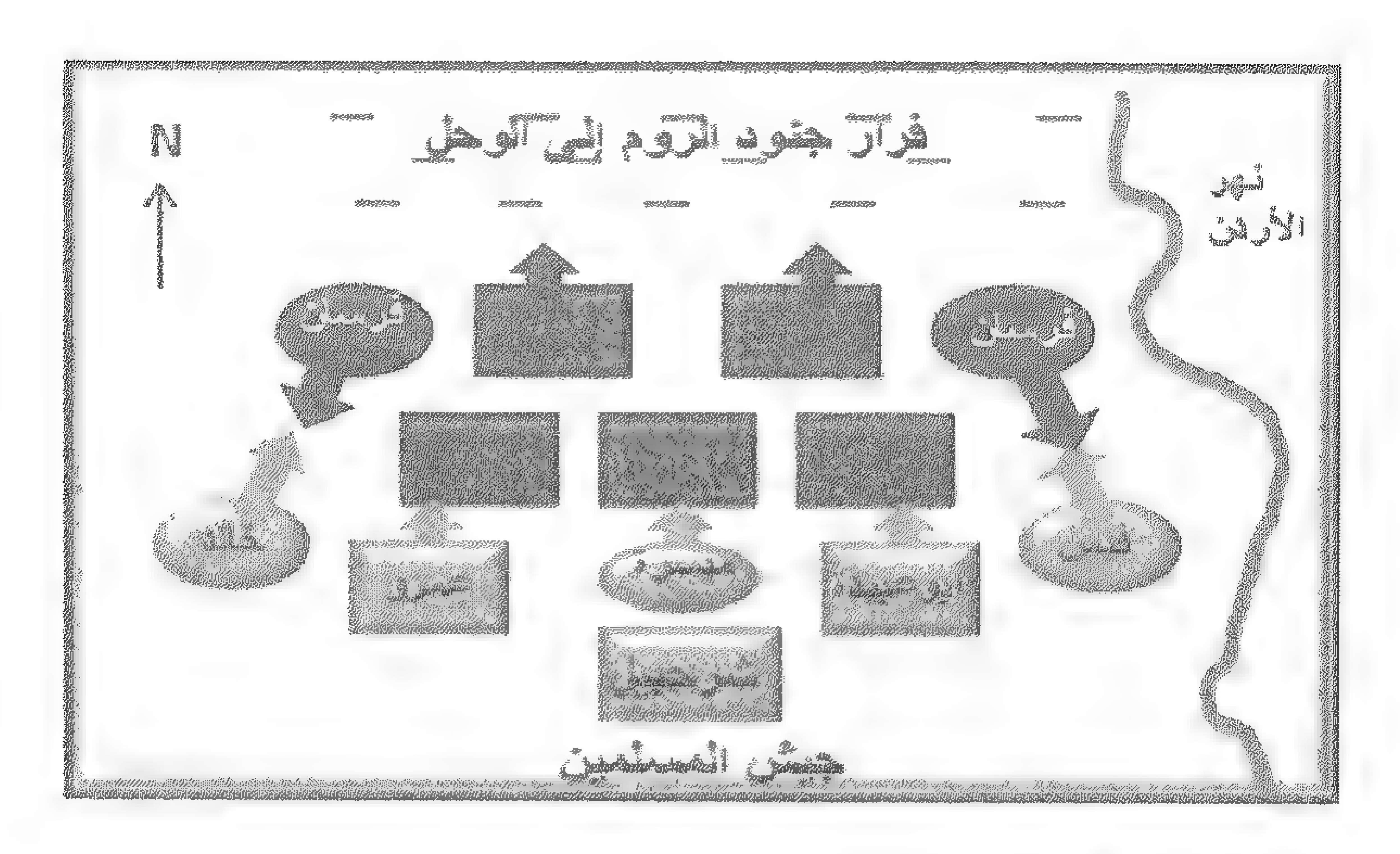
فاجأهم المسلمون واشتبك الجيشان فى قتال شديد ، وأدرك خالد أن أجنابهم خالية من الفرسان ، فقام بالهجوم على أجنابهم بفرســانه كعادته وقتل منهم الكثير .



هجوم فرسان خالد على الأجناب — كروكى رقم (١٦)

فاندفع فرسانهم إلى الأجناب فى محاولة لإيقاف فرسان المسلمين ، وانكشف المشــاه بدون خيالة تساندهم ، فسمح لمشاة المسلمين بالهجوم عليهم . وفى الصباح حاول سكلاريوس دفع مجموعة من الفرسان لنجدة المشاه ودعمهم فى القتال ، فتصدى لهم خالد بفرسانه من الأجناب ومنعهم من تقديم أى مساندة لهم ، واستغل شرحبيل الموقف فعاجلهم بهجوم شامل اضطروا معه إلى الارتداد فى آخراليوم .

ولما اظلم الليل فر الروم ولم يصمدوا ، فكان ورائهم الوحل ولا مفر غير أن يوحلوا ، فهذا الوحل الذى صنعوه غرقوا فيه ، فاصطادهم المســلمون بالنبال والرماح وقتلوا قائدهم وآلاف من جنده ، وكانت هزيمتهم فى الوحل ، وفروا فى كل اتجاه ويأس جنود الروم من إمكان النصر على جيش المسلمين .



تصدى خالد لفرسان الروم على الأجناب كروكى رقم (١٧)

وبعد المعركة أصبح الطريق ممهداً لفتح الأردن وفلسطين ، وسار شرحبيل ومعه عمــرو بن العاص إلى بيسان فحاصروها وقاتلوا أهلها ، ثم صالحوهم وفرضوا عليهم الجزية والخراج على أرضهم ، وفى نفس الوقت توجه أبوعبيدة وخالد بن الوليد ومعهما الجزء الأكبر من الجيش إلى حمص لاستكمال فتوحات المسلمين شمالاً.

***

معركة مرج الروم

(ربيع أول ١٤ هـ / مايو ٦٣٥ م)

اثناء اشتباك جيش البيزنطيين مع جيش المسلمين فى فِحل ، وقبل أن يعرف هرقل بخبر هزيمة جنده فى فحل ، أرسل جيشاً تحت قيادة " توذرا "(١) لتحرير دمشق ، حيث يتواجد بها حامية صغيرة من المسلمين بعد تحرك معظم الجيش إلى فِحل ، ثم بعث خلفه جيش أخر تحت قيادة شنس الرومى امداداً لتوذرا وحماية لأهل حمص فنزلوا فى مرج الروم . وكان المسلمون قد أنهوا معركة فِحل بانتصارهم وتركوا عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة لإستكمال فتح فلسطين والأردن .

وتحرك أبوعبيدة وخالد بن الوليد شمالاً فى اتجاه حمص ، فنزلا بمنطقة ذى الكلاع ومنها تحركا شمالاً ، فتقابل جيش المسلمين مع جيش الروم فى منتصف الطريق إلى حمص فى مرج الروم غرب دمشق ، وكان خالد أمام جيش توذرا وأبوعبيد بإزاء شنس ، وخلال الليل انسحب جيش توذرا إلى دمشق لمفاجأتهم وإلحاق الهزيمة بهم .

شك خالد فى أن يكون جيش توذرا يدبر مكيدة للمسلمين ، فأرسل كشافيه سريعاً يجوبوا المنطقة ، فجاءه الخبر اليقين بأن جيش " توذرا " استغل الظلام وسار بجيشه نحو دمشق لمهاجمة حامية المسلمين ، وظن" توذرا" أن الفرصة واتته للنيل من المسلمين ، وسيقتص للروم وتعود دمشق لهم مرة ثانية ، ولم يعرف أن خالد يتعقبه بجيش من الفرسان خفيف الحركة .

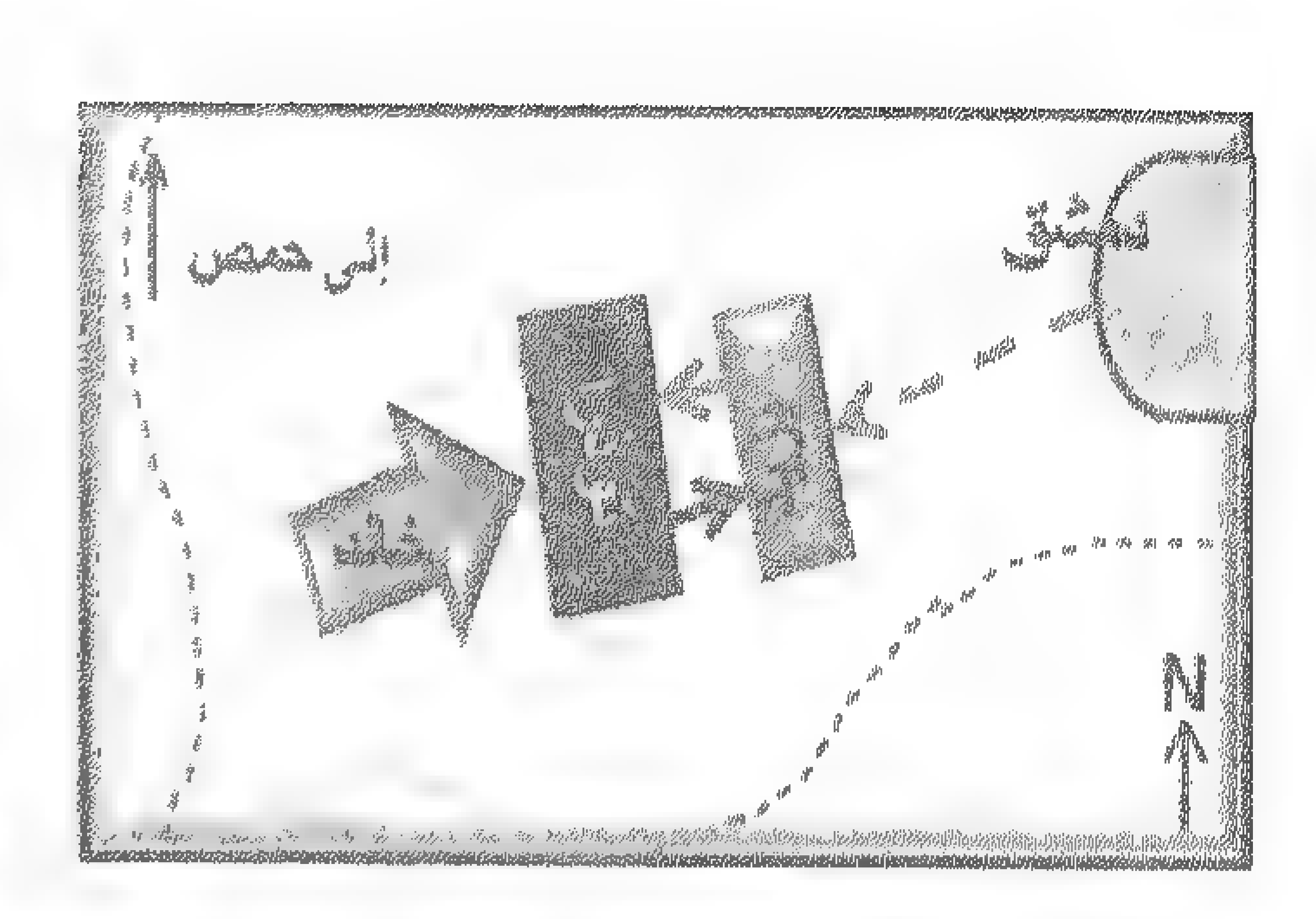
وما أن وصل جيش الروم أطراف دمشق حتى خرج لهم جيش يزيد بن أبى

---

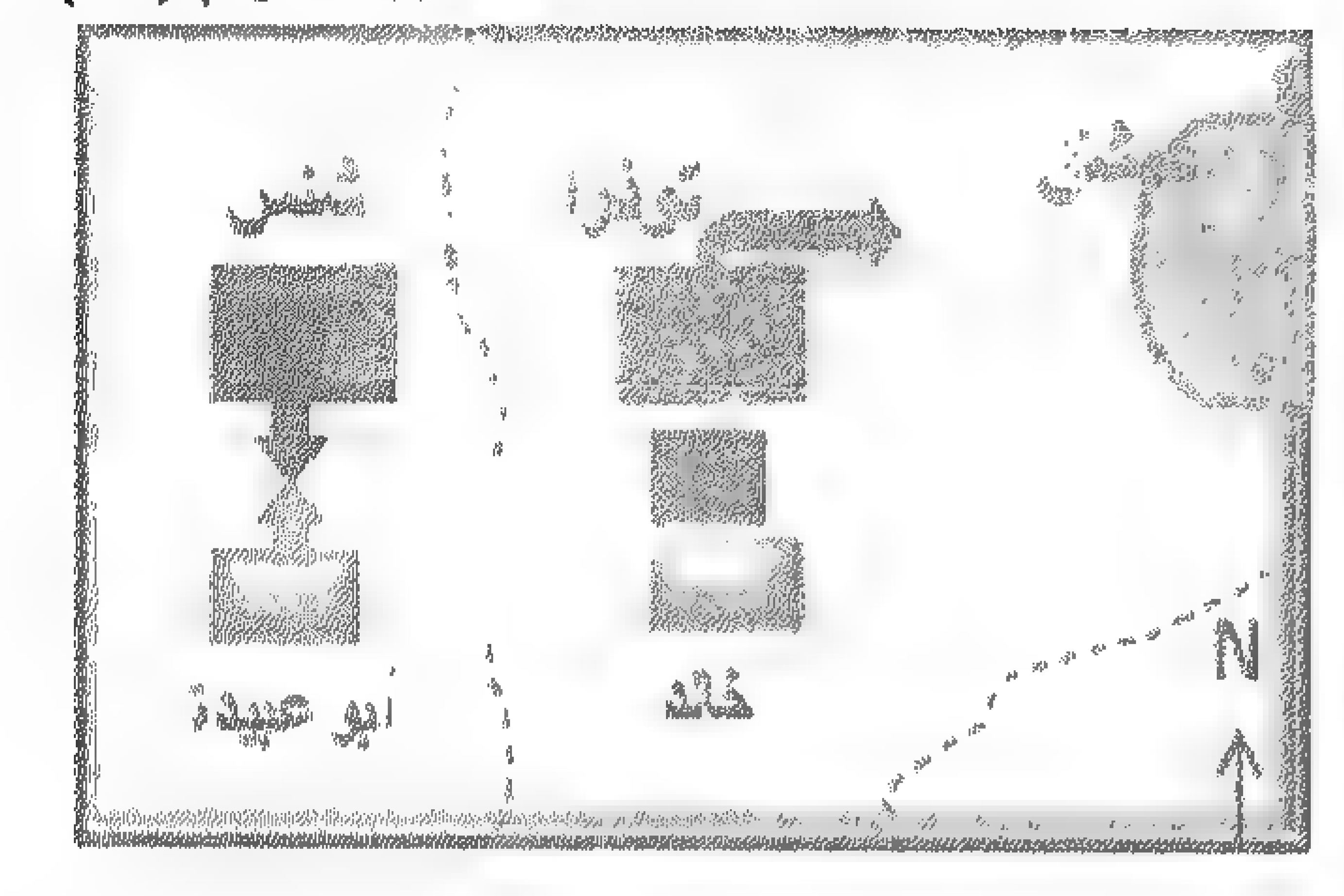
(١) توذرا : هو الأسم المستخدم فى المراجع العربية ، أما فى المراجع الأجنبية فأسمه تيودراس (THEODRAS) وكان معه قائداً آخر أسمه شوذرا .

سفيان ، واشتبك الجيشان وفجاة ظهر جيش خـــالد وهاجم جيش الروم من الخلف ، وحاصرهم المسلمون بين الجيشين ، رماح جيش يزيد من الأمام وسيوف جيش خالد من الخلف ، فلم يفلت منهم أحد وقتل خالد " توذرا " وانتصر عليهم فى معركة دمشق الثانية ، ورجع بجيشه بسرعة إلى أبى عبيدة فى المرج ، فوجده قد انتصر على باقى جيش شنس وأجبرهم على الفرار من الميدان[١] . فتابع جيش المسلمين تقدمه إلى حمص .

كروكى رقم (١٨)



جيش خالد ويزيد يحاصران جيش تودزا



جيش خالد يواجه توذرا وجيش ابوعبيدة يواج شنس

***

---

(١) قال خالد بعد المعركة: نحن قتلنا توذرا وشوذرا .. وقبله ما قد قتلنا حيدرا .. نحن أزرنا الغيضة الأكيدرا .

معركة حصار حمص

(شوال ١٤ هـ / ديسمبر ٦٣٦ م)

تحرك أبوعبيدة ومعه خالد بن الوليد شمالاً فى اتجاه حمص ، وترك صفوان بن عامر السلمى على حامية دمشق ومعه خمسمائة رجل ، وتوجه أبوعبيدة أولاً إلى بعلبك ففتحها سلماً ، ثم أرسل خالد إلى حمص لفتحها ومعه ثلثى الجيش فنزلها فى شوال من عام أربعة عشر هجرياً ، وتبعه أبو عبيدة . وظن أهل حمص أن المسلمين مع قدوم الشتاء لن يتحملوا طقسه البارد وسيتركوهم ، لأنهم لم يعتادوا هذا الطقس ، واضطر المسلمون فى الأيام شديدة البروده إلى ترك القتال وحصار المدينة ، ومعاودته عندما يتحسن الطقس ، ولكنهم رغم ذلك صبروا على حصارهم . ومع مرور الأيام اعتقد الروم بأن المسلمين لن يصمدوا ، وكان أهل حمص يقولون فيما بينهم تمسكوا بمدينتكم فالمسلمين حفاة ، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم ، ولكن كانت أقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين إصبع .

ولما انتهى الشتاء ولم يستسلم أهل حمص ، أغار عليهم المسلمون وكلهم تصميم على فتحها وكبروا تكبيرة كبيرة ، فزلزلت معها أفئدة الروم ، ثم كبر المسلمون مرة ثانية فألقوا الرعب فى قلوب أهل حمص ، وأدركوا أن لا مفر من التسليم فنادوا فى فزع : الصلح .. الصلح ، فصالحهم المسلمون على صلح أهل دمشق . وبعث أبوعبيدة بأخبار الفتح وخمس الأنفال مع رسول إلى المدينة ، وتوجه ومعه خالد بن الوليد إلى حماه ، فتلقاه أهلها مفزوعين وصالحهم أبوعبيدة على الجزية .

***

معركة اليرموك

(٨ – ١٣ رجب ١٥ هـ)

بعد استيلاء المسلمون على بعلبك وحمص وحماه ، تحرك أبوعبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد لفتح الأجزاء الشمالية من الشام ، وكان خالد دائماً فى المقدمة . وهناك وقع كثيراً من الأسرى البيزنطيين فى يده ودخل بعضهم فى الإسلام ، وعلم منهم أن هرقل يجمع قوات كثيرة منذ آخر العام وحتى مايو ٦٣٦ م (الموافق ربيع أول ١٥ هـ) ، وهذه القوات من أجناس مختلفة وبدأت فى التجمع بشمال الشام ، ومن المنتظر التقدم جنوباً لهزيمة المسلمين وطردهم ، وهذا الجيش يفوق عدده مائتين ألف مقاتل لتنفيذ تلك المهمة ، كما ورد لخالد نفس المعلومة من بعض جنود الغساسنة الذين دخلوا الإسلام طواعية ، وتطابقت تلك المعلومة الخطيرة أيضاً مع بعض ما ورد لخالد من عناصر إستطلاعه المدفوعة شمالاً.

وهنا وقف خالد يحلل الموقف ، ففى هذا الوقت كانت جيوش المسلمين منتشرة فى أربعة أماكن ، فعمرو بن العاص وجيشه فى فلسطين ، وشرحبيل وجيشه فى الأردن ، ويزيد بن معاوية وجيشه فى دمشق ، وأبوعبيدة ومعه خالد بن الوليد فى حمص . وجيوش المسلمين بهذا الوضع الجغرافى لايمكن أن تتعاون قتالياً فيما بينهم ، وخاصة لو حدث هجوماً كبيراً من القوات البيزنطية على أحد الجيوش منفردة .

وأدرك خالد أن هرقل بهذا الجيش الكبير الذى يعده ، إنما يخطط لاستغلال التباعد بين جيوش المسلمين ، ويريد مهاجمة كل جيش إسلامى على إنفراد بحشد كبير لا يقوى على صده ، وهو بذلك سيتجنب معركة كبيرة مع جيش المسلمين متحدين تحت قيادة خالد . ولإحباط خطة هرقل اقترح خالد على أبى عبيدة التراجع من الأماكن الشمالية والوسطى ، للتجمع فى مكان واحد لمواجهة الروم فى معركة فاصلة ، وليكن جابية فهى قريبة من خطوط الامداد مع المدينة .

وافق أبوعبيدة على اقتراح خالد بن الوليد ، وبالطبع كتب لأمير المؤمنين وحصل على موافقته ، وبعدها تحرك جيش المسلمين جنوباً وتجمع فى جابية لمواجهة هذا الخطرالبيزنطى ، وأمر أبوعبيدة أمراء الجيوش برد الجزية إلى أهلها من المناطق التى انسحبوا منها ، وكانت قوة جيش المسلمين مجتمعة حوالى أربعين ألف مقاتل ، بعد انضمام مدد أرسله أمير المؤمنين على رأسهم أبوسفيان بن حرب.

وبالفعل كان الامبراطور هرقل يخطط لهزيمة المسلمين ، بعد سقوط دمشق فكتب إلى ملوك الممالك التابعة ، يستنجد بهم لإرسال جيوشهم لمعاونته ، فى إيقاف خطر الدولة الإسلامية الجديده ، التى تهدد الامبراطورية البيزنطية ، فاستجابوا له وحشد هرقل جيشاً كبيراً – أكثر ماحشد للفرس – وكان المدد يأتى براً وبحراً فكانت يافا وحيفا قبلتين لإستقبال القوات بحراً ، وسهل البقاع من حمص والساحل من اللاذقية طريقهم براً ، فكان التجمع فى اتجاه الجنوب بعد تراجع جيش المسلمين جنوباً .

وكأن الطرفان إتفقا على اللقاء فى معركة ، هى الفاصلة فى تاريخ الشام والإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، فالهزيمة للإمبراطورية تعنى إستقطاع الشام منهم وضياع الأماكن المقدسة من أيديهم ، أما هزيمة المسلمين فتعنى الحكم على الدولة الإسلامية الوليدة ، بالتراجع إلى قلب الجزيرة العربية إنتظاراً لمصير غير معلوم فالأعداء كثيرون .

وبعد أن تجمع المسلمون فى جابية أشار خالد بن الوليد على أبى عبيدة بالتحرك إلى أذرعات ، ليكون خلف المسلمين طريق امداد مأمون ، كما أن الأرض أصلح لحركة الخيول وانطلاقها ، أفضل من أى مكان حولها ، وبالفعل انتقل المسلمون إلى أذرعـــات وتركوا للقوات البيزنطية منطقة اليرموك ، فتدفقوا عليها فى منطقة بين نهـــرى اليرموك والرقاد ، وكان خلفها جرف عميق ، وكأنهم أرادوا أن يحموا ظهورهم من إلتفاف جيش المسلمين عليهم ، واعتبروا هذا الجرف خط دفاع طبيعي عنهم .

عبر المسلمون نهر اليرموك فى اتجاه الغرب ، واقاموا معسكرهم فى وادى على الطريق المفتوح لجيش الروم من جهة الشرق ، وبذلك لم يعد للـروم طريقاً يسلكوه ، سوى طريق ضيق على جسر خلفهم على نهر الرقـاد ، بعرض خمسمائة متر تقريباً ويؤدى إلى معسكرهم بالياقوصة ، وهذا الطـريق لايسعهم مجتمعين إن أرادوا عبوره أو إجتيازه . وهذا المكان يحيطه علامات الإستفهام من سوء الإختيار ؟! فالمكان يضعهم فى مأزق إن اضطروا للارتداد ، وأغلب الظن أنهم أرادوا أن يؤمنوا أنفسـهم من الأجناب والخلف ، غير واضعين فى الاعتبار احتمالات الهزيمة أو الإنكسار ، فظـنوا أنهم على كثرتهم وقوتهم لن يهـزموا أو يفروا من الميدان .

ورأى خالد قوة الروم وكثرتهم ، والمسلمون وقلتهم ، وهم متفرقون على عدة أمراء ، فكان كل أمير يصلى بجيشه وأبوعبيدة لم يفعل شئ يجمع أمرهم ويوحد بين هذه الجيوش إستعداداً لحربهم ، ورغم عزل خالد ، إلا أنه أبَى على نفسه ألا يقول كلمة حق فى هذا الموقف العصيب ، فوقف بين الأمراء مخاطباً وقال : " إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى ، إخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم ، ... إن هؤلاء قد تهيئوا وهذا يوم ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاور[١] الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ودعونى إليكم اليوم " ، فوافق الأمراء وتنازل له أبوعبيدة عن إمارة الجيش .

حاول الروم كشف قوة المسلمين واستعدادهم ، فارسلوا فى البداية قوات عرب النصارى من الغساسنة لقتالهم ، لكن خالد بفرسانه هزمهم وكانت آخر معركة قبل المعركة الرئيسية معهم ، واسـتمرت بعدها مفاوضات لمدة طويلة ، تمسك المسلمون بمطلبهم من الروم ولم يحيدوا عنه ، وهو دخولهم الإسلام أو دفع الجزية

---

(١) نتعاور : نأخذ الإمارة ونتبادلها على أن نعيدها .

أو القتال ، ولما فشلت المفاوضات لم يكن غير القتال فتشكل جيش البيزنطيين من خمسة جيوش استعداداً للقتال .

فكان الجيش الأول أرمنى بقيادة "ماهان" [١] ملك أرمينيا ووضع فى القلب ، والجيش الثانى سلافى بقيادة الأمير" قناطير" [٢] وكان فى الميسرة ، والجيش الثالث من العرب النصارى بقيادة جبلة بن الأيهم الغسانى ملك الغساسنة (كلهم من راكبى الخيول والجمال) كانوا فى الإحتياط ، والجيش الرابع من أجناس أوروبية تحت قيادة جريجورى[٣] ملك عمورية وكانوا فى الميمنة ، والجيش الخامس من سائر الأجناس الرومية تحت قيادة دريجان وكان يمين القلب ، وتولى ماهان قيادة الجيوش مجتمعة . كما قيل أن " تيودوروس" شقيق هرقل قد شارك فى المعركة أيضاً وكذلك "سقلاب" [٤].

أعاد خالد تنظيم الجيش بعد توليه القيادة ، فجعل ربع جيش المسلمين من الخيالة وكانوا حوالي عشرة آلاف فارس وجعلهم خلف القوات ، وقسم الجيش إلى ستة وثلاثون كردوساً من المشاة وزعت على أربعة فرق ، وضع اثنان في القلب بقيادة أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ، وفرقتين فى الأجنحة ، الميمنة بقيادة عمرو بن العاص ، والميسرة بقيادة يزيد بن أبى سفيان . وتشكلت كل فرقة من تسعة كراديس وكان يتكون كل كردوس من حوالى ألف مقاتل ، وعين أمراء شجعان لهذه الكراديس ، أمثال القعقاع بن عمرو وعياض بن غنم وعكرمة بن أبى جهل والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبوبكر.

ونُظمت هذه الكراديس على أساس التجمع القبلى والعشائرى ، بحيث يقاتل كل فرد إلى جانب أخيه المسلم من عشيرته أو قبيلته ، وشكلت هذه الفرق النسق الأول

---

(١) ماهان : يكتب فى المراجع الأجنبية (VAHAN) .(٢) قناطير : يكتب(BUCCINATOR) .

(٣) جريجورى : يكتب فى المراجع الأجنبية (GREGORY) ويكتب فى المراجع العربية (جرجير)

(٤) سقلاب : يكتب فى المراجع الأجنبية (SKELLARIOS) .

لجيش المسلمين . وقسم كل كردوس إلى عشرة مجموعات وكل مجموعة تتكون من مائة مقاتل ، وعين أمراء لهذه المئات ، ثم قسمت كل مجموعة مائة إلى عشرة مجموعات صغيرة ، وعين أمراء لهذه الأعشار.

ووضع خالد خلف الفرق الأربعة (النسق الأول) أربع مجموعات من الفرسان (الخيالة) كإحتياطى ، عين لها كل من قيس بن حبيرة المرادى وعامر بن طفيل وميسرة بن مرزوق العبسي ، وهم من خيرة فرسان المسلمين ، وأمرهم بأن يفعلوا مثل ما يفعل ، وكان هو على المجموعة الرابعة وعين ضرار بن الأزور ينوب عنه بقيادة مجموعة الفرسان في حال إنشغاله بالأعمال القتالية فى المعركة . وجعل لكل فرقة مجموعة استطلاع تقوم بمراقبة أرض المعركة والإبلاغ عن أى تحركات معادية ، وكان خط الجبهة يمتد بطول حوالى عشرة كيلو مترات ، ويتجه المسلمون غرباً في مواجهة الروم .

وعين للجيش قاضياً هو أبو الدرداء ، وقارئاً هو المقداد فكان يقرأ عليهم سورة " الأنفال" التى تحض على الجهاد ، مثلما كان يفعل الرسول الكريم ﷺ عند لقاء الأعداء ، وواعظاً وهو أبو سفيان فكان يسير على الكراديس ويقول : " الله .. الله .. إنكم زادة العرب .. وأنصار الإسلام ، وإنهم زادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك " .

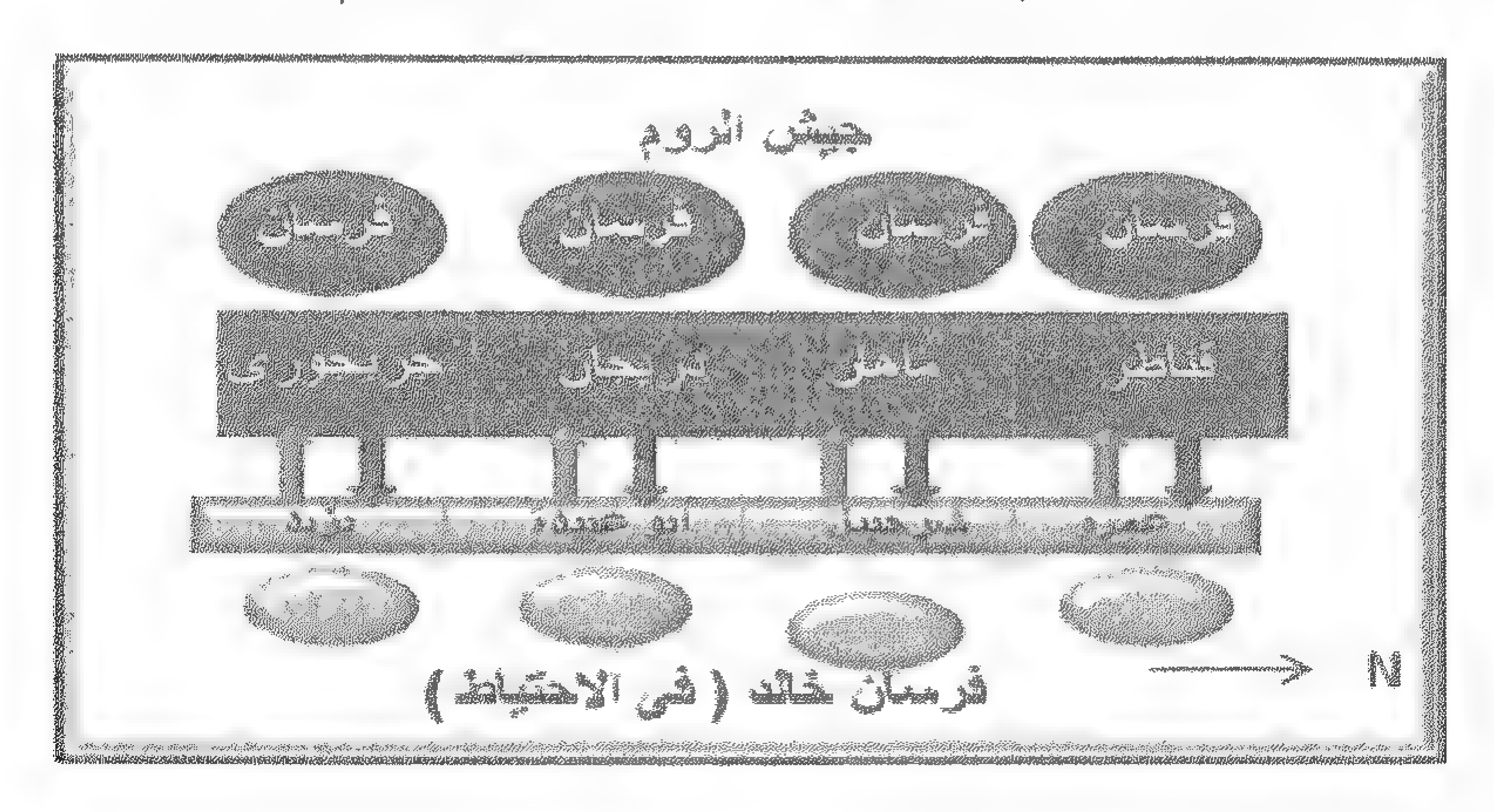
ثم وضع النساء على تل خلف المعركة وقال لهن أبوعبيدة : " خذن بأيديكن أعمدة البيوت والخيام وأجعلن الحجارة بين أيديكن وحرضن المؤمنين على القتال ، وإن رأيتن أحد من المسلمين منهزماً فأضربن وجهه بأعمدتكن ، وأحصبنه بحجارتكن ، وأرفعن إليه أولادكن وقلن له قاتل عن أهلك ودين الإسلام " . وبدأت أحداث المعركة يوم ثمانية من شهر رجب واستمرت لمدة ستة أيام .

وقبل أن يبدأ القتال طلب ماهان خالد ليبرز إليه فى الفاصل بين الجيشين ، وأراد حقن الدماء فقال ماهان : " إنا علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد

والجوع ، فهلموا إلى أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعام وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثله ".. فقال خالد: " إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير إنا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أن لا دم أطيب من دم الروم فجئنا لذلك " [1]. فتأكد لماهان اصرار خالد على القتال .

بدء المعركة :

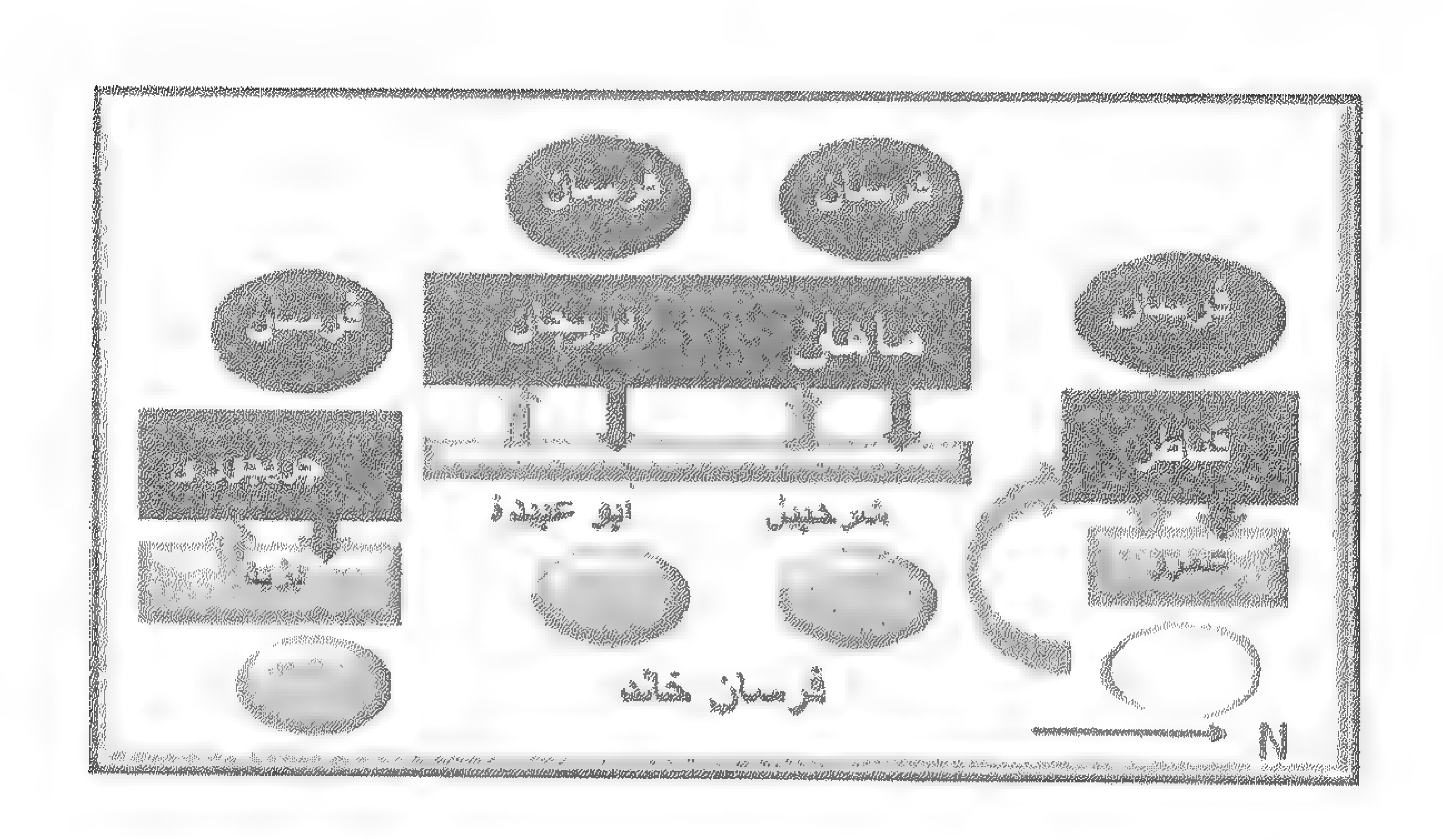
بدأ **اليوم الأول** من المعركة بمبارزات كانت آنذاك أساليب متبعة بين مقاتلين أبطال من الجانبين ، فمنهم من يخرج من بين الصفوف طوعاً ومنهم من يُدعى من قبل القائد لمنازلة الخصوم . وقد دامت تلك المبارزات في اليوم الأول للمعركة حتى منتصف النهار ، وكان الشرف فيها لصالح المسلمين ، حيث قَتل عبد الرحمن بن أبى بكر، أبن الخليفة الراشد الأول ، خمسة من قوّاد الروم البيزنطيين ، مما دعا القائد العام للجيش البيزنطي " ماهان" لبدء القتال ، حرصاً على معنويات جيشـــه ، وبدأ بتراشق النبال العنيف الذى تسبب بإصابات كبيرة في صفوف المسلمين ، ويلتحم بعدها الطرفان فى اشتباك على طول المواجهة ، دون اختراقات فى الصفوف حتى حل الظلام ، وتوقف الاشتباك وأنتهى اليوم الأول قتال .



أوضاع القوات قبل بدء القتال كروكى رقم (١٩)

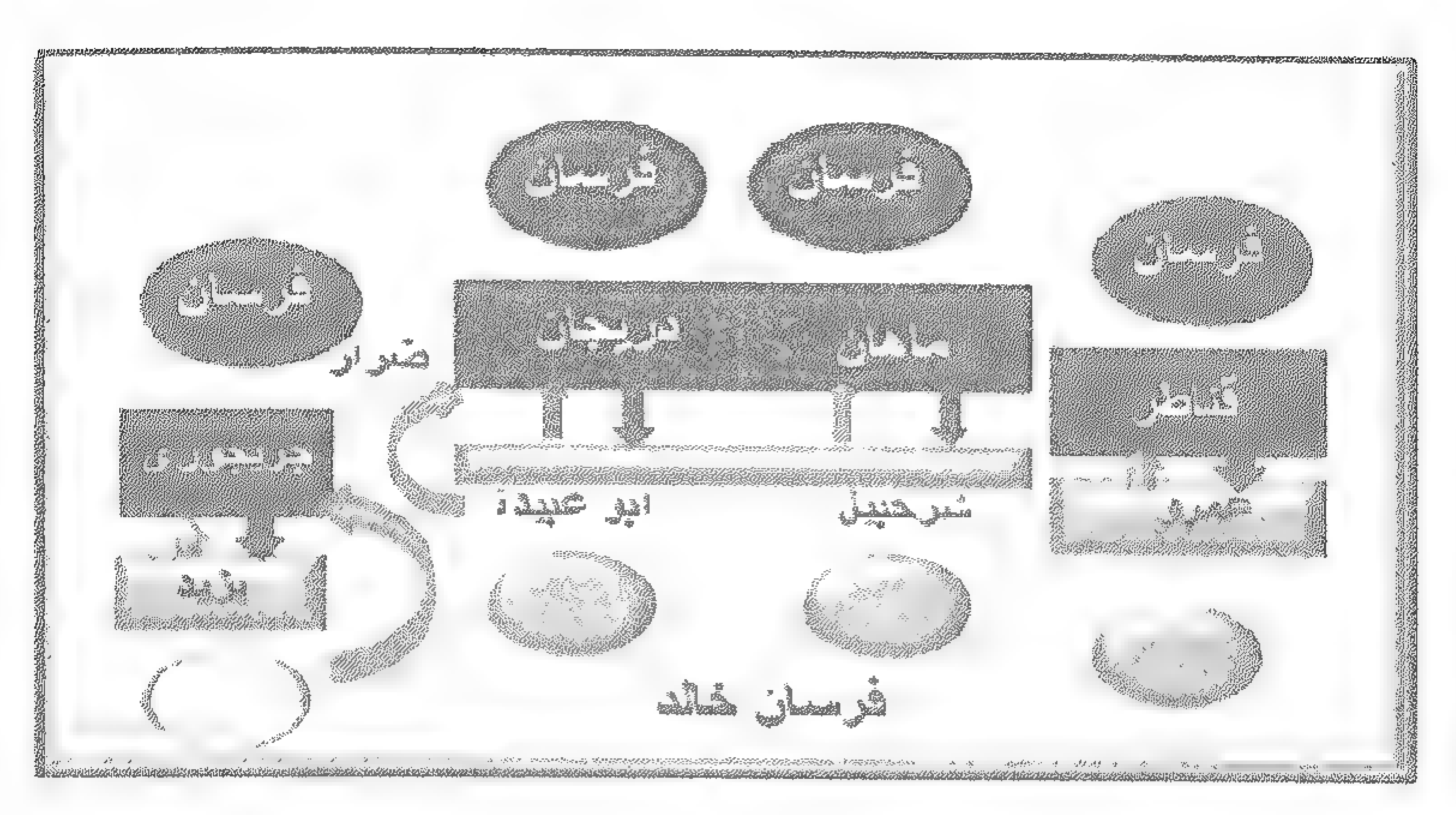
(ا) انظر البداية والنهاية لابن كثير (ج ٦ ص ١٤) .

وفى **اليوم الثانى** قرر ماهان شن هجوماً مباغتاً عند الفجر، عندما يكون جيش المسلمين غير مستعد ، ولم يدرك بأن المسلمين قد صلوا الفجر واستعدوا لهم ، فلم يحقق الهجوم عنصر المفاجأه الذى إبتغاه البيزنطيين ، ودارت المعركة وهاجموا من الأجناب ، فحدث تراجع من ميمنة وميســرة جيش المسلمين ، وهنا تدخل خالد بمجموعة من الفرسان فى اتجاه الميمنة ليوقف تقدم الروم ، فاشتبك معهم واجبرهم على الارتداد بعد أن احدث فيهم خسائر كبيرة ، واعاد الأوضاع فى الميمنة إلى ماكانت عليه .



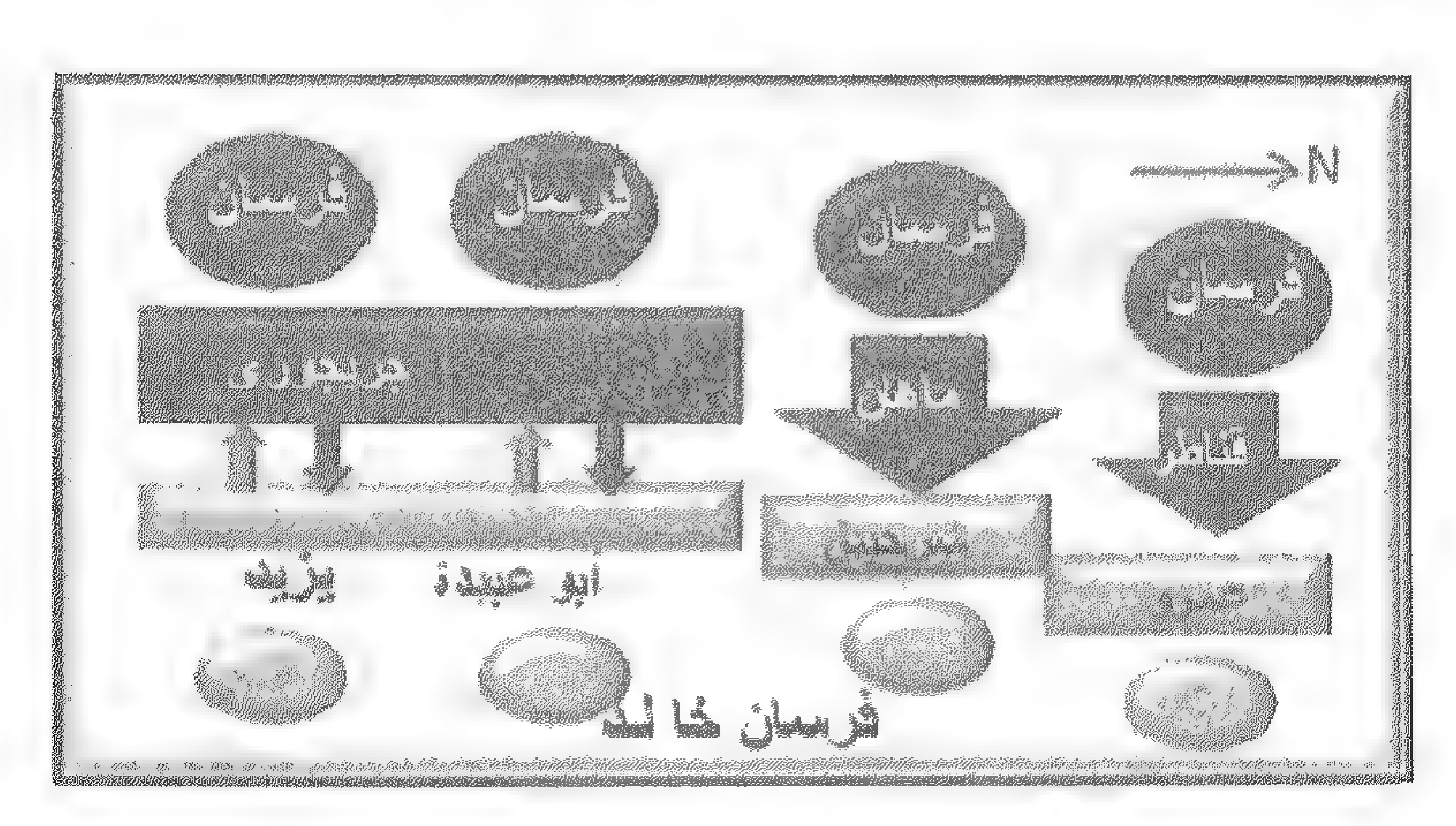
هجوم الفرسان فى اتجاه الميمنة لايقاف تقدم الروم كروكي رقم (٢٠)

وبعدها وجه خالد هجمة فى إتجاه الميسرة ، ونجح خلالها ضرار بن الأزور من إختراق قلب جيش الروم من الجهة اليمنى له ، وتمكن في هذا الهجوم من قتل القائد البيزنطي دريجان ، رغم وجود ألفين من الفرســان الروم البيزنطيين لحراسته ، وترك مقتل دريجان وفشل خطة ماهان ، الأثر المدمر على نفسية المقاتلين الروم ، بينما كان لنجاح خالد بصد الهجوم الأثر الأقوى لتعزيز معنويات جنود المسلمين .



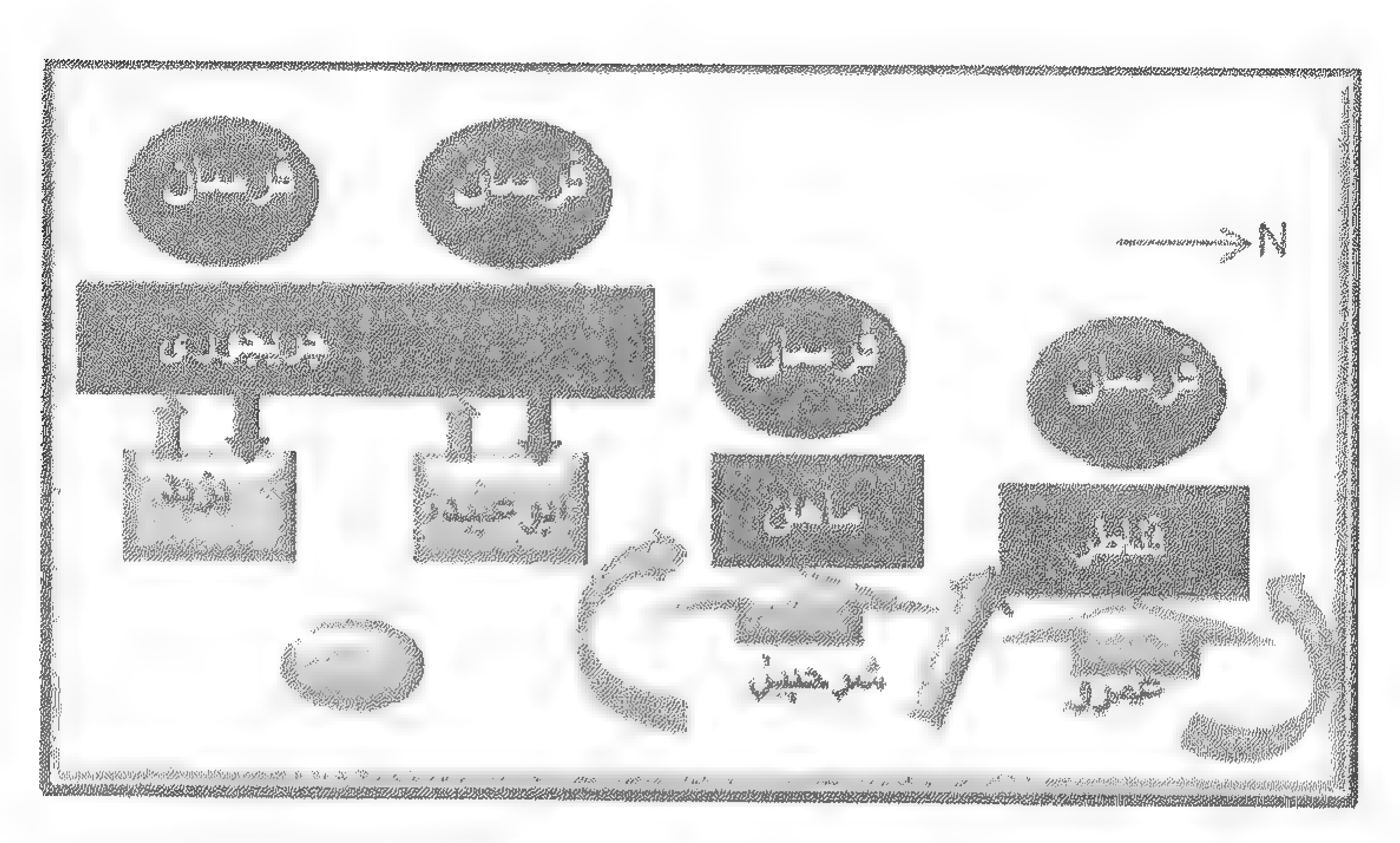
هجوم الفرسان فى اتجاه الميسرة ونجاح ضرار فى قتل دريجان كروكى رقم (٢١)

وفي **اليوم الثالث** وبعد مقتل دريجان أحد كبار قادة الروم ، ركز ماهان خطته على الهجوم فى نقطة محددة لإختراق الجيش الإسلامى ، وهي النقطة بين الميمنة التي كانت تحت قيادة عمرو بن العاص يقابله " قناطر" قائد السلاف ، وقلب جيش المسلمين من الجانب الأيمن تحت قيادة شرحبيل يقابله " ماهان" ، وبدأ الهجوم على فرقة عمرو بن العاص الذى استطاع في البداية الصمود ، قبل أن يلعب التفوق العددى للروم دوره ليتراجع جنود عمرو بن العاص إلى الوراء بإتجاه معسكرهم ، كما بدأ جنود شرحبيل في الفرقة المجاوره بالتراجع أيضاً . فردتهم النساء بالحجارة وأعمدة الخيام ولوحت لهم بالأطفال تحثهم للعودة إلى القتال .



تراجع فرقتى عمرو وشرحبيل كروكى رقم (٢٢)

وهنا تدخل خالد بن الوليد بمجموعة فرسان لصد الهجوم بالالتفاف على أجناب القوات المخترقة ، وبعدها تدخل مجدداً بمجموعة أخرى لمهاجمة جند ماهان المتقدمين ضد فرقة شرحبيل . وتم صد الهجوم وتراجع الروم إلى أماكنهم الأصلية كما كانت قبل بداية المعركة . وجاء المساء لينهى اليوم الثالث قتال ، وعادت الفرق إلى أماكنها وباتوا تحت السلاح .



هجمات خالد المضادة على أجناب القوات المخترقة كروكى رقم (٢٣)

وفى **اليوم الرابع** كرر ماهان نفس خطة اليوم السابق ، باستمرار الهجوم على ميمنة جيش المسلمين ، واستغلال إنهاكها فى اليوم السابق ، وبالفعل تراجع شرحبيل أمام جيش الأرمن المدعم بشكل قوى من الخيالة العرب النصارى بقيادة جبلة ، كما تراجع عمرو بن العاص أمام جيش " قناطر" السلافي . وتعرض شرحبيل لضغط شديد وبدأ الإجهاد على جنده . ووصل جنود الروم إلى التل الذى عليه النساء ، وصرخت النساء أين أنصار الدين .. أين حماة المسلمين ؟ .. ولإيقاف هذا الهجوم ، تمكن خالد من القيام بهجمات مضادة بمجموعات الفرسان على أجناب القوات المخترقة أدت إلى تراجع الأرمن ، ودام ذلك طوال بعد الظهر، وبعد فقدان الدعم الأرمنى ، تراجع كذلك السلاف بقيادة " قناطر" ليعود الجميع إلى أماكنهم .

وعلى الجانب الآخر اشتد قتال الروم مع فرقتى أبوعبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان ، وتعرض جنود المسلمين إلى رمى عنيف بالسهام ، أدى إلى فقدان الكثير لبصرهم نتيجة إصاباتهم في عيونهم ، وسمي ذلك اليوم بيوم خسـارة العيون ، وتراجعت فرقتى أبوعبيدة و يزيد بن أبى سفيان للخلف ولاحت بوادر الهزيمة ، ولكن عِكرمة بن أبى جهل نادى على المجاهدين للقسم على النصر أو الشهادة وقال: " من يبايع على الموت " .. فلبى نداءه أربعمائة من المجاهدين كان منهم إبنه عمرو ، وقاتلوا قتال استشهاد محاولين وقف الروم .

ونجح المجاهـدون فى مهمتهم ، ولكن معظمهم قُتل أو أُصيب إصابات خطيرة ، واصيب عكرمة وإبنه إصابات مميتة في هذه الموقعة ، وأتى خالد بعد المعركة فوضع رأس عِكرمة – صديق الطفولة – على فخذه وبجواره إبنه ، وجعل يمسـح عن وجههما ويقطر المـاء فى حلوقهما ، ويخفف عنهما ويقول زعم أبن الحنتمة أنا لا نستشهد[١] ، وعرف عكرمة بنجاح المسلمين بصد الهجوم وحمد الله قبل أن يموت متأثراً بجراحه ، ليحل الظلام وينتهى اليوم الرابع قتال .

ورفض خـالد عرضاً لـ "ماهان" بوقف القتال بضعة أيام لدفن القتلى ، وقال لرسول ماهان : " أرجع لصاحبك وقل له إنا لا نؤخر القتال ، فنحن على عجل من أمرنا " .. وأحس خالد بأن عزيمة الروم على القتال قد وهنت ولم تعد كالسابق .

وكان المسلمون حتى الآن ينفذون استراتيجية دفاعية لمواجهة التفوق الكبير للروم ، وهنا قرر خالد التحول فى **اليوم الخامس** إلى الهجوم ، وأجرى تغييرات على تشيكلاته ، حيث جمع كافة مجموعات الفرسان " الخيالة " فى فرقة قتالية واحدة تحت قيادته .

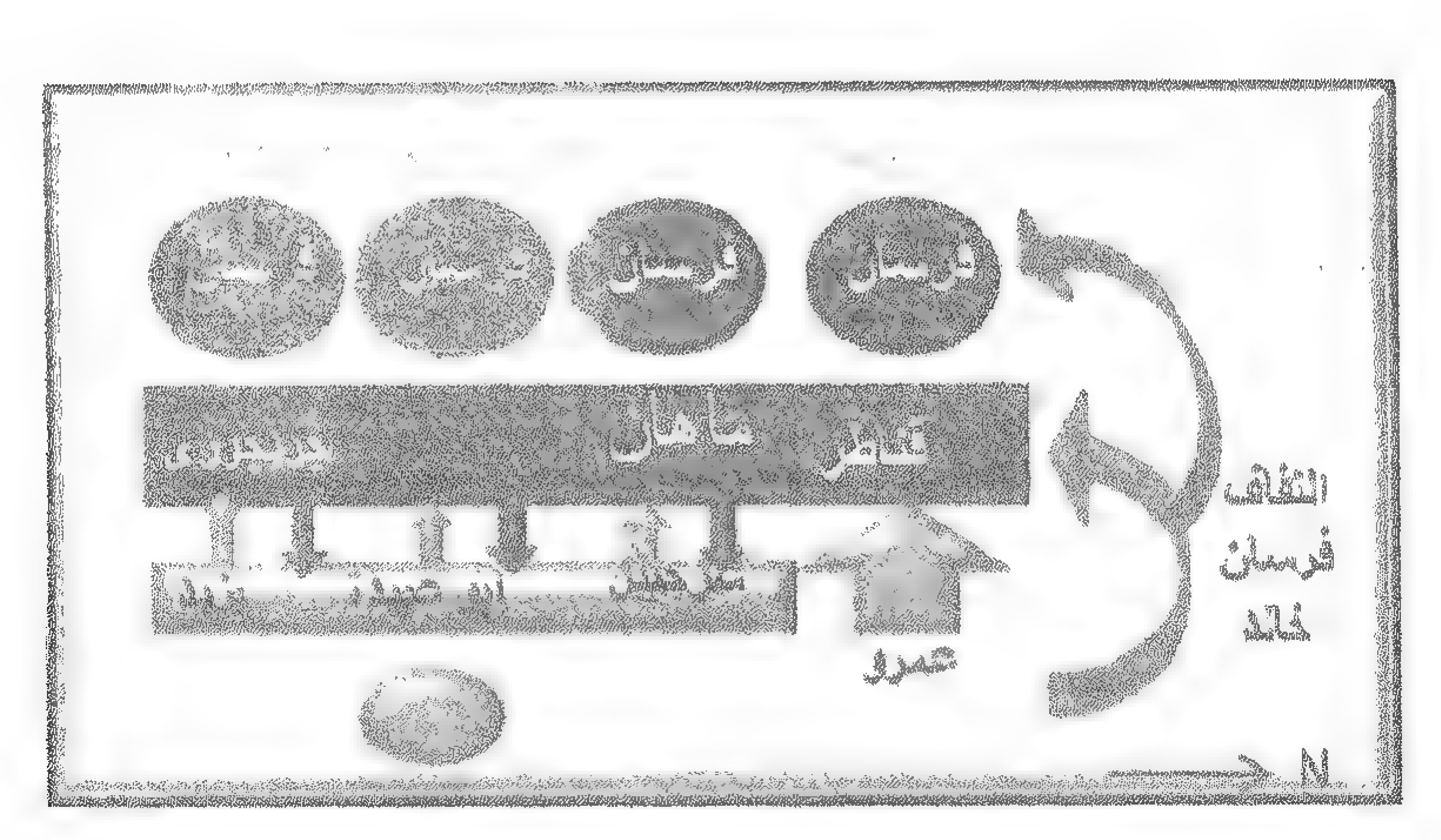
وخطط خالد لاستخدام هذه الفرقة المجمعة فى مهاجمة فرسان الروم بغرض عزلهم عن المشاة ، بحيث يصبح المشاة الذين يشكلون نواة الجيوش البيزنطية فى

---

(١) يقصد خالد بأبن الحنتمة عمر بن الخطاب .

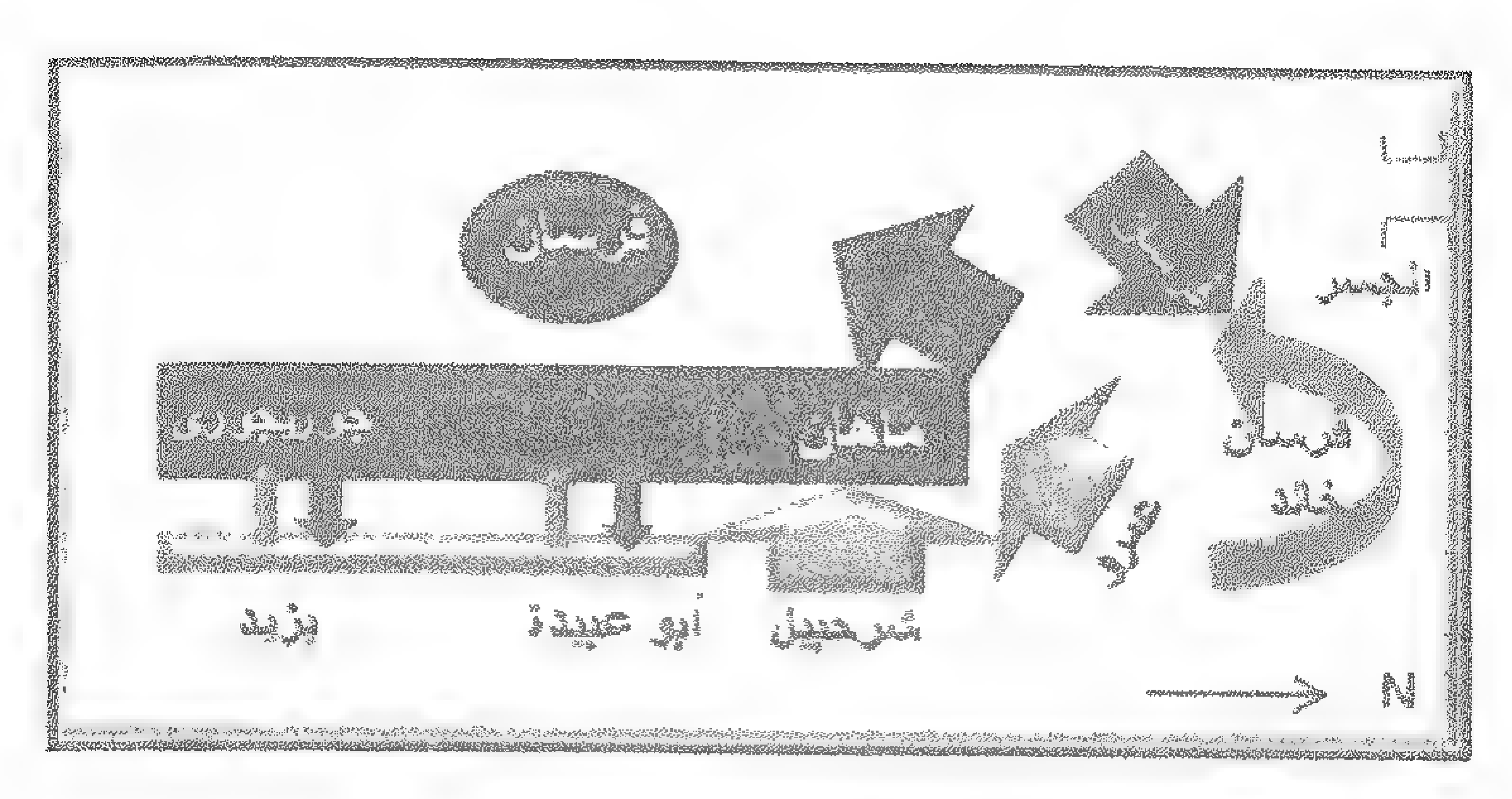
مواجهة مشاة المسلمين ، دون أى حماية من الفرسان تقيهم من الهجمات الجانبية أو الخلفية ، وفي نفس الوقت خطط لشن هجوم شامل على الميسرة البيزنطية لردها باتجاه الجرف إلى الغرب ، وخاصة عندما لم ينفذ الروم أى هجوم مؤثر.

وفى **اليوم السادس** الحاسم ، هاجم خالد بفرقة الفرسان الموحدة الميسرة البيزنطية من الخارج ، في الوقت الذى قام عمرو بن العاص قائد الميمنة ، بالهجوم على الميسرة البيزنطية ذات الأكثرية السلافية بقيادة " قناطر" ، وقد صمدت الميسرة البيزنطية أمام الهجومين من الأمام ومن اليسار، ولكن بفقدان الدعم من فرق الخيالة البيزنطية ، الذين انشغلوا بصد هجوم فرسان فرقة خالد ، تراجعت قوات " قناطر" باتجاه قلب الجيش الرومى ، حيث يقاتل الأرمن بقيادة ماهان .



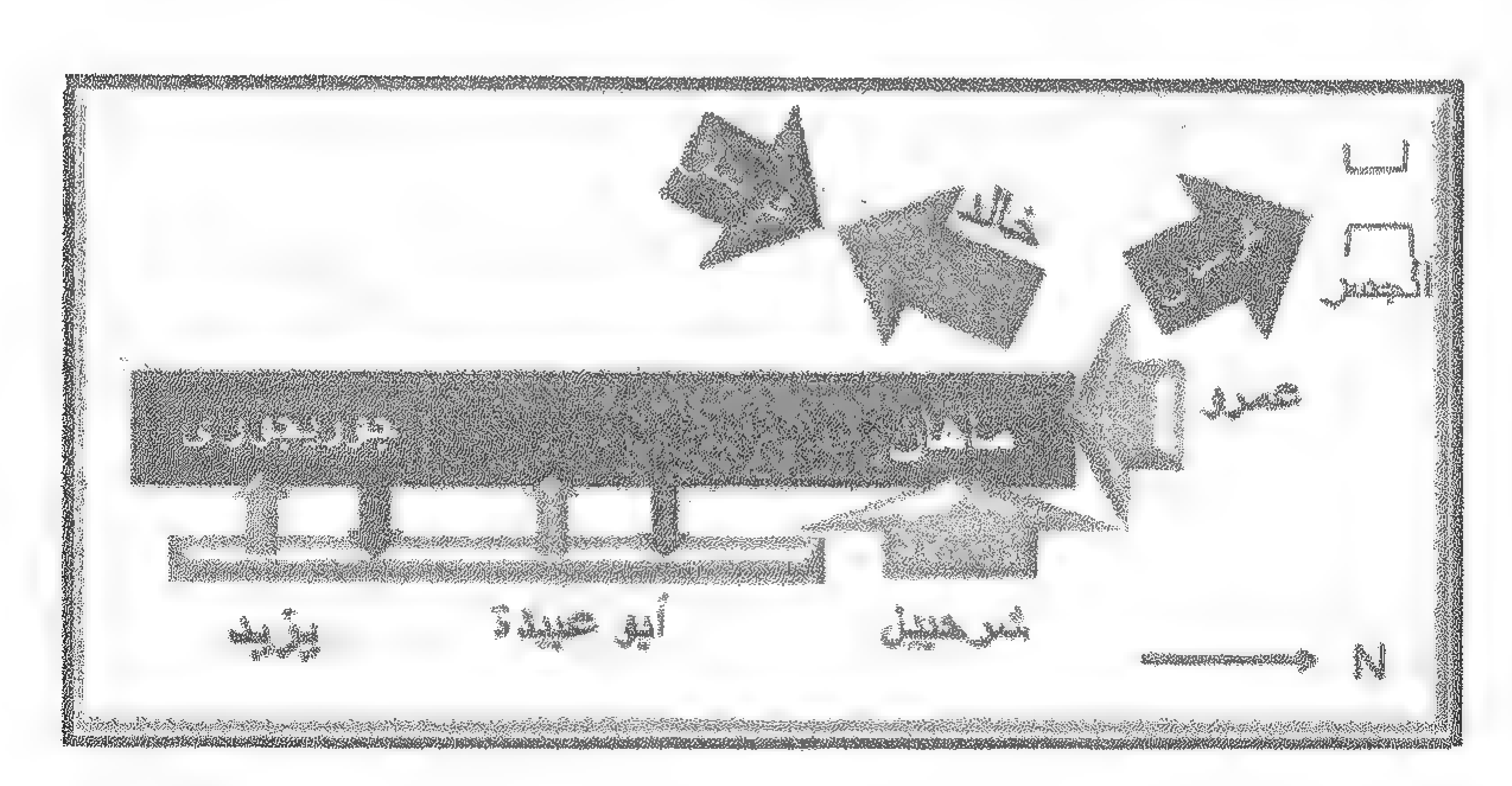
هجوم فرسان خالد مجمعة وفرقة عمرو على ميسرة البيزنطيين كروكى (٢٤)

ومع هذا الضغط تقهقر الجناح الأيسر للجيش البيزنطى ، واستغل المسلمون الموقف وتابعوا تقدمهم ، وهنا أمر خالد فرسانه بترك القتال الرئيسى الدائر ، والعودة كفرقة واحدة لعزل الخيالة البيزنطيين عن مشاتهم ، وابعـــادهم عن الجيش البيزنطى بشكل كامل ، فأصبحت المعركة فى المواجهة قتال المشاة للمشاة .



هجوم فرقتى عمرو وشرحبيل على ميسرة الروم كروكى رقم (٢٥)

وبعد هذا التحول فى استرايجية المسلمين ، استغل عمرو بن العاص قائد الميمنة النجاح الذى حققته فرقته ، فهـــاجم قلب جيش الروم من جهته اليسرى ، فحدث به إختلال فى التوازن بسبب ضغط كثرة جنود قناطر المتراجعين . وفي الوقت نفسه إنتهز شرحبيل بن حسنة الفرصة ، فهاجم بفرقته قلب الجيش البيزنطى من الأمام . ونجح خالد فى إبعاد فرسان البيزنطيين شمالاً وفروا من الميدان عبر جسر الياقوصة . واستمر فى مهاجمة من تبقى منهم .

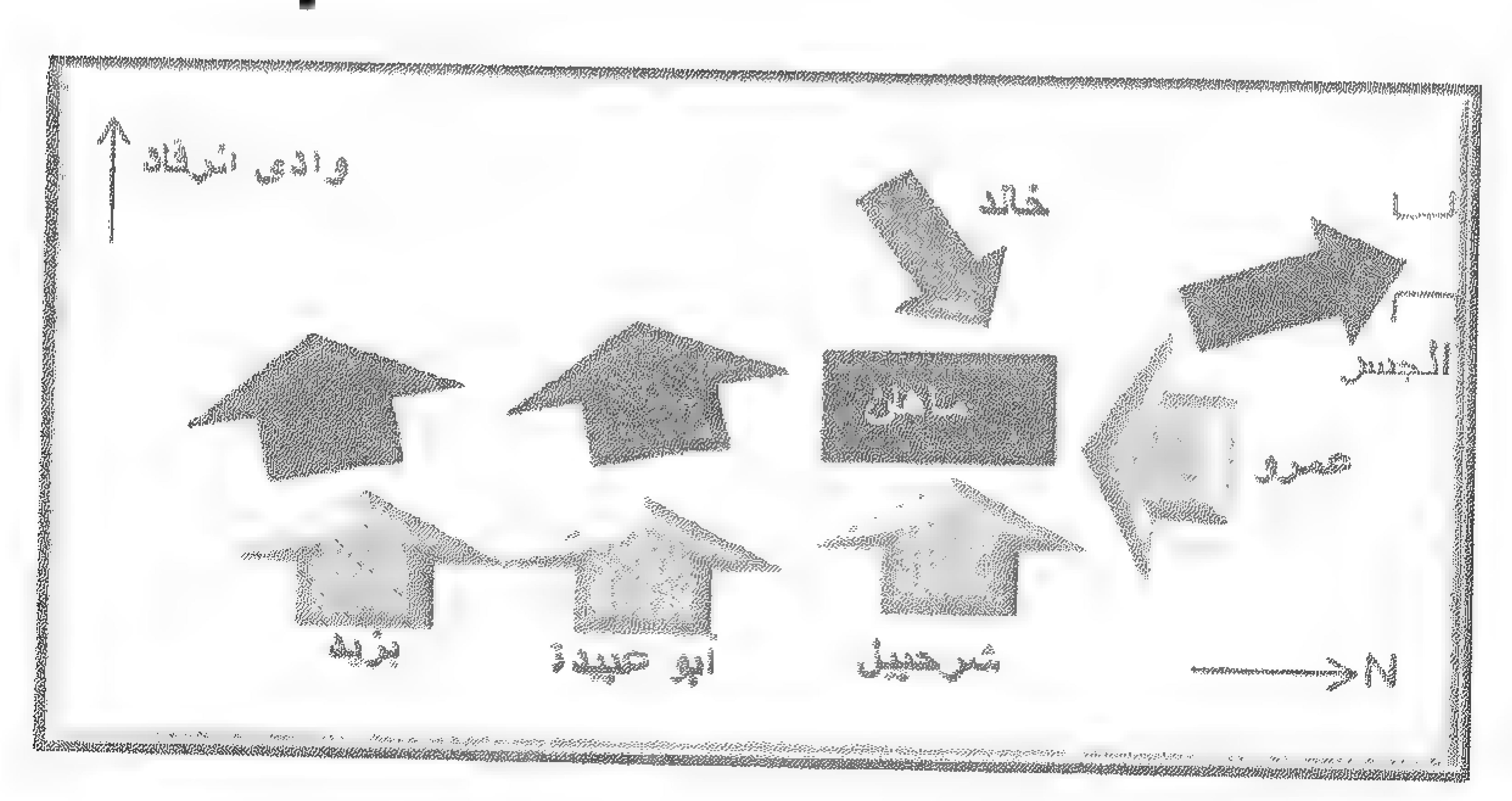


هجوم خالد هروب الخيالة البيزنطية من الجسر كروكى رقم (٢٦)

وعندما رأى " ماهان " ذلك دعى كافة فرسان الروم للتجمع خلف قلب الجيش البيزنطى ، لتنظيم هجوم مضاد ضد فرسان المسلمين ، ولكن" ماهان " لم يكن

سريعاً بالشكل الكافى فقد تقدم خالد سريعاً لمهاجمة الخيالة أثناء تجمعهم وذلك من الجهتين الأمامية والجانبية بينما كانوا في مناورات التحضير للهجوم المضاد ، وسارع الخيالة البيزنطيين إلى الهرب باتجاه الشمال من خلال الجسر فى فوضى وعشوائية تاركين المشاة لمصيرهم ، وكان بينهم كذلك قوات جبلة الراكبة ، حيث تشتت وتركت أرض المعركة من الجسر الضيق خلف الميدان فى اتجاه الياقوصة .

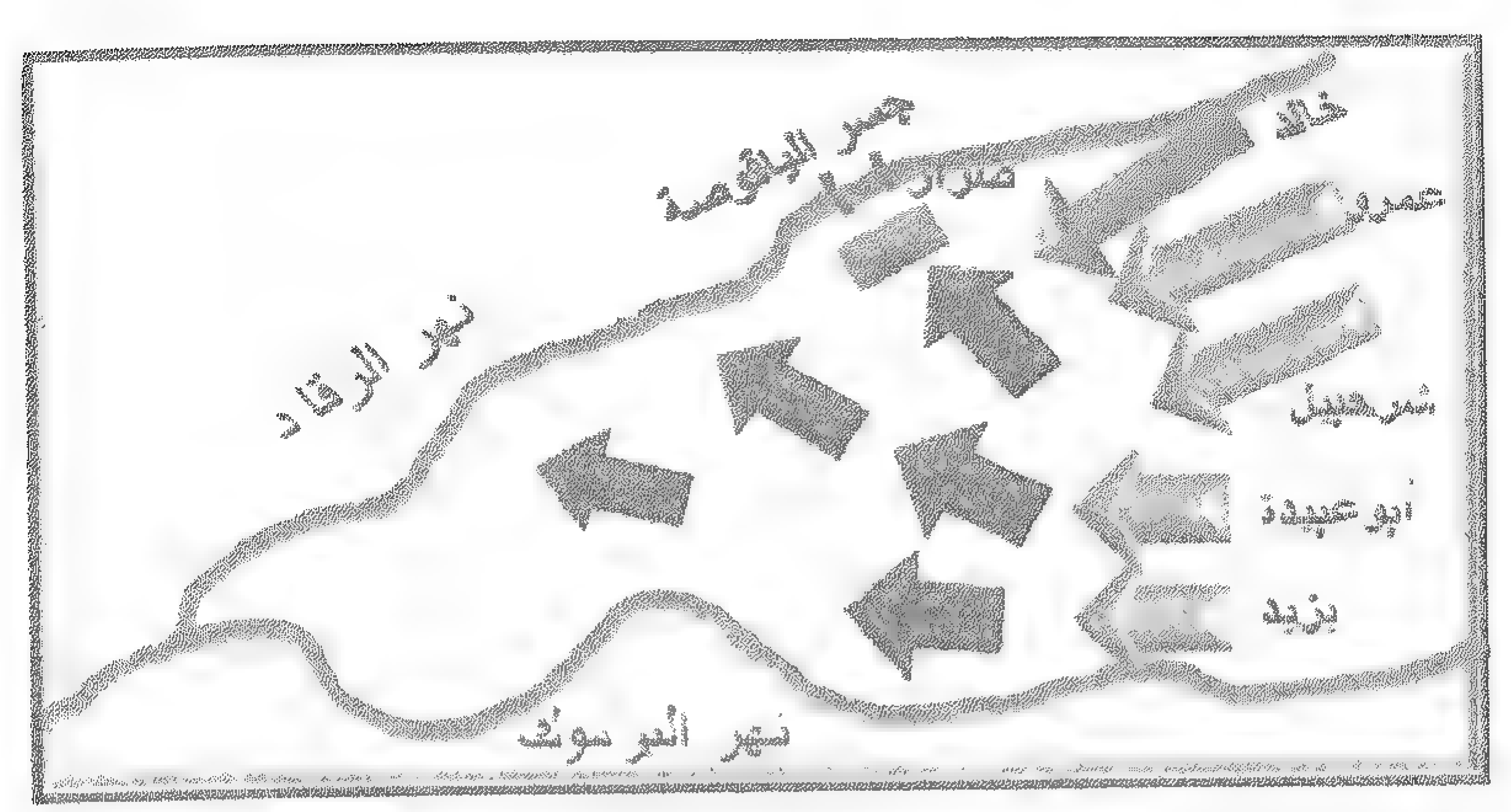
وبعد تشتت فرق الخيالة البيزنطية ، تحول خـــالد لمهاجمة قلب الجــيش البيزنطى من الخلف . وكان الأرمن من المقاتلين الأشداء الذين كانوا على وشك النصر على المسلمين قبل يومين عندما قاموا بإختراق جيش المسلمين ، ولكن تحت هجمات من اتجاهات ثلاثة فى آن واحد ، فرقة الفرســـان بقيادة خالد من جهة الخلف ، وفرقة عمروبن العاص من اليمين وجنود شرحبيل من الأمام وبدون دعمٍ من الفرسان الروم ، إضافة إلى الإختلال الذى أحدثته في صفوفهم جنود السلاف بقيادة " قناطر" المتراجعة ، لم يكن للأرمن أى فرصة للصمود فهزموا . وبعد هزيمة الأرمن هُزمت كافة الجيوش البيزنطية ، وتشتت البعض بشكل عشوائى ، والبعض تراجع بإنتظام باتجاه الغرب نحو وادى الرقّاد .



هجوم فرسان خالد من الخلف والمشاه من اليمين والأمام كروكى رقم (٢٧)

ولكن عندما وصلت قوات البيزنطيين إلى المعبر الضيق على النهر ، وجدت مجموعة من فرسان المسلمين ، بقيادة ضرار بن الأزور بإنتظارهم كجزء من

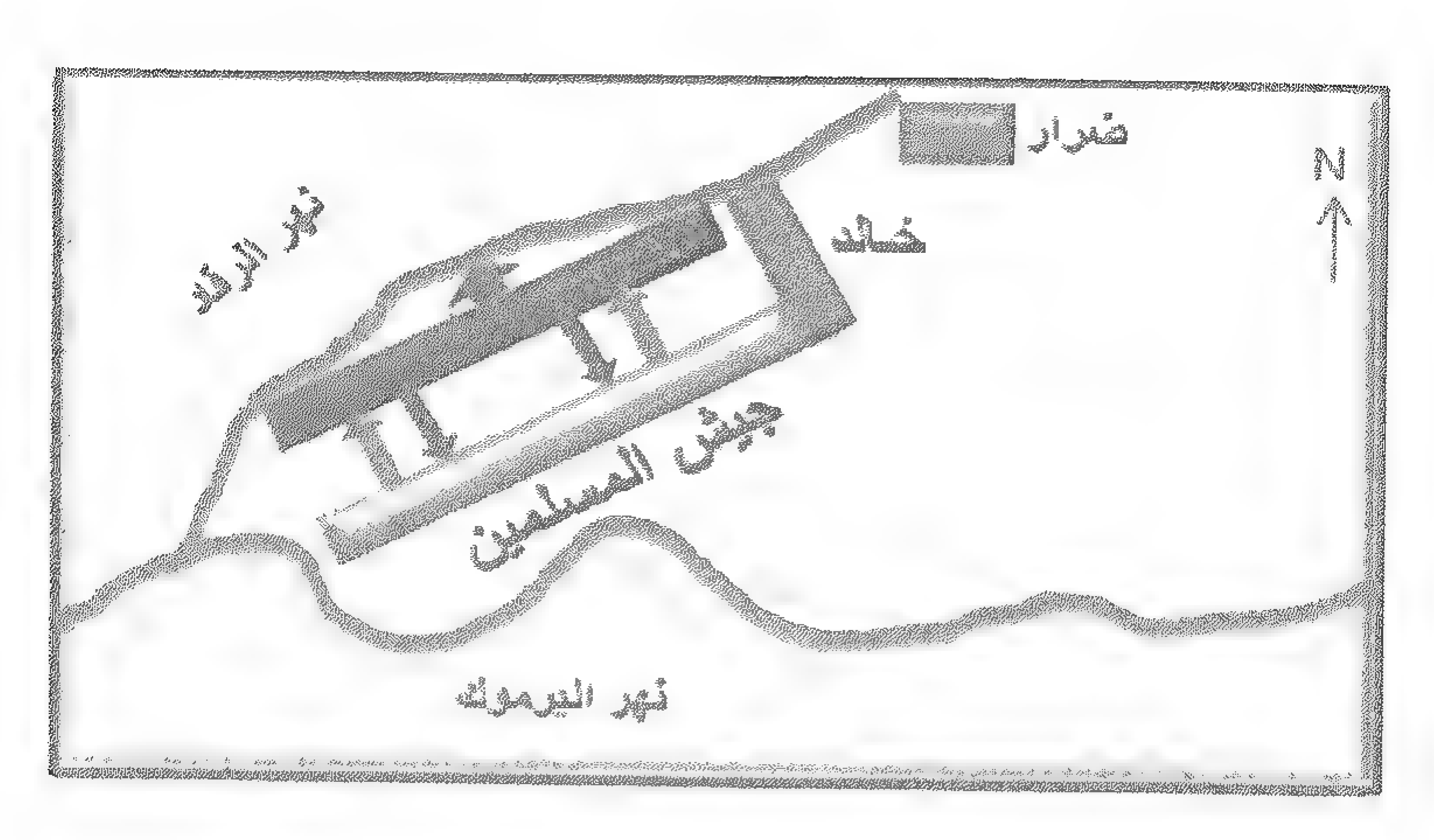
خطة خالد ، فقد أرسله على رأس مجموعة من الخيالة ، قوامها حوالى خمسمائة فارس لسد المعبر الضيق الذى يبلغ عرضه خمسمائة متر فقط ، ومنع أى قوات من الهرب .



هزيمة القوات البيزنطية وغلق معبر الياقوصة　　　　كروكى رقم (٢٨)

والآن أصبح الجيش البيزنطى مطارد ومحاصر بين جنود المشاة اللذين يهاجمون من الشرق ، وفرسان خـــالد بن الوليد تضغط من خلفهم جهة الشمال ، ومجموعة فرسان ضرار بن الأزور تحتل المعبر الضيق من جهته الجنوبية . فلا طريق للفرار إلا اتجاه الغرب حيث الجرف العميق التابع لنهر اليرموك والتي تراجعت إليه القوات البيزنطية .

وبدأت المرحلة النهائية من المعركة ، وهى أسوأ ما يصل إليه قائد فى معـــركة ، حين يفقد السيطرة على الموقف ، ويبدأ كل فرد فى البحث عن طريق للنجاه ، فكان ذلك موقف الجيش البيزنطى ، فهرب جنودهم مذعورين عبرالجرف وسقطوا فى هوة الياقوصة أو وادى الرقاد ، ومن بقى تم حصارهم فقتلوا أو أسروا لتنتهي بذلك معركة اليرموك . وقيل أن خسائرهم حوالى مائة ألف قتيل وأربعون ألف أسير، وخسائر المسلمين بلغت حوالى أربعة آلاف شهيد .



مرحلة الحصار وحسم المعركة   كروكى رقم (٢٩)

ولم يتواجد خالد بن الوليد مساء اليوم السادس بعد إحراز النصر وإنتهاء المعركة في معسكر المسلمين ، بل شوهد مساء اليوم التالى فى المعسكر، فقد تابع خـــالد بن الوليد وفرقته فلول " ماهان" المتجهة إلى دمشق واشتبك معهم ليُقتل " ماهان" على يد أحد المقاتلين المسلمين ، فقد قطع رأسه وصرخ والله قد قتلت " ماهان " .

وكانت العادة السائدة آنذاك أن المعركة تنتهي بقتل الأمير أو بهروب الجيش المنكسر ، ولذلك فكان آخر ما توقعه "ماهان" وجنوده المنهزمين هو متابعة خالد لهم . وعندما علم هرقل بهزيمة قواته فى اليرموك ، يأس من بقاء الشام فى يده فودع سوريا وداع الحزين بقوله : " عليك السلام ياسورية .. سلاما لا اجتماع بعده .. ولا يعود إليك رومى أبداً " .. وغادر عائداً إلى القسطنطينية .

تحليل المعركة :

تعتبر معركة اليرموك من أهم المعارك التى غيرت وجه التاريخ ، فبعدها تمكن جيش المسلمين من إستكمال فتوحاته فى الشام ونشر الإســـلام بها ، وإجلاء الدولة البيزنطية عن تلك البقاع .

ولقد عبر عن ذلك الكاتب جورج . ف. نافيزجر ومارك والتون فى كتابهما " إسلام فى حرب " واصفان هذه المعركة فقالا : " على الرغم من أن معركة اليرموك معروفة قليلاً هذه الأيام ، لكنها واحدة من أهم المعارك المؤثرة فى التاريخ الانسانى .. فبعد هزيمة قوات هرقل تغير العالم المعاصر ولم يُدرك ذلك فى حينه "[١].

ويمكن اعتبار هذه المعركة نموذجاً فى التاريخ العسكرى ، يثبت إنه يمكن لقوات دولة صغيرة ، أن تهزم قوات دولة كبيرة رغم تفوقها فى العدد والعده ، فى حالة توفر مقاتلين اشداء لديهم عزيمة على تحقيق النصر ، وخلفهم قائد كفء قادر على إدارة المعركة بنجاح .

ولكن هذا النموذج من الصعب تكراره ، ولتوضيح صعوبته علينا أن نتصور سيناريو خيالى ، وهو قيام الجيش الإيرانى على سبيل المثال ، بمهاجمة الجيوش الأمريكية فى العراق أو افغانستان ، والحاق الهزيمة بهم ، على الرغم من دعم قوات التحالف ، ووجود قوات وطنية موالية لهم . ونستكمل هذا السيناريو الوهمى بانسحاب القوات الأمريكية والمتحالفة معاً ، تاركين المنطقة لمصيرها ، ونتيجة لهذا الانتصار الغير متوقع ، يمتد التيار الشيعى والسيطرة الإيرانية على المنطقة العربية كلها. ولو حدث هذا التصور ونجحت القوات الإيرانية فى مهمتها الخيالية ، يمكن فى هذه الحالة اعتبار هذا النجاح مثيلاً وتكراراً لانتصار خالد فى معركة اليرموك .

لقد اردت أن أفرض هذا التصور الخيالى أو الجنونى ، الذى يصعب حدوثه ، ليس تقليلاً من شأن القوات الإيرانية ، ولكن لندرك قيمة وحجم وأثر الانتصار الذى حققه خالد سيف الله على جيوش الدولة البيزنطية فى ذاك الزمان .

---

[١] Although Yarmouk is little known today, it is one of the most decisive battle in human history...... Had Heraclius's forces prevailed, modern world could be so changed as to be unrecognizable. ISLAM AT WAR. by George f. nafziger and mark Walton. P ٣٠

وعند تحليل المعركة من البداية ، نجد أن القيادة البيزنطية أخطأت خطأً جسيماً ، حين أعطت الفرصة للمسلمين لاختيار الأرض المناسبة لهم ، فاختاروا مكاناً مفتوحاً خلفهم ، يمكن منه تلقى أى امدادات من المدينة ، كما يمكن لهم التراجع عند حدوث أى مكروه ، بالإضافة إلى إمكان استخدام الخيل والفرسان فى مناوراتهم بسهولة وحرية .

وهذا الإختيار يرجع إلى خبرة خالد فى حروبه السابقة ، ومهارته الفطرية فى استغلال طبيعة الأرض لصالح قواته ، ووضح ذلك منذ بدء الوصول واقتراحه نقل معسكر المسلمين من الجابية إلى أذرعات ، وتركه أرض ضيقة خلف الروم لا تتيح لهم فرصة للتراجع أو الهروب ، وخلفها طريق امداد واحد فقط وضيق ، وقد تمكن خالد من غلقه فى اليوم السادس للهجوم ، وأغلب الظن أن الروم قد تصوروا أن هذا الموقع ، قد يحقق لهم تأميناً لأجنابهم ومؤخرتهم ، ولم يتصوروا مطلقاً أن المسلمين على قلة عددهم سوف ينتصروا عليهم .

ووضح من معارك البيزنطيين فى الشام ، أن استرايجية هرقل العسكرية تجاه المسلمين لم تحقق نجاحاً ، فالحشود العسكرية ومواجهة المسلمين وجهاً لوجه قد فشلت فى أجنادين ، ومع ذلك لم يستوعبوا ما حدث ولم يغيروا سياستهم ، وهاهى تفشل للمرة الثانية فى اليرموك . فكان على هرقل الاستفادة من الدرس الأول ، وتغيير سياسة المواجهة بأعداد كبيرة من القوات ، واللجوء إلى استراتيجية المواجهة الغير مباشرة ، عن طريق دعم عرب الغساسنة بكل ما يحتاجونه ، لتنفيذ سياسة النفس الطويل من خلال الهجمات الخاطفة والإغارات والكمائن ، حتى يستنزفوا جيش المسلمين تماماً وبعدها يمكن تنفيذ سياسة المواجهة العسكرية .

وفى المقابل كان خالد يتبع الاستراتيجيات الملائمة فى معاركه ، ويتضح ذلك على سبيل المثال عندما قرر خالد اتباع استرايجية الهجوم فى أخر يوم من المعركة ، حيث كان لديه تخيل وتصورعملى ، لتنفيذ مخاطرة محسوبة على أرض

المعركة ، وكان فى نفس الوقت يملك الشـــجاعة لتنفيذ خطته ، ولديه فرسان اشداء قادرين على هزيمة العدو فى الميدان .

وعلى الرغم من عدم تفوقه على جيش البيزنطيين عددياً والمقارنة فى غير صالحه ، فالعدو يزيد عنه حوالى خمسة أضعاف ، إلا أنه استطاع تجميع وتركيز فرسانه فى المكان والوقت المناسبين وتحقيق تفوق عليهم ، مطبقاً مبدأً هاماً من مبادئ الحرب وهو الحشد ، وهذا ما فعله فى نهاية اليوم الخامس ليلاً . وفى صباح اليوم السادس وجه هجمة غير متوقعة على ميسرة العدو، وطبق مبدأ آخر من مبادئ الحرب وهوالمفاجأه ، وبمجرد ظهور بوادرالنجاح استغلها وهاجم مؤخرة العدو، وانتزع المبادأة منهم لأول مرة ولم يتخل عنها ، وتمكن من دفع القـــوات البيزنطية نحو الهاوية . وكان"ماهان " فى الجانب الأخر على العكس تماماً .

ويعتبر خالد بن الوليد – بدون جدال – من أعظم القادة العسكريين فى التاريخ وخاصة فى مجال استخدام الفرسان ، التى تماثل ســـلاح المدرعات " الدبابات " فى العصر الحديث ، فوضعها فى الإحتياط خلف الأنساق الأولى من المشاه ، مثل أى معركة حديثة فى هذا العصر، واستغل ما تتميز به من مرونة وخفة حـــركة ، لتقوم بحماية الأجناب ، والقضاء على أى قوات تنجح فى إختراق دفاعات المسلمين .

وكان خالد فى نفس الوقت على دراية تامة بنقاط القوة والضعف فى سلاح الفرسان المعادى ، فحاصر العدو المخترق من الأجناب فى اليوم الثالث والرابع بقوات المشاه ، وحرك احتياطيات الفرسان فى الوقت والمكان المناسبين للقيام بالهجمات المضادة ، وأجبر العدو على الارتداد واستعاد الأوضاع الدفاعية إلى ماكانت عليه .

وعلى الجانب الأخر كان هناك ضعفاً واضحاً فى استخدام الفرسان من جانب ماهان ، فلم يستطع أن يستغل نجاحه فى تحقيق اختراقات فى دفاعات المسلمين ،

والوصول إلى معسكرهم الخلفى حتى اليوم الرابع قتال ، ولم يتمسكوا بالأرض التى وصلوا إليها سواء بمفردهم أو بالتعاون مع المشاه ، فكان استخدامه لقواته تقليدياً ، فهاجم بالأنساق الأولى خلال ثلاثة أيام وخلفها الفرسان ، ولم يكن لديه أى مرونة فى استخدام القوات ، فلم يستغل نجاحات الأيام الأولى فى القيام باعمال اختراقات أعمق أو الالتفاف من الأجناب ، على الرغم من أنه كان مهاجماً أغلب الوقت .

وفى المقابل كان خالد غير تقليدى فى استخدام قواته ، ووضحت عبقريته العسكرية فى اليوم السادس ، الذى استطاع فيه أن يعيد تنظيم قواته ، ويجمع فرسانه فى فرقة واحدة وينفذ مناورة فى صورة التفاف على ميسرة العدو ، ويحقق بها قوة الصدمة التى مكنته من إفقاد العدو لإتزانه ودفعه فى اتجاه الوادى .

وما قام به خالد فى معركة اليرموك من تجميع قوات الفرسان ، وتوجيه هجمة لها قوة الصدمة على الجانب الأيسر للعدو ، ثم استغلال النجاح والاندفاع إلى مؤخرة العدو ، يشابه تماماً ما قام به الفيلد مارشال الانجليزى مونتجمرى فى الحرب العالمية الثانية ، حين قام فى معركة العلمين فى نوفمبر ١٩٤٢ م بإختراق الدفاعات الألمانية ، من الجانب الأيسر أيضاً باستخدام الفيلق العاشر فى حشد ، ثم الاندفاع إلى مؤخرة الجيش الألمانى للقضاء على الفيلق المدرع الافريقى ، إلا أن القائد الألمانى روميل ارتد بدبابات الفيلق ، ولم يشتبك فى قتال مع الدبابات الانجليزية ، فطارده مونتجمرى وطرده من شـمال أفريقيا . فهل درس مونتجمرى وروميل معارك خالد بن الوليد ؟!

وفى معركة اليرموك لعبت النساء دوراً فاعلاً ومؤثراً ، فلم يقتصر دورهن على العمل الادارى المتمثل فى سقى المقاتلين ومداوة الجرحى والمصابين . بل امتد إلى تحفيذ المسلمين الذين ارتدوا نتيجة الهجوم البيزنطى فى الأيام الأولى للمعركة ، وكان تحفيذهن دافعاً قوياً لرجوع من ارتد لمعاودة الهجوم دفاعاً عن الشرف والعرض ، فنجح المسلمون فى رد المهاجمين البيزنطيين . ولم يتوقف

الدور النسائى على العامل المعنوى فى شحذ الهمم ، بل تجاوزه إلى مشاركة بعض النساء فى القتال مستخدمين الحجارة وأعمدة الخيام والعصى ، وخاصة عندما وصلت عناصر من الروم للتل المقام عليه معسكر النساء . فدور المرأة فى اليرموك علامة مضيئة فى التاريخ الإسلامى .

الدروس المستفادة من معركة اليرموك :

أولاً: أهمية دراسة موقع المعركة جيداً قبل البدء فى القتال :

وضح قيام خالد باستطلاع أرض المعركة ودراستها جيداً قبل البدء فى القتال ، فاختار موقعاً أفضل لقواته ، يتوفر له مكاناً مفتوحاً خلفه ، ويتيح له سهولة الامداد وأفضل استخدام لقواته ، مع توفر طرق يمكن استخدامها فى التراجع فى حال التعرض لهزيمة غير متوقعة . أما على الجانب البيزنطى فوضح عدم دراستهم لأرض المعركة جيداً ، فاختاروا مكاناً لايتوفر فيه شروط الامداد ولا فرص التراجع فى حال الهزيمة .

ثانياً: دور الفرسان (الدبابات) مؤثراً فى المعركة :

عندما شكل خالد قواته للمعركة وضع المشاة فى النسق الأول ، وخلفهم الفرســـان – التى تماثل الدبابات فى العصر الحديث – فى الإحتياط ، واستخدم الفرسان لحماية الأجناب وفى القيام بالهجمات المضادة ، ضد القوات التى نجحت فى الإختراق أو التسلل إلى العمق أو المؤخرة . فأعطى خالد بن الوليد بذلك درساً مثالياً فى استخدام الفرسان فى تعاون مع المشاه أثناء إدارة المعركة . وما يدرس حالياً فى جميع المعاهد العسكرية فى الشرق والغرب عن معركة الاسلحة المشتركة ، ماهو إلا نفس اسلوب خالد فى استخدام الخيالة (الدبابات) مع المشاه .

ثالثاً: يجب استخدام الفرسان (الدبابات) فى حشد لتحقيق قوة الصدمة :

أدرك خالد بعبقريته العسكرية أهمية استخدام الفرســان مجمعة فى حشد لتحقيق قوة الصدمة ، وبالتعاون مع المشاه (ميمنة فرقة عمرو بن العاص) تمكن من تحقيق اختراق فى صفوف العدو ، استغله فى الإندفاع إلى مؤخرتهم وحصرهم من الامام والخلف وتمكن من القضاء عليهم . وهذا هو الاستخدام الأمثل للفرسان (الدبابات) .

رابعاً: ضرورة تغيير الاستراتيجية الدفاعية عندما يحين الوقت المناسب :

اتبع خالد استراتيجية دفاعية فى المعركة لإنهاك العدو لمدة خمــسة أيام ، وحين أحس بوهن العدو وضعفه ، وتوقف قوة الدفع فى هجوم الجانب البيزنطى ، وشعر أن قواته قادرة على التحول للهجوم ، وتنفيذ مخططه الجديد، قرر تغيير سياسته الدفاعية والتحول الى الهــجوم ، فكان هذا التحول العسكرى فى الموقف وفى تغيير الاستراتيجية فى الميدان ، هو نقطة التحول الحاسمة ليس فى المعركة بل فى تاريخ المنطقة كلها ، فانتصر جيش المسلمين وانتشرالإسلام ، وتراجعت بغير رجعة سيطرة الروم على المنطقة ، وبدأ إنهيار تلك الدولة العظمى على يد خالد **سيف الله** .

خامساً: القائد الكفء دائماً وراء النصر فى المعركة :

لم تحقق جيوش المسلمين الأربعة أى انتصارات حقيقية قبل وصول خالد بن الوليد إلى ميدان الشام . ولم يتم تجميع الجيوش تحت قيادة موحدة إلا تحت قيادته ، فليس بين الأمراء من له خبرته ولا امكانياته ، خاصة فى قيادة الجيوش وقت المعارك . واكتسب خالد تلك الخبرات من حروب الردة ومعارك فتح العراق . وعندما قاد الجيوش الإسلامية فى معركة اليرموك ، اعاد تنظيم الجيش بالشكل الملائم وخاض القتال وادارالمعركة بحنكة وإقتدار، كأنه خريج فى أرقى المعاهد العسكرية ، فكان دوره مؤثراً فى تحقيق النصر ، فخلف كل

انتصار قائداً كفء . ومع ذلك لا يمكن إغفال دورالمقاتلين المجاهدين فى نجاح المعركة من خلال الصمود خلال الخمسة أيام الأولى ، والدور البطولى الذى لعبه العديد منهم لإيقاف تقدم القوات البيزنطية فى اليوم الرابع قتال .

* * *

لماذا انهزم البيزنطيين وانتصر المسلمون فى اليرموك ؟

سؤال يتبادر إلى الأذهان بعد معركة اليرموك ، لماذا انهزم البيزنطيين وانتصر المسلمون ؟ بالطبع كانت هناك أسباباً عديدة للهزيمة .. وبالدراسة والتحليل نجد أن أسباب هزيمة القوات البيزنطية فى اليرموك أو أى قوات عسكرية أخرى ، قد يكون أحد أسبابها الرئيسية قلة العدد والعده ، وهذا يعنى عسكرياً عدم الحشد الكافى للقوات والمعدات القتالية ، وعندما نطبق ذلك على الجيش البيزنطى ، نجده أكثر عدداً وعده ، فاستطاع أن يحشد قوات خمسة أضعاف جيش المسلمين . وبالتالى نستبعد قلة العدد والعده كسبب للهزيمة .

وعندما نُرجع الهزيمة إلى سبب أخر، وهو نقص التسليح أوعدم كفايته ، أو إلى نقص فى التدريب أوعدم وجود خبرات قتالية ، أوعدم تنفيذ تكتيكات مناسبة فى الميدان ، فكيف يكون ذلك والجيش البيزنطى جيشاً حديثاً ومُدرباً ، وقريب من عهد الانتصارعلى الفرس ، ويستخدم فى قتاله أحدث وسائل القتال وتكتيكات العصر، وقد حارب المسلمين وكاد أن يحقق النصر على المسلمين فى نهاية اليوم الرابع . وبالتالى نستبعد هذا السبب أيضاً للهزيمة .

فهل سبب الهزيمة يرجع إلى عدم وجود قيادات ماهرة فى الميدان ؟ . بالتأكيد لا .. فكان لديهم القائد ماهان ملك أرمينيا ، ومعه ملوك وأمراء وقادة بجيوشهم فى المعركة ، واستطاعوا تكبيد المسلمين خسائر كبيرة فى الأرواح ، ولا ننسى اليوم

الرابع ، يوم خسارة العيون ، والهجوم الشرس الذى أوقفه صناديد المسلمين وعلى رأسهم عكرمة بن أبى جهل . كل ذلك دلالة على وجود قيادات ماهرة لدى البيزنطيين فى الميدان ، ولهذا نستبعد هذا السبب كأحد أسباب الهزيمة .

ومما سبق نجد أنه توفر للجيش البيزنطى كل مقومات تحقيق النصر، الحشد بالآلاف ، وتوفر الاسلحة والمعدات ، ومشاركة الملوك والأمراء والقادة ، بالقتال مع جنودهم بالميدان . إلا أنه فشل فى مهمته !! ونرى أن أسباب الهزيمة ترجع إلى جوهر الجيش البيزنطى وحقيقته ، فكان جيشاً عصرياً شكلاً فقط ، أما الجوهر فكان مختلفاً ، فالجنود أجناساً شتى ، جمعوهم مُجبرين على القتال ، لا ولاء لدولتهم فمعظمهم من طبقة العبيد ، وإن كان الدين يجمعهم ، فاختلاف المذاهب يُفرقهم ، ومن أجل ذلك كانوا يُربطون بالسلاسل حتى لا يفروا من الميدان .

أما جيش المسلمين فكانوا أحراراً من أمة واحدة ، متطوعين للجهاد فى سبيل الله ويدينوا بعقيدة واحدة ، ويجمعهم هدف واحد تحت راية واحدة ، وكانوا يقاتلوا ويُصفوا فى الميدان تحت لواء قبيلتهم أوعشيرتهم ، فيجمعهم التمايز والتحيز، فيقاتلوا فى غيرة على شرفهم متحدين كوحدة واحدة ، كالبنيان المرصوص ، ويقودهم خالد بن الوليد ، الفارس الصنديد ، فمن يقف أمامهم ؟

***

معركة الحاضر وقنسرين

(جمادى الأول ١٦ هـ / يونيه ٦٣٧ م)

بعد انتصار المسلمين فى معركة اليرموك ، تحرك أبوعبيدة ومعه خالد بن الوليد شمالاً لاستكمال الفتوح ، فتم فتح بعلبك وحمص على يد أبى عبيدة ، وسار إلى حماه ومعه خالد فصالحهم أبوعبيدة ، ثم تقدم المسلمون وساروا على الساحل ففتحوا طرطوس وبانياس واللاذقية . ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد لفتح قنسرين(١) . وفى الطريق نزل منطقة الحاضر على بعد حوالى خمسة كيلو مترات من قنسرين ، فتعرض إلى هجوم بيزنطى بقيادة قائد حامية قنسرين " ميناس " ويقال .. إنه من أعظم قادة الروم بعد هرقل ، وكان جنوده يحبونه كثيراً لشجاعته ومروءته ، وأراد مفاجأه خالد والفتك بجيشه دون إنتظاره فى قنسرين .

ولكن كان خـــالد كعادته دائماً يسير فى تعبئة كاملة وعلى أهبة الإستعداد ، فلم يتفاجئ واشتبك الجيشان فى قتال شـــديد ، وما هى إلا برهة حتى قتل خـــالد " ميناس" فى بداية المعركة ، ولما علم جنوده بمصرعه إستشاطوا غضباً واندفعوا فى حمية ، يقاتلون قتالاً وحشياً إنتقاماً لمصرع قائدهم ، وظنوا أنهم سيهزمون المسلمين ، فامتص خالد هجومهم والتف بفرسانه عليهم من الخلف ، وحاصرهم من جميع الاتجاهات فى اسلوب اعتاد عليه ، ثم هاجمهم وقتلهم فهلك منهم الكثير وفر القليل .

وبعد المعركة توجه له كبار أهل الحاضر لتحيته والترحيب به ، وقالوا له .. إنهم عرب مثل المسلمين وليس لديهم النية على قتال خالد وجيشه ، فقبل خالد إستسلامهم بدون قتال .

---

(١) قنسرين : تقع فى الجنوب الغربى من مدينة حلب وعلى مسافة ٣٠ كم .

وسار خالد بعد أن إنتهى من الحاضر إلى قنسرين ، وقد سبقه نفر قليل من جنود الروم الباقين من معركة الحاضر ، وقصوا على أهل قنسرين ما حدث ، فتحصنوا فى القلعة ومعهم أهلها خوفاً من مصيرهم على يد خالد ، وعند وصوله تطاولوا بالكلام عليه فقال لهم : " لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا ". فراجعوا أمرهم ، وتذكروا ما لقى أهل حمص من قتل وحصار فى ظروف البرد الشديد وفى النهاية سلموا مثل باقى البلدان ، فطلبوا الصلح على ما تصالح عليه أهل حمص ، فرفض خالد إلا على خراب المدينة عقاباً لهم ، فكان له ما أراد . وهذا هو طابع خالد بن الوليد الفارس ، الذى يغلب عليه الشهامة مع القسوة ، فعفى عن أهل الحاضر عندما اعتذروا له ، وعاقب أهل قنسرين عندما تطاولوا عليه .

وبعد قنسرين سار خالد على رأس جيشه مع أبى عبيدة ، ضمن حملة المسلمين فى الأناضول ، فشارك فى معركة الجسر الحديدى على نهر العاصى فى نهاية عام ١٦ هـ ، ونسبت هذه المعركة للجسر الموجود على النهر ، ثم توجه إلى مرعش جنوب جبل طوروس ، وحاصرها وفتحها وأجلى أهلها فى عام ١٧ هـ الموافق ٦٣٨ م ، وكانت وقعة خالد مع الروم فى الحاضر وخراب قِنسرين وما تبعهما ، مدعاة لأن يغيرعمر بن الخطاب أمير المؤمنين رأيه فى خالد ويرضى عنه . ويقول قولته المشهورة : " أمَّر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى " . وهو بذلك يرجع عن رأيه السابق ، ويعتبر ماذكره مديحاً لخالد وخاصة أنه صدر عن عمر. وكان فتح مرعش اخر اعمال خالد لأنه تم عزله بعدها بأشهر قليلة .

***

معارك خالد فى الشام

م	اسم المعركة	التاريخ	مسافة التحرك	قادة المسلمين	قادة الروم / الغساسنه
١	بُصرى	٢٥ ربيع اول ١٣ هـ ـ ٣٠ مايو ٦٣٤ م	١١٠ كم من مرج راهط	خالد بن الوليد – شرحبيل بن حسنه	الغساسنه – الروم
 ٢ ٣ ٤ ٥	حول اسوار دمشق : أ- كلاوس ب- عزازيز ج- بوردان د- قبل اجنادين	ربيع الثانى ١٣ هـ يونيه ٦٣٤ م جماد اول ١٣ هـ يوليه ٦٣٤ م	٨٠ كم من بصرى إلى دمشق	خالد – ابوعبيدة عمرو– يزيد - شرحبيل ضرار – خالد - خولة بنت لأزور خالد – ابوعبيدة	كلاوس عزازيز بوردان اهل دمشق
٦	أجنادين	٢٧ جماد اول ١٣ هـ ـ ٢٩ يوليه ٦٣٤ م	٤٠٠ كم من دمشق	خالد – ابو عبيدة – عمرو – شرحبيل – يزيد بن ابى سفيان	بوردان تيودراس
٧	الياقوصة	١٣ جماد ثان١٣ هـ ـ ١٥ اغسطس ٦٣٤ م	٣٠٠ كم من أجنادين	خالد – ابوعبيدة – يزيد	فلول المرتدين من معركة اجنادين
٨	مرج الصفر	١٧ جماد ثان ١٣ هـ ـ ١٩ اغسطس ٦٣٤ م	٩٠ كم من الياقوصة	خالد بن الوليد	الروم
٩ ١٠	حصاردمشق فتح دمشق	قبل فتح دمشق ١٨ رجب ١٣ هـ ـ ٢٠ سبتمبر ٦٣٤ م	١٠ كم	خالد بن الوليد	توماس – هربيس
١١	مرج الديباج	٢٥ رجب ١٣ هـ ـ ٢٧ سبتمبر ٦٣٤ م	٢٤٠ كم ذهاب واياب	خالد – ضرار – عبد الرحمن الصديق– رافع	توماس – هربيس

١٢	حصن أبى القدس	١٦ شعبان ١٣ هـ ١٨ اكتوبر ٦٣٤ م	٦٠ كم ذهاب واياب	خالد بن الوليد – عبد الله بن جعفر	الروم – الغساسنه
١٣	فحل بيسان	٢٨ ذى القعدة ١٣ هـ ٢٣ يناير ٦٣٤ م	١٣٠ كم من دمشق	خالد – ابو عبيدة – عمرو – شرحبيل – يزيد بن ابى سفيان	سكلاريوس
١٤	مرج الروم	ربيع اول ١٤ هـ مايو ٦٣٤ م	١٣٠ كم من فحل	خالد بن الوليد ابوعبيدة بن الجراح	توذرا – شنس الرومى
١٥	حمص	شوال ١٤ هـ ديسمبر ٦٤٦ م	١٥٠ كم من المرج	خالد بن الوليد	اهل حمص
١٦ ١٧	قبل اليرموك اليرموك	قبل معركة اليرموك ٨ رجب ١٥ هـ ١٦اغسطس ٦٣٦ م	٢٥٠ كم من حمص	خالد بن الوليد خالد – ابو عبيدة – عمرو – شرحبيل – يزيد بن ابى سفيان	جبلة بن الايهم ماهان – قناطير– دريجان جريجورى –
١٨	الحاضر	جماد الاول ١٦ هـ يونيه ٦٣٧ م	٣٩٨ كم	خالد بن الوليد	ميناس
١٩	قنسرين	جماد الاول ١٦ هـ يونيه ٦٣٧ م	٢ كم	خالد بن الوليد	اهل قنسرين
٢٠	الجسر الحديدى	ذو الحجة ١٦ هـ يناير ٦٣٨ م	١٥٠ كم	خالد – ابوعبيدة	الروم
٢١	مرعش	١٧ هـ ٦٣٨ م	٣٠ كم	خالد بن الوليد	حصار المدينة
	الأجمالى		**٢٤٣٠ كم**		

جدول رقم (٥)



معارك خالد فى الشام

خريطة رقم (٦)

إختلاف المؤرخون حول المعارك !!

اختلف المؤرخون العرب والأجانب على ترتيب أماكن وأزمنة المعارك ، التى خاضها المسلمون فى فتوح الشام ، وخاصة المعارك الرئيسية أجنادين واليرموك ، ولكل مبرراته وتفسيراته التى يسوقها ليثبت حجته فيما يقول . ويرجع ذلك الإختلاف إلى عدم وجود تسجيل دقيق ، لتلك الوقائع فى ذلك الزمان ، واعتماد المؤرخون على ما ذكره وتناقله الرواه الأقدمين ، فكان طبيعياً أن يكون هناك إختلاف ، لأن من ينقل خبر عن معركة وتاريخها وتفاصيلها ، قد يزيد فى التفاصيل أو ينسى تاريخ فيقربه إلى شهر وأحياناً عام ، ولكن الذى ليس فيه إختلاف ، هوحقيقة وقوع تلك المعـــارك والانتصارات التى حققها المسلمون ، وإلا ما انسحبت القوات البيزنطية من الشام وما انتشر الإسلام بتلك البقاع .

وهناك من ذكر من المؤرخين والكُتاب أن معركة أجنادين هى المعركة الرئيسية الأولى ، ووقعت بين جيوش المسلمين والدولة البيزنطية فى عام ثلاثة عشر هجرياً (الموافق ٦٣٤ م) وبعدها كان فتح دمشق ، ثم كانت معركة اليرموك فى عام خمسة عشرهجرياً (الموافق ٦٣٦ م) وهذا ما ذُكر فى معظم المراجع الأجنبية .

إلا أن هناك من بدل أسماء المعركتين ، وقال أن اليرموك هى المعركة الرئيسية الأولى فى عام ثلاثة عشر هجرياً ، والمعركة الثانية هى أجنادين فى عام خمسة عشر هجرياً ، وحجتهم فى ذلك أن كتاب أبوبكر الصديق لخالد يقول فيه .. " سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك " ، ومن هنا نجد أن لا إختلاف بين المؤرخين على حدوث هاتين المعركتين ، بل إتفاق على أن أحدهما قد حدثت قبل فتح دمشق والأخرى بعدها ، ولكن الإختلاف من كانت الأولى ؟

ونحن فى كتابنا قد سرنا على رأى المؤرخين العرب والأجانب ، الذين ذكروا أن معـــركة أجنادين هى الأولى فى عام ثلاثة عشر هجرياً(الموافق٦٣٤ م)

وبعدها كان فتح دمشق ، ثم معركة اليرموك فى عام خمسة عشر هجرياً (الموافق ٦٣٦ م) وقبولنا لهذا يرجع إلى المنطق ، فمعركة أجنادين من الطبيعى أن تكون ضد جيش الروم الأصغر، ولما فشلوا فيها وانهزموا ، كانت المعركة الثانية مع الجيش الأكبر، الذى حشد له هرقل جيوشاً بملوكها وأمرائها من الدول الحليفة ، للثأر من هزيمته الأولى ودحر جيوش المسلمين وطردها من الشام .

وأما ما قيل بأن الخليفة أبوبكر الصديق ، قد أرسل كتاباً لخالد يأمره بالسير إلى اليرموك ، فاليرموك ما هى إلا إشارة لمركز الشام من جهة الجنوب ، والتى منها يبدأ الإنطلاق لفتح الشام ، فلا نتصور أن يقول الخليفة لخالد توجه إلى الشام ، فى أى مكان فى الشام ؟ فيجب أن يكون هناك مكاناً محدداً للمقابلة ، وعندما أرسل فى نفس الوقت كتاباً آخر لأبى عبيدة يقول فيه .. " لقد وليت خالدا قتال العدو فى الشام فلا تخالفه وأسمع له وأطع " فهذا يعنى بوضوح أن خالد هو أمير الجيوش لقتال العدو فى كل الشام .

وعندما وصل خالد الشام وأدرك الموقف وخطورة حشد الروم فى أجنادين ، أرسل لأمراء الجيوش بالتجمع هناك لمواجهة تلك الحشود ، وعندما اجتمعت الجيوش الإسلامية فى أجنادين ، لم يطلب منهم خالد أن يسلموه الإمارة لأنه كان بالفعل أمير الجيوش . بينما طلب الإمارة فى معركة اليرموك – بعد أن تم عزله بعد فتح دمشق – وقال للأمراء .. فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن عليه بعضنا اليوم والأخر غداً ، ثم تنازل له أبوعبيدة عن إمارة الجيوش ، وهذا يؤكد على أن معركة اليرموك هى المعركة الكبرى الثانية بعد فتح دمشق وليست الأولى .

ويتمشى ماذكرناه مع بعض ما ذكره اليعقوبى ، حيث قال : " وكانت أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ثم مرج الصُفر ثم دمشق فى رجب سنة ١٤ هـ ثم فحل ثم حمص ، وتراجع أبوعبيدة فعسكر بالمسلمين على اليرموك لما بلغه ما جمع هرقل وكانت وقعة اليرموك سنة ١٥ هـ ، وبعدها رجع أبو عبيدة إلى حمص " .

وبهذا يتفق البلاذرى واليعقوبى والواقدى وابن كثير والطبرى على أن وقعة أجنادين كانت قبل دمشق سنة ١٣ هـ وأن اليرموك سنة ١٥هـ . إلا أن الطبرى عاد وعكس وذكر أن اليرموك سنة ١٣ هـ وأجنادين ١٥ هـ ، وكأنما أراد أن ينقل كل وجهات النظر عن ما سمعه عن تاريخ المعركتين .

ويضاف للإختلاف أيضاً معركة الياقوصة ، التى كانت بعد معركة أجنادين وقبل معركة مرج الصُفر ، ولم يذكرها سوى البلاذرى والطبرى ، حيث قال الطبرى[1] .. " فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأول سنة ثلاث عشرة ، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين وقُتل خليفة هرقل، واستشهد رجال من المسلمين ، ثم رجع هرقل للمسلمين فالتقوا بالواقوصة فقاتلوهم وقاتلهم العدو " . وهذا يعنى بوضوح أن أجنادين هى المعركة الكبرى الأولى ، وبعدها كانت معركة الواقوصة أو الياقوصة فالمكان واحد .

***

(١) انظر كتاب الأمم والملوك للطبرى .. ج ٢ ص٣٤٧ .

فن القتال فى معارك سيف الله
بين الماضى والحاضر

سردنا معارك خالد سيف الله ، وحللناها وذكرنا رأينا فيها بواقعية ، دون السير وراء المبالغات أو الإنسياق وراء العواطف أو الروايات غير المنطقية ، وخرجنا بدروس مستفادة من تلك المعارك ، هى فنون فى القتال نحن فى أشد الحاجة إليها كمسلمين لنتعلم منها ، ويدرسها أبناؤنا العسكريون فى معاهدهم العسكرية ، فتاريخنا العسكرى نحن آولى به من غيرنا ، وهو ملئ بكل الدروس التى نحتاجها لنشكل منها عقيدة قتالية عربية .

والغريب أن ما قدمه خالد من فنون وأساليب قتالية فى الماضى ، نفذها الكثير من القاده فى عصور لاحقة ، والأغرب تطبيق تلك الفنون والأساليب القتالية بالمدارس العسكرية فى العصر الحالى . ونحن – بدون إنحياز– لانرى أن عقائد الشرق أو الغرب العسكرية تتضمن أكثر مما لدينا ، وفن القتال فى معارك خالد خير شاهد على ذلك ، وفيه كل مانحتاج إليه ، ولقد حاولنا جاهدين أن نصور بالكلمات والرسومات معارك سيف الله ، عبر ما وصلنا من الرواه فى كتب المؤرخين الأولى ، وعلى الرغم من قلة التفاصيل المنقولة أو اختلاف بعض التواريخ المذكورة ، فلم نحاول أن نرسم صورة غير واقعية ، أو نضيف شئ إلى الأحداث حتى لا نغير فى الحقيقة التاريخية .

وفن القتال فى معارك سيف الله ، أول ما ظهر كان فى معركة أحد – عندما كان مشركاً – واقتنص وقتها فرصة إنشغال المسلمين بجمع الغنائم بعد انتصارهم فى الجولة الأولى ، فهاجمهم من خلف ظهورهم وشجع الكفار بعد فرارهم على معاودة القتال ، فحاصروا المسلمين من الأمام والخلف ، وقلب خالد ميزان المعركة وحول الهزيمة إلى انتصار، وأرسى بذلك مبدأ فى فن القتال هو قتال المؤخرة والأعماق ، وهذا ما يطبقه الغرب حالياً ويطلقون عليه DEEP BATTLE .

ولقد طبقت قيادة التحالف الدولى فى حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ م ، نفس الأسلوب – مع اختلاف المسافات ووسائل القتال – حينما التف الفيلق ١٨ الأمريكى والفيلق السابع البريطانى من اقصى الغرب ، لمهاجمة عمق القوات العراقية فى شمال الكويت ، وقامت باقى قوات التحالف بهجوم تثبيتى على طول خط المواجهة.

وفى معركة مؤتة ، بعد مقتل الأمراء الثلاثة واجتماع كلمة المسلمين على إمارته ، استطاع خالد أن يرسى أســس الارتداد المنظم المأمون كدرساً فى فن القتال ، فقام بتنفيذ مجموعة من الإجراءات الخداعية المنسقة ، إستهدف منها تضليل العدو عن نواياه الحقيقية ، للإ يحاء بأن هناك مدداً جديداً قد وصلَ إلى جيشه ليدعمه فى معركته . ونجح خالد بذلك فى خداع العدو عن طبيعة الأعمال التى قام بها ليلاً ، ثم شكل قوة تأمين كان خالد على رأسها لتأمين ارتداد جيشه ، وتمكن من الارتداد سالماً أمام جيش يفوقه عدداً وعده ودون ان يستطيع إيقافه . وهذا ما طبقه القائد الالمانى روميل فى شمال افريقيا فى معركة العلمين عام ١٩٤٢ م عندما رفض تبديد رجاله فى معركة خاسرة ، وأدرك إستحالة استمرار القتال وتحقيق النصرعلى الجانب البريطانى المتفوق فنفذ الارتداد المنظم المأمون .

وفى قتال المرتدين ، وضح فن القتال فى معركة عقرباء ، حين أعاد خالد تنظيم قواته فى ثلاثة ألوية طبقاً للإنتماء القبلى بعد الجولة الأولى التى خسرها المسلمون ، وفيها أدرك خالد أن تشكيل القتال المختلط من أهل القرى والبوادى كان خطأً ، فكانت وقفة لإعادة تنظيم جيش المسلمين طبقاً للإنتماء القبلى والعشائرى ، فكان لكلا من الأعراب والأنصار والمهاجرين لواءاً له راياته فتمايزوا ، وعندما عادوا للقتال إستمات المسلمون فى قتالهم ليس دفاعاً عن الإسلام فقط بل عن شرف قبيلتهم ، وإزدادت حدة التنافس فى القتال بين القبائل ، فتحول المسلمون إلى اسود ضارية إكتسحوا قوات مسيلمة الكذاب وهزموهم شر هزيمة .

وهذا التصنيف أو التمايز الذى نفذه خالد ، عملت به جيوش التحالف التى شاركت فى الحرب العالمية الأولى والثانية ، فقسموا القطاعات والمناطق بينهم ،

ووزعوا المسئولية على الفرق والوحدات التابعة لكل دولة ، ولم يحشدوهم معاً . وفى حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ م ، ساروا على نفس الدرب ، فقسموا الجبهة بين القوات الخليجية والمصرية والسورية والبريطانية والأمريكية . وفى حرب إسقاط صدام بالعراق عام ٢٠٠٣ م ، اتبعوا نفس الاسلوب ، فقسمت الجبهة بين القوات البريطانية لمهاجمة قطاع البصرة ، والقوات الأمريكية لمهاجمة قطاع بغداد .

وفى معركة ذات السلاسل أول معركة فى فتوح العراق ، إتبع خالد اسلوباً جديداً فى فن القتال ، وهو إنهاك قوات العدو بدنياً ونفسياً قبل الدخـــول فى المعركة ، فأجبر العدوعلى القيام بتحركات كثيرة ، لمواجهة تحركات جيش المسلمين الخداعية من كاظمة إلى الحفير ثم العودة إلى كاظمة مرة أخرى ، إلى أن وصلت قوات الفرس لحالة من الإرهاق البدنى والإنهيار النفسى ، لا تمكنها من القتال بصورة طبيعية . وهذا جوهر نظرية الاقتراب الغير مباشر لليدل هارت ، والتى تشير إلى أن النصر لايتحقق إلا من خلال الانهيار النفسى للعدو ، وهذا ما حققه خالد . وكان يدرك – فى الجانب الأخر – طبيعة المقاتل العربى ، وما يتمتع به من جلد ومثابرة وقدرة عالية على التحمل ، فتمكن من مهاجمة جنود الفرس وهزيمتهم .

وفى معركة الولجة ، كان اسلوبه جديداً فى فن القتال ، فلم يتبع خالد الاسلوب التقليدى وهو مهاجمة العدو من الأمام فقط ، بل دفع مجموعتين قتال كمنوا خلف العدو ، وفى اللحظات الحرجة من المعركة ، إندفعوا بالتتالى ليهاجموا العدو من الخلف ، فأحدثوا ذعراً بين صفوفه ، واستطاع خالد أن يحصر العدو بين قواته من جميع الجهات ، فلم يستطعوا الصمود ولاذوا بالفرار.

وفى معركة أُليس ، كان درس خالد فى فن القتال ، عن أهمية تحرك جيش المسلمين وهم فى تعبئة كاملة ، وعلى أهبة الإستعداد لملاقاة العدوعلى الرغم من سيرهم الطويل ، ولما وجدوا عدوهم على حاله من إقباله على طعامه وعدم

إكتراثه ، أمرهم خالد بالهجوم عليهم ، وهو ما لم يكن ينتظره الفرس ويتوقعوه ، فكانوا يعتقدوا بأن خالد سيأخذ قسطاً من الراحة بعد عناء رحلة طويلة ، إلا أن خالد إنتهز الفرصة وهاجم الفرس وحلفائهم ، وقضى عليهم .

وفى معركة فتح الحيرة ، كان خالد قد استولى على بعض السفن ، وبعد أن ضمن ولاء ربُانها ، استغلها فى نقل بعض جنوده ومعداتهم عبر النهر إلى الحيرة ، وبذلك أعطى خالد درساً فى الاستفادة من وسائل العدو التى تم الاستيلاء عليها – على الرغم من عدم إعتياد المسلمين ركوب البحر– فى سرعة نقل جنوده وفى نفس الوقت إعطائهم الراحة الكافية وعدم إجهادهم فى التحـــرك براً ، حتى يكونوا مستعدين للمعركة التالية .

وفى معركة الأنبار، أعطى خالد درساً فى كيفية التغلب على الموانع وإجتيازها ، فلم يعجز عندما واجه خندقاً ملئ بالماء ، ويعوق قواته عن اقتحام حصن الأنبار، فوجد الحل فى ردم ثغرة ضيقة فى الخندق ، ولجأ إلى اسلوب غير تقليدى وهو ذبح بعض الإبل النحيلة والضعيفة ، وألقى بها فى الخندق فشكلت جسراً تمكن من العبور عليها ، ثم هاجم الحصن وحاصـــر أهله ، وفى النهاية سلموا له وكان النصر حليفه . ولقد طبقت القوات المصرية أسلوباً مشابهاً فى حـــرب اكتوبر ١٩٧٣ م ، عندما عبروا القناه بإستخدام معابر الكبارى ، وحاصروا النقط القوية الاسرائيلية على الضفة الشـــرقية للقناه وفى النهاية اجبروهم على التسليم .

وفى معركة عين التمر ، وضح فن القتال فى العمليات الخاصة ، فقام خالد ومعه مجموعة مختارة من جنوده ، بتنفيذ إغارة جريئة وغير متوقعة ، وخطف عقة قائد العرب النصارى من وسط جنوده وهم مذهولون ، وهذه العملية كانت جزء من تخطيط المعركة ، فساعدت بجرأة تنفيذها ونجاحها فى إلحاق هزيمة سريعة للقبائل العربية فى الميدان وتغيير الموقف . ولقد نفذ الكوماندوز الألمان عملية خاصة ، بنفس أسلوب خالد فى الخطف مع اختلاف الدوافع والأسباب ،

وخطفوا حليفهم موسوليني من منفاه في جبل "جران ساسو" بإيطاليا عام ١٩٤٣ م وعادوا به لالمانيا جواً .

وفي معركة الحصيد ، برز فن القتال في اســلوب تشكيل القوات ، وتحقيق المفاجأه كمبدأ هام من مبادئ المعركة ، فشكل خالد قواته في نسق واحتياطي ، كأي جيش عصري ، وهاجم قوات العدو في وقت واحد في الحصيد والخنافس ، فأحدث مفاجأه وصدمة للعدو ، كان لها أثر كبير في تحقيق انتصار سريع للمسلمين في المعركة ، واحتفظ بلواء إحتياطي معه في منطقة عين التمر للتدخل في أي موقف طارئ . وما نجده في العصــــر الحالي ، أن جميع العقائد القتالية شرقاً وغرباً تشكل قواتها في معاركها في انساق ECHELONS ، مع الاحتفاظ باحتياطي RESERVE في الخلف للتدخل في المواقف الطارئة .

وفي معركة المُصيخ والثني والزميل ، أرسى خالد اسلوب القتال الليلي وتشكيل القوات في مجموعات قتال ، وهذا ما يطلق عليه الغرب TASK FORCE فقسم قواته في ثلاث مجموعات غالبيتها من الفرسان ، وهاجم من جميع الجهات ليلاً وكان أهلها في نوم وثبات ، فلم يتوقعوا هجوم المســـلمين في الليل ، وحقق بذلك المفاجأة ودمرعدوه . ومما لاشك فيه أن خالد قد أجرى كل التحضيرات اللازمة لهذه الإغارات الناجحة ، فالهجوم الليلي يحتاج تنسيقاً جيداً لجهود القوات المشتركة ، سواء أثناء التحرك أوعند تنفيذ الاقتحام . وفي العصر الحديث أصبحت المعارك الليلية هي اساس الأعمال القتالية ، اعتماداً على التطور الكبير في أجهزة الأتصال ، وأجهزة الرؤية الحديثة NVS ، وأنظمة الملاحة البرية GPS التي تعتمد على الأقمار الصناعية ، وقد نجح خالد بن الوليد في كل معاركه الليلية ولم يملك سوى تخطيطاً جيداً ورجالاً أكفاء .

وأعطى خالد في معظم معاركه بالعراق دروساً في فن القتال ، وخاصة فيما يتعلق بإجراءات المسير والتحركات ، فاختار الأرض المناسبة للتحرك ، التي تحقق له تأمين قواته وتضمن تأمين أجنابه ، حتى لو كانت مسافة التحرك أطول ،

فالتف حول النهر ولم يسر فى السواد بين نهرى دجلة والفـرات ، على الرغم من أن المسافة كانت أقصر، كما اتخذ دائماً إجراءات تأمين قواته أثناء التحرك ، ودفع مفارز التأمين أمامه بفترات زمنية مناسبة ، وهذا ما يطبقه الشرق والغرب فى العصر الحالى ، ويطلق عليه الغرب FOREWARD DETACHMENT وبهذا نجح خالد فى تحقيق الوقاية والتأمين للقوة الرئيسية ، وبهذا كان تحركه قتالياً مؤمناً .

كما قدم درساً فى كيفية تأمين ظهر الجيش فى المناطق المحررة ، فشكل حاميات عسكرية توضع تحت قيادة الأمراء فى الثغور ، ويُترك معهم مجمـوعة من الجنود لأعمال التأمين والحراسة ، وفرض النظام والسيطرة فى المنطقة ، ومن مهامها أيضاً الإبلاغ الفورى عن أى مواقف طارئة ، واستقبال الامدادات الجديدة من خليفة المسلمين ، كما يتم فيها رفع كفاءة الاسلحة وإصلاح العاطل ، وعلاج المصـابين من المعارك السابقة .

وأثبت خالد فى معاركه العديدة بالعراق ، أن النصر لا يأتى بالكثرة العددية ، على الرغم من التفوق العددى لقوات الفرس دائماً ، وفى معظم معاركه كانت مقارنة القوات فى صالح الفرس والقبائل العربية الحليفة ، حيث بلغت فى المتوسط أربعة إلى خمسة أضعاف جيش المسلمين ، وأكد خالد على أن النصر يأتى بالدراسة المتأنية للموقف والتخطيط الجيد ، مع سرعة إتخاذ القرار المناسب ومباغتة العدو وعدم إنتظاره ، ثم تأتى القيادة الماهرة للقوات فى أرض المعركة ، وقائدهم معهم يشاركهم القتال ويبث الحمية والحماس فى نفوسهم ، ولذلك كان النصر دائماً لخالد .

واثناء تحرك خالد إلى الشام ، كان درس خالد فى فن القتال ، هو كيفية إختيار الطريق الذى يحقق سرعة الوصول إلى العدو. فاختار أن يسلك طريقاً أقصر رغم أنه أصعب ، ليصل بسرعة إلى جيوش المسلمين بالقرب من دمشق ، فسلك طريقاً وعراً غير مطروقاً ، ولا يتوفر فيه ماء أو كلأ . ولكن كان خالد يدرك رغم تلك الصعوبات مزايا هذا الطريق ، فهو أقصر وغير متوقع من جانب

الروم، وسيكون بنهايته على مدخل دمشق من جهة الشرق . كما يوجد على هذا الطريق حصون ومدن صغيرة يمكن استغلالها فى تأمين الجيش إدارياً . وهذا الإقتراب الذى نفذه خالد والغير متوقع من جانب العدو ، ومكنه من احتلال مواقع وأهداف متتالية على طريق تحركه ، وهيئ الفرصة لهزيمة العدو فى مواقع أخرى بالشام . يعتبر من المبادئ الرئيسية لاستراتيجية الاقتراب الغير مباشر INDIRECT APPROACH ، والتى نفذتها القوات الالمانية فى الحرب العالمية الثانية .

وفى معركة أجنادين بالشام ، برز فن القتال فى توحيد القيادة ، فعندما أحس خالد بن الوليد بخطر التجميع القتالى لجيش الروم بأجنادين ، وتهديده لجيوش المسلمين الأربعة المنتشرة بالمنطقة ، أمرهم بالتجمع فى أجنادين كجيش واحد ، فأرسى بذلك مبدأ تشكيل قيادة موحدة ، لمجموعة جيوش تواجه خطر عدو مشترك فى مسرح عمليات واحد . وسار على نهجه الغرب فى الحرب العالمية الأولى حين أسندوا قيادة جيوشهم للجنرال الفرنسى" فوش" وعينوه قائداً أعلى لقوات التحالف فى الجبهة الغربية . ثم اتبعوا نفس الاسلوب أثناء الحرب العالمية الثانية ، فعينوا المارشال الأمريكى" دوايت ايزنهاور" قائداً أعلى لقوات الحلفاء فى أوروبا فى يناير ١٩٤٢ م ، وتكرر نفس الاسلوب فى عام ١٩٩٠ م أثناء حرب تحرير الكويت من الغزو العراقى ، فعينوا الجنرال الأميركى" نورمان شوارتسكوف " قائداً لقوات التحالف الدولى .

وفى معركة اليرموك كانت فنون القتال عديدة ، فكان منها درس الإختيار الجيد لميدان المعركة ، الذى يحقق الاستخدام الأمثل للقوات وخاصة الفرسان ، وأن يكون خلفه طرق امداد للقوات من الرئاسة الأعلى ، وفى نفس الوقت تسمح بالارتداد لو حدث إخفاق فى المهام . وكان هناك أيضاً درس تشكيلات المعركة ، فوضع خالد المشاة فى النسق الأول ، وخلفهم الفرسان – التى تماثل الدبابات فى العصر الحديث – فى الاحتياط ، واستخدم الفرسان لحماية الأجناب وفى القيام

بالهجمات المضادة ضد القوات التى نجحت فى الإختراق أو التسلل إلى العمق ، وهذا ما ينفذه الغرب ويطلقون عليه COUNTER ATTACK .

كما كان درس تنظيم الجيش فى كراديس ، درساً فى فن القيادة وادارة المعارك ، فقسم خالد الجيش إلى ستة وثلاثون كردوساً من المشاة وزعت على أربعة فرق ، وتشكلت كل فرقة من تسعة كراديس وكان يتكون كل كردوس من حوالى ألف مقاتل ، وعين أمراء شجعان لهذه الكراديس ونُظمت هذه الكراديس على أساس التجمع القبلى أو العشائرى ، وشكلت هذه الفرق النسق الأول لجيش المسلمين . وكان داخل الكردوس تنظيمات المئات والأعشار ، وهى تماثل السرية والفصيلة فى العصر الحالى ، وهو بذلك وضع أسس التركيب التنظيمى لجيش المسلمين .

واستهدف خالد من تنظيم الجيش فى كراديس ثلاثة أغراض ، الأول .. إظهار قوة الجيش بكثرته وعدته وهو مُقسماً فى كراديس ، بدلاً من دخوله المعركة مجمعاً بدون تنظيم ، والثانى .. تنظيم الكراديس طبقاً للعشائر والقبائل أثبت نجاحه فى حروب الردة وفتوح العراق ، فكل كردوس تحت قيادة أمير يقاتل بشجاعة دفاعاً عن الإسلام ، بجانب دفاعه المستميت عن شرف عشيرته ، فكان التنافس والتميز بين الكراديس فى الميدان على أشده ، والثالث .. يحقق تنظيم الجيش فرقاً وكراديساً ، سهولة القيادة والسيطرة لخالد على جيش المسلمين فى الميدان .

كما أعطى خالد فى اليوم السادس – الحاسم – من معركة اليرموك ، أعظم الدروس فى فن القتال ، حين استخدم الفرسان مجمعة فى حشــد لتحقيق قوة الصدمة ، وبالتعاون مع المشاه (ميمنة فرقة عمرو بن العاص) تمكن من تحقيق اختراق فى صفوف العدو ، استغله فى الإندفاع إلى مؤخرته وحصره من الأمام والخلف والقضاء عليه . وهذا هو الاستخدام الأمثل للفرسان التى تماثل الدبابات فى العصر الحالى . ونجد أن معظم المعارك التى حدثت فى الحرب العالمية الثانية ، نجح فيها الجانب الذى استخدم دباباته فى حشد ، ليحقق بها قوة الصدمه التى تمكنه

من اختراق دفاعات العدو ، ثم الإندفاع إلى مؤخرته كما فعل خالد . ونفس الاسلوب نفذته القوات البريطانية فى معركة العلمين فى شمـــال أفريقيا عام ١٩٤٢م ، والقوات السوفيتية فى معركة كورسك على الجبهة الشرقية بأوروبا عام١٩٤٣م ضد القوات الالمانية ، ثم معارك الدبابات الكبرى فى حرب ١٩٧٣م بين القوات المصرية والاسرائيلية .

هذه بعض من دروس معارك **سيف الله** ، التى أظهرت عبقرية خـــالد العسكرية ، وبراعته فى فنون القتال ، إستقيناها من بعض معاركه التى اعتبرناها الأهم فى تاريخه ، وإن كانت تلك الدروس من الماضى ، فأثرها لا يزال فى الحاضر ، وهى الآن بين يدى القارئ المدنى والعسكرى ، فنحن أحوج ما نكون إلى قراءة تاريخنا العربى المشرق ، لنأخذ منه الدروس والعبر المفيدة والنماذج البطـــولية الفريدة ، وفى أمس الحاجة إلى أن يعرف شبابنا اليوم ، نماذج قيادية مشرقة من تاريخنا الساطع فى كافة المجالات .

***

معارك خالد بن الوليد

م	المرحله	العدد	المعارك
١	قبل الإسلام	٢	أحد – الخندق *
٢	بعد الإسلام	٤	مؤته – فتح مكه – حُنين – تبوك
٣	قتال المرتدين	٣	بزاخه – ظفر – عقرباء
٤	فتح العراق	١٥	ذات السلاسل – المذار – الولجة – أليس – أمغيشيا*– الحيرة – الأنبار – ذات العيون – دومة الجندل – الحصيد – الخنافس – المصيخ – الثنى – الزميل – الفراض .
٥	فى الطريق للشأم	٨	سوى – ارك – السخنة – تدمر – القريتين – حوران – مرج الراهط – قصم*
٦	فتح الشام	٢١	بصرى – معارك حول الاسوار (كلاوس – عزازيز – بوردان – قبل اجنادين) – أجنادين – الياقوصه – مرج الصفر – حصاردمشق – فتح دمشق – مرج الديباج – حصن ابى القدس – فحل بيسان – مرج الروم – حمص – قبل اليرموك – اليرموك – الحاضر – قنسرين* – الجسر الحديدى – مرعش*.
	الاجمالى	٥٣	منهم ٥ بدون قتال*

جدول رقم (٦)

تحليل :

أجمالى ما قطعه خالد فى حملاته ومعاركه التى يتضمنها الكتاب تقارب العشرة آلاف كيلو متر ، وهذه المسافة تعادل ما يقطعه خالد لو أراد السير على فرسه ، من المدينة المنورة حتى الرباط بالمغرب على الساحل الغربى للمحيط الأطلنطى ، ثم العودة مرة ثانية للمدينة ، أو السير حتى شنغهاى بالصين على الساحل الشرقى للمحيط الهادى .. رحمك الله يا أبا سليمان .

عزل وإبعاد خالد !!

بعد كل الانتصارات التى حققها خالد بن الوليد فى ميدان الشام ، ومن قبلها فى العراق وفى حروب الردة ، جاء كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، متضمناً عزل خالد عن قيادة جيوش المسلمين وتوليته مكانه . بعد هذا الدور البطولى التاريخى يُعزل خالد فى الميدان . وكان هذا القرار أول ما اتخذه عمر بن الخطاب بعد توليه الخلافة ، وهذا يعنى أنه كان ناقماً على خالد ومبيتاً النية لعزله ، وأول من تفاجئ من هذا القرار كان أبوعبيدة نفسه ، فأخفى الخبر عن خالد حتى لايؤثر على معنوياته ومعنويات أصحابه وجنوده .

وقبل أن نسترسل فى أسباب العزل التى هى جوهر الموضوع ، يأخذنا جانباً إختلاف المؤرخين على متى كان العزل ؟ .. فنجد فريقاً يقول أن كتاب العزل كان بعد المعركة الكبرى الأولى أى بعد أجنادين وله حجته فى ذلك ، وفريق آخر يذكر أن العزل كان فى فتح دمشق وله منطقه ، ونحن مع الفريق الثانى . وعلى الرغم من أن مناقشة توقيت العزل ليس مهماً – فلم يكن للتوقيت تأثيراً على الأحداث – فالأهم تناول أسباب العزل من القيادة لنأخذ منها الدروس والعبر.

أسباب العزل :

ترجع أسباب العزل إلى ما فى نفس عمر تجاه خالد ، فعمر كان بطبعه عادلاً يحب الحق ، ويرى أن مصلحة المسلمين تأتى فى المقام الأول ، وكان متقشفاً أشد التقشف ، ويحب أن يكون أمراءه مثله ، وكان منضبطاً فى تصرفاته ، ولهذا كان يرى أن خالدا قد تجاوز فى بعض اعماله واخطأ . وعندما نرجع بالأحداث إلى زمن الرسول الكريم ﷺ وزمن الخليفة أبوبكر الصديق ونرى وقائع التاريخ ، نجد أسباباً دفعت عمر لعزل خالد ، نلخصها فى الآتى ...

أولاً : وقعة قتل خالد لبنى جزيمة ، عندما أرسله الرسول الكريم ﷺ على رأس سرية كدعاه وليس لقتال ، وعندما رأوه قالوا له : صبأنا ولم يقولوا أسلمنا فأمر جنوده عليهم فكُتفوا ثم ضرب أعناقهم ، وأنكر عليه المهاجرون والأنصار أن يقتل أحداً بغير أمر من النبى ﷺ ، وترك ذلك الحدث أثراً عميقاً فى نفس عمر ، ولكن ماذا يفعل ؟ فقد رفع النبى ﷺ يده إلى السماء وقال : " اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد " ثم أرسل على بن أبى طالب ودفع دية القتلى .

ثانياً : وقعة قتل خالد لمالك بن نويرة أثناء حروب الردة وزواجه من امرأته ، وعلى الرغم من أن تلك الوقعة قد حدثت وخالد مطمئناً لكفر مالك لإنكاره ركن الزكاه ، إلا أن تلك الوقعة أثارت عمر واغضبته أشد الغضب ، الأمر الذى أدى به أن يطلب من أبى بكر أن يعزله ، وقال له : " إن فى سيف خالد رهقاً وحق عليه أن يقيده " ، وزادت هذه الوقعة فى نفس عمر نية الخلاص من خالد وعزله ، فرفض أبوبكر وقال له .. كيف أعزل سيفاً سله الله على الأعداء .

ثالثاً : كان عمر يرى أن خالدا غير متحفظاً فى تصرفاته المالية ، فلا يرسل لأبى بكر حساباً ويتصرف من تلقاء نفسه ، وعندما أرسل أبوبكر لخالد كتاباً فى العراق - بإيعاز من عمر - يأمره بأن لا يعطى شيئاً من الغنائم والسبايا إلا بعد الرجوع اليه ، أجابه خالد .. " أما أن تدعنى وعملى ، وإلا فشأنك وعملك " ، فخالد يقصد من ذلك أنه الأمير فى الميدان يرى ما لايراه الخليفة ، وعليه أن يتصرف لصالح المسلمين . وقد قبل أبوبكر وقتها وسكت عنه ، لأنه كان ينظر إلى إنجازاته ولا يلتفت إلى هفواته ، أما عمــر فلا يقبل ذلك .

رابعاً : كان عمر يرى خالد غير منضبطاً ولا ملتزماً ، فقد قام بالحج سراً بعد معركة الفراض وترك القوات تعود وحدها ، فأوعز للخليفة عزله ولكن أبوبكر كان يعرف مقدرة خالد العسكرية ، فأمره بالمسير إلى ميدان الشام كأمير لجيوش المسلمين تكريماً وليس عقاباً .

خامساً : إفتتان الناس بخــالد ، فجنوده يحبونه ويستميتون فى القتال تحت رايته ، فكان قائداً مُظفراً فى معاركه وكريماً فى توزيع الأنفال عليهم ، فخاف عمر أن يوكلوا إليه ويظنوا أن النصر فقط على يداه ، وأراد أن يعلموا أن النصر من عند الله ، سواء كان خالد القائد أم سواه ، وما ذكره الطــبرى يؤكد ذلك حين أرسل عمر للأمصار وقال: " إنى لم أعزل خالدا عن سخط ولا عن خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض فتنة ".

سادساً : كان عمر يكن كل الإحترام والتقدير لأبى عبيدة بن الجراح ، فقد هم بترشيحه للخلافة بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ. وقال لعمرو بن العاص فى مسألة رئاسة الجيوش الموجهة للشام .. " أنه ليس على أبى عبيدة أمير، ولأبى عبيدة عندنا أفضل منزلة ، والرسول الكريم ﷺ قال فيه : أبوعبيدة أمين هذه الأمة " . فكيف يكون خالد بعد أفعاله أميراً على أبى عبيدة .

سابعاً : إعطاء الفرصة لغير خالد من الأمراء فى أن يبرز فى ميدان القتال ويحقق انتصارات مثله ، فكل النجاحات التى حدثت بالعراق والشام مقرونة بخالد ، وكأنما أراد عمر أن يفسح المجال أمام قيادات جديدة ، ولعل عمر قد وصله شئ مما فى نفوس الأمراء من هذا أو ذاك ، فأمير المؤمنين لا يفوته شئ ، فأراد من وجهة نظره إعطاء الفرصة لغير خالد .

ثامناً : الصراع الخفى بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية على من هو صانع النصر. فخالد فى قرارة نفسه هو الذى صنع النصر فى قتال المرتدين ، وفى العراق تحت أمرة الخليفة أبوبكر، وهذا كان مقبولاً بين الطرفين أنذاك ، فالنصر نتاج مشترك بين الإثنين ، فالقيادة السياسية متمثلة فى أبوبكر خططت وتركت التنفيذ للقيادة العسكرية ، أما مع عمر فالوضع مختلف فأوراق اللعبة يجب أن تكون كلها فى يده ، ومع خالد لن يتفقا فالمنهجين مختلفين .

تاسعاً : عدم القبول الشخصى بين الإثنين ووجود ضغينة قديمة بينهما ، ومن أسبابها تصارعهما وهم غلامان ، فكسر خالد ساق عمر ، وظل شئ من ذلك الحدث فى النفوس ، ومع أن الكثير من المؤرخين والكُتاب ينكروا تأثير تلك الوقعة على عمر ، إلا أن خالد قد عبر عن ما فى النفس حين ودع عمــر - بعد عزله - مستأذناً الذهاب إلى حمص ، والتفت إلى عمر ضاحكاً فسأله عمــر: ما الذى يضحكك يا أبا سليمان ؟ فقال خالد : أرجو أن تكون ساقك الكسيرة قد شفيت . فأدرك عمر مايرمى اليه خالد وقال : هيهات .. هيهات .. تلك لعبة صبيانية طويناها فى الجاهلية .

إبعاد خالد :

بعد عزل خالد سارت الأمور طبيعية فلم يعترض خالد أو يثور ، فروح الإنضباط العسكرى كامنة فى نفسه ، فالتزم بأوامر أمير المؤمنين وخضع تحت قيادة أبوعبيدة كجندى ينفذ الأوامر والتعليمات ، ولكن دائماً ما تتغلب عليه روح القيادة فى مواقف يرى ضرورة الحســم فيها ، فكان يقدم المشورة والنصح بإخلاص لأبى عبيدة ، ولو كان أحد غيره لترك الأمور تنحدر نحو الهاوية ، حتى يعرف عمر ذنب ما اقترفه تجاهه ، واعمال خالد بعد العزل تؤكد ذلك .

فلو لم يكن خالد مهتماً لأمر جيش المسلمين ويحرص عليه ، ما نصح أبوعبيدة بتجميعهم فى اليرموك لمواجهة حشود القوات البيزنطية ، ولا طلب أن يتولى زمام المعركة وتركهم لشأنهم ، وهو يعلم أن لا أحد غيره يستطيع أن يدير المعركة بمثل كفاءته ، وبالمثل كان كل الأمراء يعرفون ذلك ويقدرون مكانته ، وإلا لرفضوا اقتراحه ودخلوا المعركة تحت قيادة أبوعبيدة .

وبعد فتح قنسرين على يد خالد ، عُين أميراً عليها ولكن تحت أمرة أبوعبيدة . ولكن بعدها اتخذ أمير المؤمنين عمــر بن الخطاب قراراً بعزل خالد للمرة الثانية ، وكان هذا القرار يعنى إبعاده عن مواقع المسئولية ، ويصبح مجرد مواطن عادى .

وترجع أحداث الإبعاد إلى أن عمر حينما زار بلاد الشام ، علم أن خالد وعياض بن غنم غنما من الجابية أموالاً عظيمة ، ولما مدح الأشعث بن قيس خالد فى قنسرين كافأه بعشرة آلاف ، كما يقال أن خالد دخل حماماً فتدلك بغسل فيه خمر ، ولما علم عمر كتب إلى خالد : " بلغنى أنك تدلكت بخمر وإن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ومسه فلا تمسوها أجسادكم ". وأرسل لأبى عبيدة أن يقيم خالد ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته ، حتى يُعلمهم من أين كافئ الأشعث ، أمن ماله أم من مال المسلمين ، فإذا زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة ، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف ، وأعزله على كل حال واضمم إليك عمله .

بعد العزل الثانى وإبعاد خالد عن الحياة العامة ، خطب فى أهل قنسرين مودعاً ثم أتى حمص وودع أهلها ، ثم خرج عائداً نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال له : " لقد شكوتك إلى المسلمين وبالله إنك فى أمرى غير مجمل ياعمر" .. فقال عمر: " من أين هذا الثرى " ، فقال خالد: " من الأنفال والسهمان مازاد على الستين ألفاً فلك " ، فقوم عمر عروضه فكانت عشرون ألفاً زائدة فأدخلها عمر بيت المال ، ثم قال : ياخالد والله إنك على لكريم وإنك إلى حبيب ولن تعاتبنى بعد اليوم على شئ ، فرجع خالد إلى حمص لتكون مقامه الأخير بعد إبعاده .

تقييم العزل والإبعاد :

على الرغم من مكانة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، ودوره فى نشر الإسلام ورفع راياته ، إلا أنه فى النهاية حاكم إنسان قد يصيب أو يخطئ ، ونحن فى هذا الزمان لا نملك إلا أن نقيم الأحداث التاريخية ، بعيداً عن العواطف والميل لأى طرف . ونجد أن ما فعله أمير المؤمنين تجاه خالد بن الوليد بالعزل والإبعاد ، إنما دافعه إرضاء ضميره ودينه وربه وصـــالح المسلمين ، فهو بذلك الفعل قد قوم من أخطأ من وجهة نظره ، وجعله عبرة وعظة لغيره ، فها هو خالد بن الوليد البطل الصنديد يُعزل فى الميدان ويصبح جندياً ، ثم يبعد ثانية عن أى مسئولية قيادية ويعود مواطناً عادياً ، فأغفل عمر بذلك كل أدوار خالد السابقة ، ولم يراعى

ما قدمه للإسلام من انتصارات ، ولم يرى سوا الهفوات . فكان قراراً فيه الكثير من التحامل على خالد .

وقد يكون قرار العزل عادلاً كحكم قاض بيده ميزان العدل . ولكن يبدو أنه لم تحسب تبعات هذا القرار ، وإلا ما صدر هذا القرار . لقد كان من الممكن أن تحدث فتنة فى تلك الظروف الصعبة ، وخاصة لو رفض خالد الإنصياع لأوامر أمير المؤمنين ، وكان من السهل إنضمام جنوده المرافقين له من العراق ، وجنود أخرين ممن قاتلوا تحت رايته بالشام . كما يمكن تصور حدوث إنهيار عسكرى فى جبهة الشام ، كنتيجة طبيعية لموقف سلبى قد يتخذه خالد كرد فعل لما حدث له ، فيعقبه تدهور للأوضاع فى جبهة العراق .

ولنا أن نتخيل كيف تكون معركة اليرموك بدون خالد ؟! ومن هو القائد فى ذلك الوقت الذى يملك قدرة قيادة معركة تشارك فيها جيوش ؟ .. لو كان هذا القائد موجوداً ، لعارض أن يقودهم خـــالد فى معركة اليرموك ، ولكن كل الأمراء يعلمون مقدرته فخضعوا طواعية ، وتنازل أبو عبيدة عن الإمارة لخالد .

ورغم كل ذلك أظهر خالد إنضباطاً والتزاماً بتنفيذ أوامر أميرالمؤمنين ، – الغير واجبة فى ذلك التوقيت – ولو كان غيره لانسحب من ساحة الميدان . ولكن خالد انتصر فى معركة الإنضباط والالتزام ، برضوخه وسلوكه العسكرى القويم ، وقال كلمته الشهيرة " نحن هنا نقاتل فى سبيل الله لا فى سبيل عمر " ، وأكمل دوره فى حروب الشام كأى جندى .

وكما نجح خالد فى كل معاركه ولم يهزم ، فقد شارك أيضاً فى معركة عزله وساعد على نجاح قرار أمير المؤمنين ؟! فلم يتأثر خالد بقرار العزل وتقبله بنفس راضية ، واستمر على دوره التاريخى يقدم النصح والمشورة لأبى عبيدة واستمرت انتصارات المسلمين فى الشام . وكان خير معاون لأبى عبيدة فلم يبخل عليه بنصح

أو توجيه ، وشاركه جميع معاركه وكان دائماً فى الطليعة ، فلم يؤثر عزل خالد على أعمال القتال فى الشام بالسلب .

وأما الفتنة المتوقعة فهو الذى منعها ، فحين خطب مودعاً أهل حمص عارضاً موقفه قال رجل لخالد: ياأبا سليمان إن الفتنة قد ظهرت ، فقال خالد : " وابن الخطاب حى فلا ، إنما تكون بعده ". وكان من الممكن لو فى نيته الغدر لركب موجة الأعادى وأشعل نار الفتنة لينتقم من عمر، ولكن خالد داخله الفارس النبيل المنضبط بفطرته العسكرية ، فالتزم بالأوامر ولم يعارض ووضع نفسه تحت قيادة أبوعبيدة ، فكسب معركة عزله . وفى النهاية أنصفه التاريخ .

لقد أعطى خالد درساً فى الإنضباط والالتزام للقادة العسكريين ، بالإنصياع لأوامرالقيادة السياسية وعدم الإنشقاق عليها ، ولنا أن نتصور الآن لوحدث العزل ، أو إنهاء الخدمة بطريقة غير لائقة لقائد من محيطنا ، فماذا سيفعل ؟ الأمثلة واضحة حولنا لا تحتاج تعليق . وما فعله خالد هو تصرف حضارى ، سار على نهجه معظم القادة العسكريين فى الدول المتحضرة .

*****

نهاية سيف الله

وتجرى الأيام والسنين ، ونصل للعام الحادى والعشرين للهجرة ، وخالد بن الوليد الصحابى الجليل يرقد على فراش الموت فى مدينة حمص ، ينتظر قدره الذى لا مفر منه .

فالقائد العسكرى الفاتح **سيف الله** ، الذى احتل مكانة عسكرية مرموقة بين أعظم القاده العسكريين فى التاريخ ، ولاتزال خططه العسكرية مثار إعجاب وتقدير الشرق والغرب يرقد فى إنتظار الموت .

خالد البطل الفاتح ، الذى عاش مجاهداً فى سبيل الله ، وتمنى أن يموت فى ميدان القتال ليتذوق حلاوة الشهادة ، يموت ويا ألم المحارب .. على فراش الموت . وقد عبر خالد عن مراراته والحزن يعصر قلبه وقال : " لقد شهدت مائة زحف أو زهاها ، وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة سيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح ، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء " ومات سيف الله ودفن فى مدينة حمص بسوريا يوم ١٨ رمضان ٢١هـ الموافق ٢٠ أغسطس ٦٤٢ م .

وكان خالد رحمه الله ، نموذجاً فريداً بين القاده العسكريين على مر التاريخ ، لم تعرف الدنيا قائداً حقق كل تلك الانتصارات ، بعدد قليلٍ من المقاتلين أمام جحافل جراره تفوقه عدداً وعده ، وكان قائداً له شخصية كاريزمية ، أحبه جنوده واحترمه عدوه . هذا هو خالد .. اسم على مسمى ، وكأن والده الوليد بن المغيره ، يرى المستقبل فسماه خالد وكان فى التاريخ خالداً .

ومات خالد وعمره يزيد عن الخمسين قليلاً ، على أقرب تقدير ، وهذا ليس بالشئ المألوف لحياة تنتهى بدون مرض عضال أو شئ عارض ، ولا يعرف حقيقة سبب موته ، فهل مات حزناً على أبنائه الأربعين الذين ماتوا فى زمن طاعون

الشام ، أم مات حزناً وكمداً على حاله ووحدته ، وعلى أية حال لم يهرم ويمت فى سن الشيخوخة ، حتى لا يصعب حاله على الناس .

ووقت وفاته لم يكن فى بيته سوى فرسه وغلامه وسلاح وقفه للجهاد فى سبيل الله . ثم أوصى وصية واختار عمر بن الخطاب أميناً على تنفيذها . ولما عرف عمر بذلك قال : " رحم الله أبا سليمان كان على غير ما ظنناه به " وقال لأمه : " عزمت عليك ألا تبيتى حتى تسودى يديك من الخضاب " واجتمعت بنات عم خالد يبكين فقيل لعمر بن الخطاب: " أرسل إليهن فانههن " .. فقال: " دعهن يبكين على أبى سليمان ، على مثل أبى سليمان تبكى البواكى" .

وودعته أمه قائلة :

أنت خير من ألف ألف من القوم ... إذا ما كبت وجوه الرجال
أشجاع ؟ .. فأنت أشجع من ليث ... غضنفر يزود عن أشبال
أجواد ؟ .. فأنت أجود من سيل ... غامر يسيل بين الجبال

وعندما نسترجع الأحداث ووقعة موت خالد ، نتساءل هل هذه نهاية يستحقها خالد ؟! . وهل يستحق سيف الله أن يموت على فراشه ؟ بالطبع نقول لا ، وعندما نقول ذلك ، يكون من منطلق الحب والتقدير لخالد ، والنظرة الدنيوية للإنسان ، فخالد المقاتل .. المجاهد .. نراه يستحق أن يستشهد فى الميدان ، كأى مجاهد يبغى الشهادة فى سبيل الله ، ولكن العناية الإلهية شئ مختلف . فلم يرد الله جل فى علاه أن يعلو سيفاً على سيف الله ، ويتمكن من قتل خالد . فخالد **سيف الله** ظلت هامته شامخة ، ولم ينحن لأحد واحتفظ بمكانته حتى مماته ، ولم يقدر عليه أحد ويهزمه بفضل الله ، ولهذا مات فى فراشه ولم يمت فى الميدان بارادة الله .

ولو رجعنا بالأحداث وتصورنا جدلاً ، مقتل خالد من جندى فى ميدان القتال ، لاقترن إسمه بخالد وشاركه الذكرى والخلود أبد الدهر ، وتذكرناه كما نتذكر خالد الآن ، فعندما نتذكر أسد الله حمزة بن عبد المطلب لاننسى قاتله العبد الحبشى ،

ومن منا ينسى أبو لؤلؤة المجوسى قاتل عمر بن الخطاب ، وهناك ضريحاً كبيـراً فى ايران تكريماً لذكراه ، وحتى عندما نتذكر الرئيس الأمريكى الراحل كينـدى لا ننسى أوزوالد قاتله ، ولا يمكن أن ننسى الرئيس الراحل السادات وحادثة المنصة ، والاسلامبولى الذى قتله . وخُلد ذكراه بشارع يحمل أسمه فى ايران . لقد أراد الله لخالد **سيف الله** نهاية قد تبدو لنا عادية ، ولكنها فى الحقيقة خالده .

•••••



قبر خالد بن الوليد بحمص



جامع خالد بن الوليد بحمص

الخرائط

الكروكيات

الجداول

الصور

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر ..

- تاريخ الأمم والملوك .. أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى – الجزء الأول والثانى .
- فتوح الشام .. محمد بن عمر بن واقد السهمى الأسلمى ابو عبد الله الواقدى – المجلد الأول .
- البداية والنهاية .. عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن كثير – الجزء السادس والسابع .
- فتوح البلدان .. أحمد بن جابربن يحيى البلاذرى (فتح العراق – الشام) .

ثانياً : المراجع ..

- عبقرية خالد .. عباس العقاد .
- خالد القائد الذى لم يغلب .. عمرو أبو النصر .
- خالد البطل الفاتح .. أبو زيد شلبى .
- القادسية ومعارك العراق .. محمد احمد باشميل .
- غزوات الرسول .. د. على محمد الصلابى .
- حياة محمد .. د. محمد حسين هيكل .
- اطلس تاريخ الإسلام .. د. حسين مؤنس .
- اطلس الفتوحات الإسلامية .. احمد عادل كمال .

ثالثاً : المراجع الأجنبية ..

- Byzantium and the early Islamic conquest by Kaeqi walter ١٩٩٥
- Khalid Ibn Al-Walid, the soward of Allah by Alkram agha Ibrahim – ٢٠٠٤
- The Byzantine and early Islamic by Hugh kennedy, ٢٠٠٦
- Khalid Ibn Al-Walid – Britannica Encyclopaedia, ٢٠٠٧
- Islam at war by George Notziger and Mark Walton.

الفهرس

*****



الكاتب فى سطور

- تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٧٣ م .
- شارك فى حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ م وحرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ م .
- حاصل على ماجستير العلوم العسكرية من كلية القادة والأركان .
- حاصل على درجة زمالة كلية الحرب العليا من أكاديمية ناصر العسكرية .
- حاصل على دورات تدريبية فى الولايات المتحدة الأمريكية .
- عمل ملحقاً للدفاع فى بكين بجمهورية الصين الشعبية .
- حاصل على الأنواط والميداليات التالية :

وسام الجمهورية من الطبقة الثانية - نوط الخدمة الممتازة - نوط الواجب العسكرى من الطبقة الثالثة - ميدالية الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة - ميدالية ... الشعبى الصينى - ميدالية تحرير الكويت - ميدالية تحرير الكويت من الج... - نوط المعركة من الجيش السعودى - وسام تحرير الكويت من الجيش الكوي...

- تدرج فى المناصب العسكرية بسلاح المشاه حتى شغل وظيفة كبير المعلم... مدير الكلية الحربية .
- احيل للتقاعد عام ٢٠٠٦ م .